المحاصرة

تم نشره لأول مرة في المملكة المتحدة بواسطة دار نشر جون بليك
بصمة كتب Bonnier UK
الطابق الرابع، فيكتوريا هاوس
بلومزبري سكوير،
لندن، WC1B 4DA
المملوكة لدار بلوميرز بوك
Sveavägen 56 ، ستوكهولم ، السويد
www.facebook.com/johnblakebooks
twitter.com/jblakebooks

الترميز الدولي للنسخة الورقية	978-1-789-465-12-9
الترميز الدولي للنسخة الإلكترونية	978-1-789-465-13-6
الترميز الدولي للملف الصوتي	978-1-789-465-14-3

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من المنشور أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله أو توزيعه بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصويرها أو تسجيلها أو غير ذلك، دون إذن كتابي مسبق من الناشر.

كتالوج CIP الخاص بهذا الكتاب متاح في المكتبة البريطانية

تم تصميم الغلاف بواسطة انفي للتصميم المحدودة

تمت طباعة الكتاب وتجميعه بواسطة كلاي المحدودة، ايلكوغراف S.P.A.

2 4 6 8 10 9 7 5 3 1

جميع الحقوق محفوظة لصالح حقوق النشر © ديلَا رايت وليندا واتسون بروان 2022 a

أكدت كل دبلًا رايت، وليندا واتسون بروان على حقهما الأخلاقي في تحديد هويتهما كمؤلفي هذا العمل وفقًا لقانون حقوق النشر والتصاميم وبراءات الاختراع لعام 1988 a

هذا الكتاب عمل غير خيالي، يعتمد على حياة وخبرات وذكريات ديلا رايت. تم تغيير بعض التفاصيل في هذه القصة، بما في ذلك الأسماء والمواقع، لحماية هوية وخصوصية المؤلفة وعائلتها وجميع المذكورين بالعمل.

تم بذل كل جهد ممكن لتعقب أصحاب حقوق الطبع والنشر للمواد المستنسخة في هذا الكتاب، ولكن إذا تم التغاضي عن أي منها فهو عن غير قصد، وسيكون الناشرون سعداء لسماع أخبارهم.

جون بليك للنشر هي بصمة كتب بونيه في المملكة المتحدة
www.bonnierbooks.co.uk

ديــــلّا رايــــت
مع ليندا واتسون برون

المحاصرة

«أسيرة ذكريات الماضي المهين»
«إهمال... اعتداء... خيانة»

ترجمة
علا البزرة

ملهمون
للنشر والتوزيع
MOLHIMON

◀ الكتاب: المحاصرة
◀ المؤلف: ديلّا رايت
◀ التصنيف: رواية
◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ ترجمة: علا البزرة
◀ الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٤
◀ التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-777-52-6
◀ إذن طباعة: MC-10-01-5425132

ملهمون للنشر والتوزيع MOLHIMON

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

◀ الطباعة: AL MASAR PRINTING

darmolhimon
www.darmolhimon.com
+97145911660
SILICON OASIS, 20TH FLOOR (SIT TOWER) - OFFICE 2004, Dubai, UAE

إهداء إلى ديلّا الصغيرة...
لقد فعلتها

«المقدمة»

أكتوبر 1975

شـيءٌ مخيـفٌ كان يحـدث هنـاك عنـد البـاب الأمامـي للمنـزل، وصـوت ضجيـجٍ مـا سـمعته مـن قبـل يترافـق مـع أصـوات قطـرات المطـرِ المنهمـر بغـزارة طارقًـا نافـذة غرفتـي فيزيـد الأمـر رعبـاً وخوفـاً. أبلـغ مـن العمـر عاميـن متكـورة فـي سـريري أبكـي وأرتجـف مـن شـدة خوفـي- وذراعـاي تلتفـان حـول ركبتـيّ. جاهـدةً حاولـت ألا أتخيـل مـا الـذي سـوف يحـدث، كنـت أضغـط بقـوة علـى عينـيّ غيـر أن صـوت الضجيـج لـم يكـن يتوقـف. وازدادت نبضـات قلبـي وصـوت خفقانـه بـدا مسموعًـا فـي أذنـيّ.

كان أخـي الصغيـر فـي سـريره المجـاور لسـريري ينتحـب لفتـرة بـدت لـيّ وكأنهـا سـاعات طويلـة، ولـم يكـن فيمـا يبـدو مـن أحـد يهتـم بـه. صـوت صـراخ يترافـق مـع ضربـات قويـة علـى البـاب مـرات ومـرات بـدأ يصـل إلـى مسـمعي، ثـم تناهـى مـع صـوت تحطـم البـاب لتتبعـه خطـوات أقـدام فـي شـقتنا،

وكأن الأمر انتهى مع تلاشي الضجيج.

شعرت وكأن مجموعة من الأشخاص قد دخلت غرفتي، ثمة شخص ما يقف عند رأسي، وبجهد حاولت أن أستجمع كل ذرة من الشجاعة امتلكتها يوماً لكي أفتح عينيّ.

رأيتُ مجموعة من الشُّرطة بلباسهم الرسمي يقفون أمامي، راحت تحدق بي بإمعان، لم أكن أكثر من مجرد طفلةٍ هزيلةٍ.. متسخةٍ.. وحيدةٍ ومهملة، كنت ما أزال على قيد الحياة لا أكثر.

اقتربت الشُّرطية مني وسألتني بحنان:

– ديلا: يا صغيرتي! هل أنت بخير؟ أين والدتك؟ هل بإمكانك إخبارنا؟

– كلا.. ليس بوسعي ذلك، فأنا لا أعرف أين هي، ما أعرفه فقط أن الوضع كان أسوء بكثير عند وجودها.

1

القصة

شأن كل أطفال العالم أتوق للعب وما أزال، وإن بفتُات وبقايا ما يمتلكه أطفال الأسر المفتقرة إلى الحدود الدنيا لإنسانيتها - أعرف هذا - ولكنّ ذلك لم يمنع أولئك الأطفال الفقراء من امتلاك أحلامهم والتعبير عن إبداعاتهم، و رؤاهم للقادم من الأيام... حتى أنّ الصناديق الكرتونية الفارغة تتحول في أيديهم إلى قلاع وحصون وكهوف... وربما حتّى البقايا المهترئة من المغلفات ولم تعجز أصابعهم الصّغيرة عن التقاط الجزء الأخير من أقلام الرّصاص بمختلف مقاساتها، وربما حوّلوا البطانيات - الأغطية المهترئة المعلقة على حاملة الملابس إلى مشروع حلم... أو منظور لعوالم جديدة... من صنع مخيلتهم، ولقد خلا عالمي الطفوليُّ من هذه الأشياء الصغيرة جميعاً ... فما امتلكت يوماً أياً منها.

ويظل الحلم باللعب ملازماً لي، ممتداً على تفاصيل حياتي في كل مرة أنظر فيها إلى أثار الحروق المتبقية

فوق فخدي كذكرى خالدة للحظات لعبي في المطبخ، حينما لم يكن يبقى شيء من أدواته في الخزانة إلا وقد أخرجته، أستعرضها كمواد أولية في صنع الكعكات الوهمية التي كنت أحضرها، في حين غابت الرقابة أو لم يسجل الإشراف حضوراً أبداً... فقد كان من الطبيعي أن يكون لكربونات الصوديوم كواحدة من هذه المواد التي انسكبت مجتمعة علي، فيما كنت أحاول صنع ما توهمت أنّه قطع سكّر مثلّج وآذيت نفسي، دورا في فعل ذلك ... وكان ما حدث يعتبر أمراً طبيعياً ... فأمي لم تكن موجودة في المنزل آنذاك، فهي في حالة عدم صحو أصلاً لا تكترث فعلاً بما كنت أفعل أو حتّى بما كنت أرغب في أن يحصل. إنّه من دواعي تشظي هذا القلب أن تخلو طفولتي تماماً من كل أداة للمتعة .... ما خلا الصورة التي تبعث من موقعها في الذاكرة ما هو أكثر سوءًا من أثر حرق جلديّ فوق جسدي الصّغير.

بعد ستة أشهر من بلوغي عامي الأوّل سنة 1974 - كان اسمي قد أدرج ليس فقط في قسم الاستشارات لدى مركز الخدمات الاجتماعية، بل أيضا لدى خدمة المشكلات الزوجية، وكان يتضمن توصيفاً للزوج بنعته، إلى جانب عدم المسؤولية، بإدمان الخمر، وقضاء الليل خارج المنزل، والعودة في حالة سكر، أضف إلى ذلك تراكم الديون، وعدم الالتزام بتسديد أجرة المنزل لما يزيد عن ثلاثة أسابيع، وأنّ الزوجة، أمي، حيال هذا تفكر جدياً في الانفصال...

إلى هنا ... وفي هذا الإطار الشكلي لتلك العبارات يبدو الأمر في غاية البساطة ... لكن المعاني المختبئة خلفها، وأقلّها العجز والإهمال، جعلتها أكثر بكثير مما تعتقد تلك السجلات... وهذه (الأمور) كلها كانت تشكل في ذاكرتي قطعاً من أحجية عليَّ حلها. ثمة قوانين كانت تتيح لمن أراد أن يطلع على محتوى هذه السّجلّات في تناولها لمعلومات تخصه شخصيّا.. ومع ذلك لم يعد الأمر متاحاً بالسهولة المتصورة بالنّسبة للجميع.. أضِفْ ما تعرضت له هذه السجلات - كونها وثائق ورقية- من التخريب والتلف، نتيجة للحرائق، أو حتّى أثناء عمليات نقل المكاتب أحياناً، كما أنه كان من الممكن تنقيحها بشكل كبير... ومن خلال البحث والتقصي عن كل ما يخصني في تلك السجلات، وأمام كل جديد، كانت الصورة تتكشف أمامي أكثر وضوحاً، وتبدو أكثر منطقية، ولكن أكثر دهشة، بل أكثر صدمة بالأصح.

هذه القصة تحتاج وضوحاً يتطلب الغوص أكثر في كشف تفاصيلها... فقبل ستة أشهر من قيام رجال الشرطة باقتحام شقتنا بوقت غير طويل، بدأت التقارير تفيد أنني قد تم تركي وحدي مرات كثيرة قبل تلك المرة... إذ في العشرين من أكتوبر - من عام ١٩٧٥- وكان عمري آنذاك حوالي العامين ونصف، قدّم اثنان من الجيران بلاغاً حول ذلك وإثر دخول الشرطة ومعاينتنا أنا وأخي أخذنا أحد الجيران إلى شقته...

في تلك الليلة لم تعد أمي إلى البيت إلا بعد منتصف

الليل، وكان واضحاً أنها في حالة عدم توازن من شدة السكر، ولما كان والدي مقيماً في زنزانته، ولابدّ له من استيفاء السنوات الأربعة مدة حكمه كاملة، فما أعتقده أنها كانت تخرج مع رجال آخرين، من الواضح أنهم لم يكونوا أبداً مجرد أصدقاء. وإذا ما توقفت عند مسألة إجهاضها، فضلاً عن فوضى الشقة العارمة، وآثار القيء فوق أرضية غرفة المعيشة، وكذلك الرائحة الكريهة المنبعثة من المطبخ وفضلات القطة الّتي كانت على الأرض، تكتمل الصورة.

هل يعود السبب في وصولنا إلى تلك المرحلة التي وصلنا إليها بكل تفاصيلها التعيسة إلى كوننا نتاج شخصين حملا معهما طفولة تعيسة أفضت إلى مراهقة أكثر اضطراباً صنعت هروباً ظننّا أنه طريق للخلاص، فكان بداية امتداد طبيعيّ لمعمار نهض على خطأ وامتد إلى أخطاء، وانتهى بتدمير حقيقي للنفوس وتدمير للحب والفرح اللذين خُلقت أرواحنا من أجلهما؟؟؟

كارول هو اسم أمي، كانت قد ولدت في عائلة توصف بالتشتّت والتفكك إلى حدّ ما... وهو ما كانت ستتحوّل إليه عائلتنا لو أنّها استمرّت ... كانت أمّي واحدة من ثلاثة عشر طفلاً ليسوا من أمّ واحدة... وكانت الدفعة الأولى منهم من الزّوجة الأولى.

حتى الآن لم أعرف السبب الذي جعله يقرر أن يغادر منزله ليلحق بالمرأة الأخرى التي اختارها وأن يصطحب معه إليها مجموعة من أطفاله... ولقد كانت أمي من

بينهم... ويبدو أنّني لن أعرف أبداً. فأنا لا أثق مطلقاً بمختلف روايات القصّة المتعددة التي أخبرتني بها أمي على مرّ السنين.

لن أكتشف أن تلك المرأة لم تكن جدتي إلاّ في سنوات مراهقتي. لعلّ أمي - في اعتقادي - هي من اخترع مصطلح التلاعب النفسي واللفظي. من الصعب عندي أن أقع على الحقيقة في قصة ترويها لي اليوم لتعود في اليوم التالي لنقضها أو لتحريفها، وأنا لا أعرف هل سألوم نفسي لأنني صدقت روايتها لي حول وضعها في دور الرعاية طفلة رضيعة ثم ما لبثت أن ادعت لاحقاً أنه قد تم التخلي عنها فور وصول زوجة أبيها التي رفضت الاحتفاظ بها لأنها كانت صغيرة جداً وتحتاج إلى كثير من الاهتمام.

في الواقع هناك الكثير الكثير من القصص حول السنوات التي قضتها في دار الرعاية كانت قد ملأت بها رأسي... وأنها كانت دائما تعيش على أمل أن يعود والدها يوماً ليصطحبها معه... وهو ما كان يفعله بين وقت وآخر، قبل أن تعيدها زوجة أبيها الشريرة إلى دار الرعاية مجدداً، وفي النهاية قاموا بنقلها إلى منطقة أخرى حتى لا تلوذ بالفرار من دار الرعاية لمحاولة البقاء معهم.

في كل هذه الروايات .. أين هي الحقيقة؟ وأين ما هو صحيح فيها؟ لا أملك أيّ فكرة... والسّجلات في الواقع تنفي حقيقة كلّ هذه الروايات.

فكارول رايت (ني ووكر) قد أودعت في رعاية الخدمات الاجتماعية عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها، فلقد كانت في رعاية والدها الذي كان يعتني بها مع شركائه في السكن حتى بلغت سن الحادية عشرة.

إذّاك تزوج والدها مجدّداً، لكن كارول رفضت ترك شريكة والدها في السّكن والتي عاملتها وكأنها والدتها. يبدو واضحاً أن علاقتها بوالدها كانت سيئة دائماً، ومع ذلك ونظراً لأن لديها تاريخاً حافلاً في الهروب من المنزل، لم يسمح لها بالبقاء في رعاية تلك المرأة... وعليه فقد تم إيداعها في مركز لرعاية الأطفال. وهكذا أكون أمام رواية مختلفة تماماً عن تلك التي رويت لي...

لم تذكر لي أميّ ولا حتى عرضا أنّها كانت مقربّة يوماً إلى جدتي، أو حتى أن علاقة جيدة تربطها بهذه السيدة التي تعاملت معها كما لو كانت أمّها... ولذلك فهي لم ترغب في تركها يوم غادر والدها للزواج بامرأة أخرى.

كان والدي آرثر ما يزال صغيراً عندما توفى والده - جدّي لأبي - واضطرّت والدته لتربية ستة أطفال بمفردها... كان بحكم طبيعته أو بالأصحّ بسبب حرمانه من أب صالح كنموذج يحتذى به معرضاً دوماً للوقوع في المشاكل، وقد تطور هذا الأمر حتى وصل به مرحلة ارتكاب المشاكل المصنّفة ضد القانون.

يوم كان في الثالثة عشرة من عمره ترك المدرسة وبدأ رحلته العملية، فعمل بادئ الأمر كجزار وكان ذلك

فقط بهدف كسب المال... لقد كان في الأساس فتى وقحاً ولقد استمرّ كذلك...

كانت أمي في السّابعة عشرة من عمرها حين تعّرفت إلى أبي، كان أكبر منها بعامين فقط، وكانت قد بدأت العمل في متجر (سوبر ماركت وولورتس) وهناك التقيا، وكان يذهب بعد انتهاء عمله لمقابلتها. ومن أجل كسب المال كان يتنقل في العديد من الأعمال... وفي الفترة التي بدأ فيها بمواعدتها كان يعمل في متجر لبيع الأدوات الجنسية، الأمر الذي كان يتسبب لأمي في الكثير من الإحراج في كل مرة كانت تذهب لمقابلته بعد انتهاء مناوبته.

لقد كانت فتاة جميلة جداً، شقراء، ممشوقة القوام، في حين كان أبي يبدو كاللهبي Hippy بشعره الأسود الكثيف، ولحيته أيضاً... وفي سرواله الواسع، وياقات قمصانه الكبيرة كان يبدو صورة نمطيّة حقيقية لشباب السبعينيات. كما أن أمي كانت بطريقتها المميّزة في هندامها وشكلها تعطي نفس الصورة لفتيات تلك المرحلة بالذات... أذكر من بينها تلك التنانير القصيرة ذات اللونين من ماركة – مود – التي كانت ترتديها.

وكانا يرتادان الكثير من أماكن الرقص، وكانت أمّي تبدي علناً رغبتها في الحصول على صديق أسود، كذلك وعلى نفس الصورة كانت تصرّح بعدم اهتمامها مطلقاً بالرجال البيض. الأمر الذي كان يتعارض بشدّة مع عنصرية أبي الذي راح ينعتها بسبب ذلك بصفات فظيعة

طوال وجودهما معاً، وكان يتهمها بأنّها لا تحبه لأنه لم يكن أسوداً... هذا إلى جانب الكثير من الأسباب الأخرى.

من الغرابة حقاً أنّها لم تكن تبدي اهتماما به فيما كان يعلن أنّها حبُّ حياته. بسرعة حملت أميّ بي، وفي ظلّ فيض الرّوايات التي تم حشو دماغي بها، وإذا ما أضفنا المعطيات التي كانت تمدّني بها محتويات تلك السجلات يختلط بالطبع كل خيط ناظم للقصّة... فبين أن تكون قد حملت بسرعة لكي تتمكن من الخروج من دار الرعاية كحلّ وحيد، وأن تكون رفضت عرض أبي للزواج منها حتى قبل موعد ولادتي بأسبوعين فقط، وأنها أبداً لم تكن راغبة في هذا الارتباط، وأنّ استسلامها للقرار لم يكن أكثر من مجرد هروب من نظام الرعاية. كل هذا يضع الحقيقة في موقع لا يشبه ما دوّنته السّجلات الرّسميّة من أنّ كارول ظلّت في دار الرعاية وتحت الوصاية حتى زواجها... وأنها يوم التقت -رايت- وكانت في السابعة عشرة من عمرها لم تحظ بالموافقة الرسمية من دار الرعاية على عقد زواجها منه، فكان حملها آنذاك هو الحل الوحيد كي تجبرهم على تلك الموافقة... ربما رأت كارول فيما يبدو أن الزواج هو الحل الوحيد لجميع مشاكلها، ولكنّ علاقتها بالسيّد رايت بدأت تتدهور بعد ولادة ديلا... كان يريد مولوداً ذكراً ، لذا قد عبرَّ عن استيائه من ديلا سريعاً، فلم يبد الاهتمام المطلوب بها أولاً، ومن ثم بدأ في الخروج من البيت بانتظام والانغماس في شرب الخمر، ولم يقدم لزوجته الدّعم الضروريّ في

تلك الفترة، مما أدى إلى تراكم الديون، وكان في بعض الأحيان لا يتردد في إظهار العنف تجاهها... كانت أمي في الثامنة عشرة من عمرها يوم أنجبتني، وكانا هي و أبي صغيرين جداً على هذا الزواج وغير مهيئين في الأصل ليؤسسا عائلة وأن يكونا أباً وأماً لطفلة... وبرغم خروجه المتكرر في مغامرات مع نساء أخريات، لم يمنعه كونه زوجاً وأباً من العودة متباهياً بحصيلة هذه المغامرات... لكنه كان يصر دائماً على إعلان حبّه لأميّ...

صحيح أن أبي كان في السجن يوم داهمت الشرطة الشقة الواقعة في الطابق الخامس عشر، ولكن يوم كان موجودا كان ثمّة دفء يضفي مساحة أكبر من تلك التي كانت توحي بها أمي تجاهي وأعي اليوم جيداً أنّه الشخص الوحيد الذي كان قد أودع كمّاً حلواً من الذكريات السعيدة القليلة التي احتفظت بها ذاكرتي...

لقد أخذنا في يوم صيفيّ إلى الشاطئ، فقد كانت لديه عائلة في الشمال. لقد لهونا يومها ولعبنا، وقمنا ببناء قلاع رمليّة، ممسكين بأيدي بعضنا. رحنا نقفز فوق شقوق الأرصفة. مجرّد أسرة صغيرة عادية جداً مكوّنة من أم وأب وطفلين... وفي نسيج الذكريات الرهيب الذي يحاصرني... كم أجد القليل الذي أقبض عليه منها ثميناً جداً.

كان الشخص الأكثر دفئاً في حياتي هو زوجة جدي (أم والدتي) لقد امتازت دوماً بأنها الشخص الذي يوزع

المحبة والمساعدة في الشارع، وعلى وجه الخصوص لأولئك الذين كانوا يعيشون الضائقة والمعاناة، وكانت سيدة محبوبة جداً، ولقد أسميتها - العظيمة - فقد كانت دائماً تغمرني باللطف، وتخصني بمشاعر دافئة وصادقة بل هي الألطف والأدفأ في عالمي، وفي بعض الأحيان كانت قادرة بصدق مشاعرها أن تعوّضني عن الحياة المتّشظيّة والمتقلبة التي عشتها في منزلنا، وعن الأوقات الصعبة أيضاً...

مرة أخرى أقف مفتقدة المصداقيّة أمام القصص التي كانت أمي قد روتها لي، وإحداها أن أبي كان يوقظني من نومي العميق لأشاهده وهو ينهال بالضرب على أمي.

في عمر العاشرة... كان قد تمّ إدراج اسم كارول لدى مركز الخدمات الاجتماعية، وقد نقلت في العديد من بيوت الرعاية للأطفال.

في أكثر من بيت لرعاية الأطفال أودعت «كارول» منذ كانت في العاشرة من عمرها... ولقد كانت غير مستقرّة عاطفياً، وذات مقدرة على التلاعب بالمشاعر تمامًا كما بالمواقف، بل وعلى تغير الحقائق بما يتناسب مع حاجتها إلى الحصول على التعاطف من الجميع. فهي غير مسؤولة أبداً، لذا فهي لا تتحمل عواقب أفعالها، لأنها ترى نفسها دائماً على حق...

مثل هذا التوصيف يتناسب مع الأم التي لم تفكر في عاقبة ترك ابنيها بمفردهما في الشقة، لتخرج ليلاً

تحتسي الشراب وتواعد رجالاً آخرين غير أبيهما هذا ما تكتمل صورته في ذاكرتي عن تلك الليلة (عندما اعتنى الجيران بنا - أنا وأخي). ولكن اضطروا أمام يأسهم منها أن يبلغوا الشرطة. لقد أمضيت الليلة مع الجارة، وفي الصباح التالي كنت رسمياً في عهدة الآنسة أبدول، ولكن من النادر أن أتذكر تلك الأمور. يبدو أن أمي بعد عودتها إلى الشقة ومفاجأتها بوجود رجال الشرطة في منزلها، وأنّه قد تم أخذ أطفالها منها كادت تفقد صوابها... ولم يكن من المجدي استفادتها من كافة الأعذار التي كانت تدّعيها، وتستعرضها، وتلجأ إليها، فقد تجاوزت الحدود كافّة... فحتى ذريعتها التي اعتادت أن تجذب بواسطتها الأنظار دائماً بأنها قد اضطهدت من قبل الجميع، وأن الحياة قد جارت عليها وظلمتها لم تنقذها. أبداً لم تفلح هذه المرّة في استعطاف أحد إلى جانبها.

وفي اليوم التالي تناولت أمّي جرعة زائدة من الفاليوم... ودوّنت اعترافاتها في السّجلات كما هو واضح أنها كانت مقتنعة بما حدث، وأن ما تعيشه من ضغط الظروف المعيشيّة، هو مالا طاقة لها على احتماله، كما اعترفت أنها قد استدانت من صديق لها مبلغاً من المال، لتخرج إلى الحانة في تلك الليلة التي تركتنا فيها، أنا وأخي عند السّاعة السّابعة مساءً، مُغلقة الباب على طفلين في سريرهما...

حتى اللحظة ... وقد أصبحت أمّا لم أستوعب أبداً كيف فعلت أمي ذلك، وفي اعتقادها، وهو الأسوأ، أن الأمر عادي جداً، وطبيعي وهي تعلم تماماً أن غيابها سيطول لساعات وتعلم بخوف أطفالها في منزل فارغ، وتعلم أنّ احتمال تعرضهم لأي خطر قائمٍ كبيرٌ.

تعترض ذاكرتي الطفوليّة على أي محاولة منّي لإخراج تفاصيل تلك الليلة من مخيلتي وفكري، (على إخراج صورة الطفلة ذات السنتين والنصف بضعفها وهي التي ما تزال تعتبر رضيعة حتما وماتزال بحاجة ماسّة إلى الضم والحنان لإيقاف بكائها...

كم يبدو العالم مرعباً حين يكون المرء وحيداً وسط خوفه. لكن هذا الأمر لا يعني أمّي، كان أخي أصغر مني ولكن الخروج لاحتساء الشّراب كان يقطع عليها كل تفكير في القلق علينا. يا ليتني كنت أعلم في ظلّ أية فرضية قررت أن تخرج من المنزل... هل (افترضت) أننا سنكون بخير ونحن وحدنا؟؟؟ أم أن ما افترضته كان يحمل أسوأ الاحتمالات، ولكن مهما كانت الاحتمالات فلا شيء يهمّ...

يتحدث التقرير عن (أنّ) أمي كانت متعبة ويائسة، وأن رؤيتها (لنفسها) وهي تسقط من الشرفة إلى الأرض، بات الحلم الذي لا يفارق نومها... وأنها كانت تشتري حبوباً منومة من الصيدلية، وأنّ زوجها أيضا كان يعاملها بعنف، وقد بلغ به الأمر أن قام في إحدى المرات بوضع طفلته – ديلّا – في الفرن، وأنّه لم يتردد أيضاً في رمي أشيائها المفضلة من الشرفة.

وباختصار ختاما يتحدّث القرير عن أنّها كانت تخشى البقاء معه وحيدة. لقد دمر هذا الخوف حياتي أكثر مما فعلته هي... كانت تعلن حاجتها لوجود رجل بشكل دائم في حياتها. ورجل أحلامها كان من المفترض أن يقدسها. وألا يتوقف عن التغزل بجمالها ... وأنها هاجس الرغبة لدى معظم الرجال الآخرين... وأن عليه أيضاً أن يبعدها عن كل الأشياء التي لا تحبها ولا تحب أن تعيشها.

2

من مكان إلى آخر

إنّ تلك المشاهد المسترجعة كشذرات ذكريات من طفولتي (بدأت) تأخذ مكانها الصحيح فعلاً، عندما أضيفها إلى ما في سجلات الخدمات الاجتماعية الموجودة لدي، تغدو الصورة أكثر كمالاً لحياة بائسة، مهملة، إلى الحد الذي تبدو فيه غير منطقية في بعض أجزائها، حتى في نظر الأشخاص المعنين.

في شهر أغسطس عام ١٩٧٦، أفادت الملفات أن الأخصائية الاجتماعية المكلفة بمتابعة وضع عائلتنا – كما هو مدوّن بالملفات – قد تلقت مكالمة من الشرطة تعلمها أنّ أميّ قد تناولت جرعة زائدة من مسكنات الألم مع الكحول... كما أشارت أيضاً إلى أنّ (الأخصّائيّة) كانت (قد) التقت أمي في الأسبوع السابق، وأن كل شيء كان على ما يرام... وقد تمكنت من إقناع الشرطة بإبقائها

على صلة دائمة بكل شيء - المفترض أنها كانت تعني تلك التقارير التي تخصّ تركنا وحيدين -.

كان موضوع الجرعة الزائدة اعتيادياً بالنسبة لأمي - فيما أذكر إنّ الأمر بالنسبة إليها لا يعدو أكثر من كونه مزيجاً من أي دواء يمكنها أن تضع يدها عليه... سواء أكانت مسكنات أم كحولا ... وما دمنا كالعادة قد تُركنا وحيدين أنا وأخي (حينها)، و هو ما جعل مجموعة من الأسئلة تقفز إلى الواجهة ولم ألق جواباً لها:

- من الذي اكتشف أن أمي قد تناولت جرعة زائدة؟
- من عساه اتصل بالشرطة؟
- ولماذا عند نقلها إلى المشفى كما تقول الشرطة، لم تعثر الأخصائية الاجتماعية على سجل لأمي - عندما اتصلت - وكان باستطاعتها أن تفعل؟
- إلى أين تمّ أخذنا أنا وأخي.
- متى عدنا، ولماذا سُمح بذلك؟

لكن ما يبدو لي في الواقع، أنّه في الحقيقة أنّ أمي لم تعد يؤثر فيها تلك الجرعات الزائدة. أم تراها كانت تتعمد من خلال ذلك لفت الانتباه ليس إلاّ لو افترضنا صحّة أنّها كانت تفعل ذلك منذ البداية كما كانت تزعم في مجموعة القصص التي كانت ترويها ... أم أن المقصود كان الإيقاع بأولئك الأخصائيين الاجتماعيين ورجال الشرطة أيضاً، وحملهم على الاعتقاد بأن ذلك هو بالفعل ما قد حدث؟؟؟

ما أعرفه هو أنّ عاماً قد مضى ونحن ما نزال على ما نحن عليه... أمي تتناول جرعاتها الزائدة، أمام صمت الأخصائيين الاجتماعيين، والجيران ما يزالون يبلّغون عن حالة الإهمال تلك... فأنا وأخي ما نزال وحيدين ... مهملين.

وفي أكتوبر عام ١٩٧٦، عادت الشرطة لتقتحم شقتنا، وتم إيداعنا بموجب أمر من الأمن في دار ليندس لرعاية الأطفال لمدّة ثمانية أيّام، أما أمي فقد نقلت إلى مستشفى للأمراض النفسية، وذلك بعد أسبوع من إقامتها في المشفى العام.. ليتمّ إرسالنا من قبل مركز الخدمات الاجتماعية للعيش مع امرأة تدعى السيدة ميلر.

لقد كانت سيدة قادرة على إحاطتنا بالخوف من جانب، مما دفعني إلى تمنّي وجود أمي فقط... هي فعلاً من أريد، برغم الحالة التي كانت عليها، وكل ما لديها من إهمال فقد كانت ومنزلنا غاية رغبتي... فلم نكن نعامل أبدًا بأفضل مما كنا عليه، ولقد كنت بصدق أتمنى لو كانت أمي هي التي تفعل ذلك، أكثر من تلك المرأة الفظيعة التي لم تكن أبداً لتدرك ما معنى بل (ما) المقصود من - الاهتمام بنا- لقد كانت تترك أخي يصرخ في سريره ذي الطابقين، وتغلق علينا الباب حين يزعجها الصراخ، كنا نبكي معاً ... كانت تطفئ الأنوار لتتركنا نبكي في الظّلام... كانت حقيرة كخنازيرها القذرة ذات الرائحة الكريهة، التي لم أكن قادرة - ولو عرفت العد - على إحصائها.

وكانت تصرخ وتقول: «إذا لم تتوقفا عن الصراخ فلن

تريا والدتكم اللعينة مرّة أخرى...»

– كانت تلك المخلوقات القذرة – أعني خنازير غينيا – تجري في كل مكان تريده، وتضع قاذورات في كل مكان، فهي في الأصل موضوعة في قفص مفتوح لم يتم إغلاقه. وكنت أخافها حتى الموت، فقد كانت تعضني بهمجية وهي تركض، ورائحتها القذرة أسوء بكثير من رائحة صينية الفضلات الخاصة بقطتنا والتي كانت تجعلني أرغب في التقيؤ...

لقد كانت رعايتنا بالنسبة للسيدّة ميلر أمراً استطاعت استثماره جيّداً، وكانت سعيدة جداً لأنها استضافت أطفالاً فقراء مهملين مثلنا... فعندما كنا نخرج للتنزّه وأنا ممسكة بعربة أخي الصغير التي تجرها السيدة ميلر، كانت تتعمد التوقّف للتحدّث مع الجميع عن هذا العمل الرّائع الذي تقوم به تجاهنا، حيث يثني عليها الجميع، واصفين إياها بالملاك، وكانت تبتسم فخورة بإطرائهم ورداً على مديحهم... حتى إذا عدنا إلى المنزل تبدأ من جديد في الصّراخ في وجوهنا.. وتنعتنا بالجحود... وأننا لن نسمع يوماً، ولن نرى مثل الإطراء (الذي) تتلقاه يقال أبداً ولو مرة – عن والدتنا – من قبل أولئك الناس.

ما أزال أعتقد أنّ السيّدة ميلر قد قامت بهذا العمل لتحجز لنفسها في نظر الجميع موقعاً مميّزاً، في مصاف الشخصيات التي عُرفت باهتمامها بالأطفال الفقراء، بالإضافة إلى ما قدّم لها من مال حافظت من خلاله على إطعامنا ونظافتنا، وكأنها تفعل هذا بحكم الوظيفة.

في صبيحة أحد الأيام، قامت بإيقاظنا في وقت أبكر من المعتاد، وبدلت ملابسنا، وأضافت قائلة: «ستذهبان اليوم خارج المنزل»، ولما سألتها إن كنا سنذهب للتنزه - الطريقة الوحيدة لمنحها المزيد من الإطراء الجماعي لقاء رعايتها لنا - صرخت قائلة: «لا .. لا علاقة لي بكما»، ستأتي الأخصائية الاجتماعية الخاصة بكما لتأخذكما. ثم ما لبث صراخها أن انهمر فوقي ردّاً على استفساري حول السّبب في حضور الأخصائية (التي لم يكن لدي أيّة فكرة عنها)، وخروجنا معها من المنزل.

ربما كنت ككل الأطفال في ميلي إلى التساؤل عن الأسباب مليون مرّة في اليوم.

كانت تصرخ في وجهي بسبب كثرة الأسئلة - القاتلة - في رأيها، لتنتهي بقولها ... إذن اعلمي أنّكما سوف تذهبان للقاء أمكّما ... ربما يخرسك هذا الجواب.

كلمة «أمك» ملأتني حماساً، وأسكتتني فعلاً... لكنها جعلتني أنهال على السيدة بوابل من الأسئلة المتلاحقة.

- أين هي أمي؟

- أجابت: في مركز للأمراض النفسية، وما الغرابة في الموضوع!!!

وبدون أن أعي المقصود بالعبارة اكتفيت بتلقي الإجابة، لا يهم ما دمت سأستعيد أمي... حتى لهجة الانتهاء التي أعقبت بها وهي تقول:

- اجلسي هناك، فقد وصلت موظفة الخدمات الاجتماعية.

وحده شعور الحماس الخانق للقاء أمي كان يتملكني، حتى أني لم أفهم ما هو مركز الأمراض النفسية، كان عليّ فقط أن أجمع هذه القطع المتناثرة مع بعضها البعض من السّجلات التي أمتلكها الآن... ولا بد أنني سأعرف أكثر... وليس فقط من خلال توجيه الأسئلة للسيدة ميلر...

كان رأسي محشوّاً بالأفكار تتناوب حتى تجعل شكلي انعكاسا للتوتر الداخلي الذي يملؤني... كانت قدمي تهتز بشكل عصبي في حركة متواترة للأعلى والأسفل، أذكر ذلك فيما كنت أجلس قرب الباب على ذلك الكرسي... هل في حالة استعدت أمّي مرة أخرى، سأتخلص من هذا المكان ولن أعود إليه.. بالتأكيد؟ فهي حين تراني بالطَبع ستأخذني للعيش معها...

مع قرع جرس الباب، لم تنس السيدة ميلر أن ترتّب مئزرها، وتتأكد من تسريحة شعرها، وأن تطلب مني ألاّ أفتح فمي بالحديث، إلاّ عندما يوجَه إليّ (الخطاب)...

فتحت الباب، ورحّبت بالسيّدة الشّابة، وبابتسامة كبيرة قالت: «جميلٌ جداً أن أراك» ... إن ديلا سعيدة جداً لأنّك ستأخذينها لتزور والدتها اليوم... إنها ممتنة جداً ... هل هذا صحيح عقّبت الشابّة وأمسكت بيدي، وأجابتني بعد عدة أسئلة طرحتها عليها – اسمي غريس – هيا اصعدي إلى السيّارة، ولنذهب لرؤية والدتك. لم تزعجني قلّة كلام الشابة لأنّني استعضت عن ذلك بطرح الأسئلة على امتداد الطريق.

– هل رأيت أمي؟
– هل تزورينها؟
– أنا متحمسة لرؤيتها، هل هي كذلك؟
– هل لديها منزل جميل، أم أننا سنعود إلى منزلنا القديم؟
– ثمة رائحة كريهة جداً تنبعث منه، فهل ما يزال كذلك؟
– هل قامت أمي بتنظيفه؟
– كم أتوق لمنزل مع حديقة، هل من حديقة هناك، هل أمي تجلس في الحديقة؟

إنها في المستشفى، أجابت غريس، لابد أن السيدة «ميلر» قد أعلمتك بذلك، فأنا قد طلبت منها أن تمهّد لك الأمر، كي تكوني مستعدة مسبقاً.

لماذا يتوجب عليّ أن أهيّأ نفسيّا، وهل تحتاج رؤية أمي، أو العودة معها إلى المنزل إلى هذا الاستعداد وهذه التهيئة!!!

لم يكن يدور في خلدي أبداً، أننّا سنذهب إلى مكان غريب.. مكان آخر، ولن تكون أمي التي سألتقيها هناك هي الأم التي أريدها أو أحتاجها وأنا أعي أنّها ما كانت لتكون يوماً كذلك.

إلى أين تمتد هذه الجدران العالية التي كأنّما تمتدّ إلى الأبد... بالتأكيد ليس هذا منزلي هذا المشهد هو كل ما استطعت رؤيته مع تباطؤ السيارة، وعندما أعدت النّظر تبيّن لي أنه مبنى من العصر الفيكتوري بطرازه الخاص..

وقد استخدم كملجأ لسنوات عديدة، أخرجتني غريس من السيارة التي ركنتها في المكان المخصص. ومضت بي عبر ممر طويل كأنّه غرفة انتظار طبيب، الغرفة كانت ضخمة، وعلى طول الجدران كان الناس يجلسون بطريقة متباعدة على كراسي اصطفت لهذا الغرض... جالت عيناي في كلّ أرجاء المكان حتى وجدتها.. وركضت بسعادة عارمة إلى الكرسي حيث كانت تجلس.. لقد تابعت الحديث مع السيّدة التي تجلس إلى جانبها ولم تلتفت إليّ، لكأنها كفّت عن الشّعور بوجودي.

لقد أوضحت لي السّجلات لاحقاً أنّهما كانت تتلقى علاجاً بالصّدمات الكهربائية ECT، وكان التبرير أنّ الصدمات الكهربائيّة تلك، عندما تمرّ عبر دماغها ستفضي إمّا إلى نتيجة تغيير دماغها بما يكفي لعكس اكتئابها، أو أي شيء آخر موجود في دماغها... وأدركت سريعاً أنّ أمي لم تكن أبداً على سجيّتّها، لقد استمرت في التحدث إلى السيّدة المجهولة عن العلاج بالصدمات الكهربائية، حتى راودني شعور بأنّ الأطباء كانوا يضعون المصابيح الكهربائية في فمها ... امتلأت قلقاً عليها، خشيت أن تبتلع قطعاً من الزجاج.

كانت في غاية التشويش، أعرف أنها كانت غير قادرة على التركيز، فهي لم تعر وجودي أي اهتمام على الإطلاق. على الرغم من محاولة الأخصائية الاجتماعية أن تجعلها تبدي نوعا من التفاعل، لكن لم يكن ثمة أمل فهي لم تكف عن التحدث مع تلك السيدة، ولم توجه نظرها إليّ...

انظري يا كارول ... ها هي ديلا... وتكرر، إنها بخير، إنّها في أمان وموضع اهتمام، أعرف أنك قلقة عليها بل أنا متأكدة من هذا حدّ الرّهان، لم يعد هناك ما يدعو إلى القلق الآن... انظري يا كارول... ها هي ديلا...

كل ما حصلت عليه «غريس» أنّ أمي أدارت رأسها أولاً ونظرت إليها وبلا أي ردّ..

ثم أعقبت بنظرة تائهة لا أثر فيها لاهتمام ولا لتواصل على الإطلاق، لم تكن أمي ترغب مطلقاً إلاّ في متابعة حديثها مع تلك السيدة التي إلى جانبها - وتكرر أنها تعرضت لصدمات كهربائية. عدنا إلى السيّدة ميلر، وتملكني شعور أنني لن أرى أمي مرة أخرى.

لا علم لأحد.. لماذا، وكيف؟؟؟ وحده اللّه يعلم كيف أعدت إلى أمي بعد ستة أيام فقط... فهل يا ترى كانت قد أبدت تحسّناً واضحاً يجعلها أفضل وقادرة على أن تكون أمّاً؟

في الواقع لابد أنّ المسؤول عن قضيّتنا قد قرّر أن كل شيء على ما يرام... فكان ذلك ما حصل، أُخرجت (أمّي) من المشفى وأُعدت إليها فكانت سعادتي كبيرة لوجودي معها مرّة أخرى.

وفي كانون الثاني عام ١٩٧٦، بعد شهر بالضبط أصدرت محكمة الأحداث في برمنغهام أمراً يضعني تحت الإشراف واستمر هذا الأمر لمدة ثلاث سنوات.

بدأت أرتاد حضانة - ميتشليز - بقصد منح أمي الاستراحة في بعض المناسبات... ولكن هناك سجلات

أوضحت أن تلك الفترة كانت هناك شكوى بأنني قد أصبت بحروق في إحدى المرات... ولكن لم يتم في المقابل القيام بأي حلّ... وكان ردّ أمي إنّها لم تكن تعرف أبداً كيف حدث هذا... حتى أنّها رجّحت أنه ربما قد حصل بسبب الحريق الكهربائي، ولما طلب منها أن تحصل على مطفأة حريق، أجابت أن الحريق لن يقع ولن يسبب أي مشكلة في المرات القادمة لأنها لن تستطيع دفع فاتورة الكهرباء.

لم تحصل الزيارة التفقدّيّة الّثانية لأن أمي لم تفتح الباب - ببساطة - كذلك فشلت الزيارة التالية لأن أمي كانت تستضيف جارتنا وطفليها.. وبسبب السريّة لم يكن ثمّة مجال لطرح الأسئلة... أيّة أسئلة... بعد عطلة عيد الميلاد، ورأس السنة في يناير عام ١٩٧٧، كتب أحد المسؤولين الاجتماعيين « أن وضعي في خطر»، بعد أن عدت إلى الحضانة، حيث أنهم لاحظوا المزيد من الحروق. ولم يكن لدى أمي أي تفسير لذلك.

كلّ ما أعرفه أنّ حضانة بارناردو التي أحببتها كثيراً، ولم أكن أعرف لماذا فجأةً أصبحت أرتادها، كانت مكاناً جميلاً لأكون فيه...

كانت الآنسة كارولين التي تعمل هناك في غاية اللّطف والتّعاطف معي (لن يحدث هذا الآن أبداً) كانت في بعض الأحيان وعند انتهاء الجلسة تصطحبني معها إلى منزلها حيث تعيش مع أهلها، كان والداها والأسرة كلّها في غاية اللطف معي، لقد كان ذاك العالم هو مالم أره من قبل...

ولكم تمنيت لو كان ذاك هو عالمي.. أحياناً كانت الأنسة كارولين تسمح لي بالنوم لديهم - هذا حقّاً يفوق التصوّر- وكانت تلك الأوقات أسعد فترة مررت بها. كانت كارولين مُحبّة وعطوفة، وكان المنزل نظيفاً ودافئاً، ومثالياً... موسيقى بيي غيز كانت تصدح في أرجائه، وكان طبق الخبز المحمّص والمدهون بالزبدة، وقد أعدّته والدتها ينتظرني على الطاولة منذ نزولي في الصباح، حتى تلك اللحظة لم أكن أعرف أبداً أنّ الحياة لها مثل هذا الوجه.

يبدو أنني كنت أبلي حسناً في الحضانة فقد غدوت نشيطة وأكثر حيويّة على الرغم من معاناتي السّابقة، ليس فقط كما أشارت التقارير المستمرة، بل حتى اهتمام الناس الذي بدت آثاره واضحة من حولي... بينما كانت أمّي مستمرة في إخبارهم عن أصدقائها العديدين في هذه المرحلة، والتي غالباً ما كان يتمّ تسجيلها « أنا أرغب بصديق جندي... أجل جندي، هو ما أرغب به حقاً».

كان المتغيّر دائما هو رأيها في الواقع، فحيناً تتمنى عودة أبي، وسرعان ما تبدي رغبتها في الطّلاق، وكنت أتساءل عمّا إذا كانت تحاول جذب انتباه الأخصائيين الاجتماعيين، أو هو نوع من العبث كما تراه، أو ربما كان شعوراً بالأنانيّة، ولم يكن يقلقها أبداً أن تبدو على تداعيات كل ذلك وكأنها أم فظيعة، وربما كل هذه الأمور مجتمعة قد تترجم الحالة لديها... لم تكن تبدي حماساً أبداً لاحتمال عودة أبي إلى المنزل على أساس الإفراج المشروط، كما ذكرت بعض السجلات..

وقد ذكرت التقارير أن العديد من الأصدقاء كانوا حولها في ذلك الوقت، وأنّها أطلقت حكاية الرغبة في التخلّص من جنين اتضح أنّها كانت تدعي حكاية حملها به، وكل ذلك كان مجرد اختلاق، ولكنها نجحت في جعل الموضوع يبدو وكأنّه دراما فعلاً، حتى أنّ الأخصائي الاجتماعي بذل جهداً في تحذيرها من مغبّة الإجهاض في المنزل بمفردها، ومخاطر التخلّص من الجنين بهذه الطريقة، وما سينجم عن ذلك. كان كل ذلك لا يقابل إلاّ بإصرار أميّ على أنّها حامل، وأنّها ستتخلص من الجنين في المنزل وبمفردها... لا تبتعد صورة ما كان يمكن أن يحدث في تلك الليلة عن مخيلتي أبداً... كانت كما أعرفها - أو أعرف عنها - تريد أن تحوّل كل الأنظار إليها، وتغدو مركز الاهتمام، مع أن احتمال رواية قصة لأولئك المعنيين بدل التفكير في واقع أنّها حامل بالفعل قائم - وغير مستبعد.

كانت تعرف أنها مصابة بمرض تناسلي ينتقل عن طريق الاتصال الجنسي، وكانت تلك الأمراض معروفة ومنتشرة في ذلك الوقت، ولقد أكّدت السّجلات إصابتها، فكان لديها فرصة لتنجح في صرف انتباههم عن هذه الحالة، واستقطاب تعاطفهم معها على أنّها أمّ مكافحة لكنّها تواجه احتمال إنجاب طفل آخر، لذا فالمهم أن تحصل (على) حل، حتى ولو فكرت في إدخال إبرة حياكة داخل جسدها، أو ربّما في رمي نفسها على الدرج لا يهم. والأهم في هذا المشهد كله أن أدلي بصراحة « أنّه لم

يتم إجراء أي شيء».

أخبرت أمّي الأخصائي الاجتماعي أنّها تخشى أن تكون (عنيفة للغاية) معي إذا كنت شقية، وأنها رغبت فعلاً بضربي وبشدة، ولم يتم اتخاذ أي قرار أو إجراء معها، مع أنني كنت قد أصبت بكدمات على رأسي وجسدي، وحروق في يدي وقدمي، وكانت التقارير المتعددة وقتها تؤكد أنّه قد تم تركي وشقيقي وحدنا...

في تلك الفترة ولسنوات لاحقة، كانت مسألة أنّ أمي تتأخر دائماً في سداد فاتورة الغاز موضع الاهتمام، أكثر من إهمالها لطفليها.

في وقت لاحق من العام ١٩٧٧، غضبت أمي من وصف الجيران لها «بالفاسقة». إثر ذلك أعطتهم الأخصائية الاجتماعية الحقّ فيما يصفونها به أمام مشهد الرجال المختلفين الذين يقومون بزيارتها أثناء وجود زوجها في السجن.

كانت أمي مهددة بالإخلاء بشكل مستمر بسبب تأخرها في تسديد أجرة الشقة، فقد كانت مبذرة بطريقة سيئة كما يبدو بوضوح... وكثيراً ما كان الأخصائيون الاجتماعيّون يقومون بإنقاذها ودفع فواتير الكهرباء والغاز أيضاً. إضافةً إلى أنها حصلت على تبرعات لملابس لي ولأخي... لكن التقارير عادت لتؤكدّ أنها لم تظهر أي إحساس بالمسؤولية ولا حتى تجاه أي أمر أو أي شيء.. في هذا الوقت تقريباً تم (تقديم) اقتراح مفاده أن تأتي أمي إلى الحضانة يومين في الأسبوع، فتبقى معي وبقربي

في بيئة خاضعة للرقابة، هذا الوضع سيؤثر إيجاباً في تحسين حالتي.. وما كان يقلقها هو بماذا سوف يفسر وجودها هذا من قبل العاملين في الحضانة؟ وكيف سيحكمون عليها، في اعتقادها أنّ الأمر كان من أجل وضع تصرفاتها تحت الرقابة، ويبدو لي أن ذلك سيكون بالفعل فكرة جيدة جداً.

تبيّن إفادة الجيران بأنّه قد تم تركي في الشقة وحدي أقلّه لمرة واحدة في الشهر، وأنّه في إحدى المرات، وفي أكتوبر ١٩٧٥ قامت الشرطة باقتحام المكان، وصدر الأمر الذي يقضي بوضعي لمدة ثمانية أيام في دار الرعاية، ومع انتهاء صلاحية الأمر، عادت أمي إلى المستشفى، وقد أصيبت بالاكتئاب لأعود أنا إلى دار الرعاية. أعيد تفصيل ذلك الأمر، والذي يقضي بإعادتي إلى دار الرعاية في أكتوبر ١٩٧٥ وفي أكتوبر ١٩٧٦.

فمن الواضح أنّه في كلّ مرّة أُترك فيها دون رقابة كان يتم إيداعي في دار رعاية - ليندس للأطفال - وذلك لمدة يوم واحد فقط، وثم يعاد بي إلى السيدة ميلر في تامورث ستافورد، وتبيّن السّجلات أن صلاحية الأمر المتعلق بالمكان الآمن الخاص بي قد انتهى بعد ثمانية أيام، لكنّ أمي كانت لا تزال في المستشفى، بعد آخر جرعة زائدة قد تناولتها..

مما يعني أن السيدة ميلر المروعة، ستجد نفسها مضطرة للاعتناء بي لمدة أطول قليلاً... لكنني حتماً سأكون في أمان. وبرغم أنّ أمر الإشراف على أمي في

المشفى لا يزال ساري المفعول، إلاّ أنها قد خرجت بعد خمسة أسابيع.

كان التنقّل بصورة مستمرة بين المنزل ودور الرعاية منهكا... ويا ليت الأمر قد انتهى عند هذا الحد، لأن أمي أعيدت إلى المستشفى في يناير ١٩٧٧، لأبقى مع السيدة ميلر أحد عشر يوماً على التوالي مرّة أخرى. لقد وجد الأخصائيون الاجتماعيون عددا كبيرا من التقارير التي تشير إلى بقائي دون رعاية لفترة طويلة، حتى عندما كنت في المنزل، وأنّ ثمّة عدداً كبيراً من الإحالات قد سجلت بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٦.

لقد كان شعوراً مريحا العودة إلى دور الرعاية... على الرغم من وجود أمر يقضي بوضعي تحت الرقابة لمدة ثلاث سنوات، لكنني كنت فيها أترك وحيدة، مهملة، وفي كثير من الأحيان تحت خطر مستمر.. لذا كان من الواضح جداً بالنسبة لي أنّ نقلي إلى مركز رعاية وبشكل نهائي في تلك المرحلة كان ضرورياً وواجبا، كانت وحدها لحظات إيداعي لدى رعاية نساء أخريات هي لحظات الأمان والنجاة الوحيدة في حياتي.

توضح السجلات أنه عندما كنت بعيدة عن أمي، كان يتم فحصي بانتظام، وأن قسم الخدمات الاجتماعية وجمعية بارناردو الخيرية للأطفال، قد عملا معاً بشكل وثيق على ضمان حمايتي، لكن بالنسبة لي لم يفعلوا ما يكفي لي أو لأخي.. وكان بإمكانهم فعل أكثر من ذلك.

أشار أحد التقارير في ذلك الوقت أن أميّ كارول « فتاة

جذابة للغاية، وقد هزلت بشكل ملحوظ خلال الأشهر القليلة الماضية، تميل إلى أن تكون سلبية، سريعة الإصابة بالاكتئاب، وبدل السؤال عما يجب عليها فعله للخروج من الأزمات، كان همها ينحصر في طلب الموافقة على الطريقة التي تعاملت فيها مع الأزمة.

على سبيل المثال: عيادة الأمراض التناسلية... فيما أفاد تقرير آخر: « إن عائلة رايت معروفة جيداً لدى هذا القسم» تدخل قسم العمل الاجتماعي ووصفت رئيسة القسم السيدة رايت: « بأنها سيدة غير ناضجة، كاذبة، ومتلاعبة، وغير مسؤولة أبداً» كانت معروفة جداً لهذا القسم بأنّها كاذبة، غير ناضجة، متلاعبة، ولا تتحمل مسؤولية أعمالها.

كان كل شيء هناك باللونين الأبيض والأسود، ولكن لا يبدو أن أيًا منها يدق أجراس الإنذار الصحيحة.

3

مساحات وأحلام

حين كانت أمي تأخذني لرؤية أبي في السّجن، كان الأمر بالنسبة لي كما في المرات التي كنت أزورها فيها في مركز الأمراض النفسيّة... كنت في الرابعة من عمري، كان أبي يجلس في انتظارنا، ثمة العديد من الطاولات والكراسي، فالغرفة كانت كبيرة، كان يرتدي قميصاً مخططاً من تلك القمصان النمطية التي يرتديها السجناء.

أكثر ما أتذكره وإليه يعود كرهي المستمر - لكريم الكاستريد - أنّني كنت أحصل عليه في علبة مزدوجة من السيدة التي كانت تبيعه مع المشروبات والوجبات الخفيفة، فقد كان لديها عربة في زاوية الغرفة.

كان أبي سعيداً دائماً لرؤيتي، وكان يتحدث إليّ كما لم تفعل أمي معي أبداً.

- قال لي: أنا أشتاقك كثيراً، هل أنت فتاة مطيعة لأمك؟

- إنّها عنيدة، ولا تطيعني.. ردّت أمي، وهي متعلقة بي

دوماً، لم تتركني وحدي أبداً، ولو لدقيقة واحدة أخلو بها إلى نفسي... لكأن الوقت الكثير التي كانت تبقى فيه بدوني لم يكن كافياً لها، فهي لم تبتعد عني بما يكفيها.

– بالتأكيد... هذه ليست الحقيقة، يرد والدي، فأنا لا أحتمل انتظار عودتي إلى البيت، لأقضي الوقت معها، ومن المحتمل كما بدا لي أنّ ما قاله أبي لم يكن سوى ردّة فعل عاطفية لأنّه كان سجيناً.

ومع ذلك فهو يبقى دائماً الشخص العاطفي في علاقتهما فهي كانت المقصّرة دائماً... كان جدالهما خلال زيارة السجن يزيد من صخب الغرفة التي بدت كأنّها قاعة الطّعام في المدرسة، وكان صراخهما يضيع، فلا ينتبه إليه أحد.

بدا لي مؤكداً أنّهما لم يتشاطرا الحبّ فيما بينهما، ومادام أبي في سجنه، كانت أمي حرّة في مواعدة رجال آخرين، وكان –توني– أحدهم، وقد انتقلنا خلال وقت قصير إلى بيته، وكانت كمن يؤدي دوراً تمثيلياً أمامه كأم فاضلة، فقد كانت خلال وجوده لطيفة جداً على غير ما كانت عليه، ولقد كان هو أيضاً لديه ابنة تبلغ من العمر حوالي سبع أو ثماني سنوات. لم أعرف من الذي أساء إليها، فقد كانت قد أودعت في دار الرعاية لأنها تعرضت للاستغلال... وقد بدا لي أنّه من غير المعقول ألاّ تكون أمي قد فكّرت في ذلك أكثر من مرة حتى تضع طفلتها الصغيرة في بيئة كهذه.

كان حال – لويزا – كحالي يوم كنت أُجر إلى مستشفى الأمراض النفسية، أو إلى السجن لزيارة والدي. لمّا أُخذت إلى دار الرعاية كانت لويزا تعيش هناك، في ذلك المبنى الذي يعود طرازه الهندسي إلى العصر الفيكتوري، فإلى جانب الطوب الأحمر كان هناك فسحة مفتوحة ومتسعة حيث بإمكان الجميع أن يتبادلوا الأحاديث، كان هناك العديد من الألعاب ولم أفوّت على نفسي فرصة الإفراط في اللعب بهم، كنت كمن يود أن يملأ فراغ مساحة الذاكرة، وإن بمحاولة يائسة مني لتوفير مادة غنية لمخيلتي أستثمرها في الأوقات التي يزيد فيها طول الوقت وتباطؤ مرور الأيام حين تخلو الغرف من أي نزيل...

في هذا الوقت أصبحت أمي حاملاً، ولم يكن لدي علم بذلك، لكن الملفات التي أوضحت أنّها قد أجهضت حين كان أبي في السجن، هي من أمدني بالمعلومة. حتى خروج أبي من السجن كنا نقيم مع توني، تحضرني تلك الذكرى الغامضة لأبي وهو يبحث عن أمي، وعندما وجدها أعادنا جميعاً إلى الشّقة التي احتفظت بها أثناء تواجدنا مع توني الذي اختفى منذ اللحظة التي عاد فيها أبي إلى البيت... وخلال وجودنا معاً. لم يكن ثمة أيّ جديد فلقد عادا إلى العيش معاً كما كانا من قبل، بينما بالنسبة لي فقد كان القليل من المودة التي تلقيتها من أبي هو الجديد فقط، تلك المودة التي تتناقض تماماً مع كل ما كانت أمي تدلي به من معلومات

للعاملين الاجتماعيين..

كانت تقول لهم إن كوني المولودة الأنثى لعائلتنا هو الصدمة الفعلية لأبي لأنه كان يتوقع أن يرزق بولد ذكر... هذا الإحساس لم يصلني منه أبدًا أيّ في يوم، لكنني أعلم أنّها كانت تودّ إزعاجي... ربّما حين نُعنونِ الحالة بقولنا: إنّها غريبة الأطوار فعلاً نكون قد أوضحنا الأمر، كانت تخبرني بأن والدي كان يوقظني ليلاً لأشاهده وهو يضربها، الأمر الذي لا يتناسب مطلقاً مع كل الأشياء الأخرى التي كانت قد قالتها في السابق.

لا أثر لهذا المشهد أبداً في ذاكرتي، فقد أخبرتني أن شقيقها وصديقه قد اعتنيا بي ذات يوم، وأنّها عندما عادت كان على ظهري أثر لحذاء يحمل العلامة التجارية لـ (دوك مارتن) فلو أن هذا الأمر حصل فعلاً، فما الذي سوف تجنيه من ذكره أمامي؟؟؟

ليس القصد فيما أرى أكثر من أن أبدو وكأنني شخص لا يوثق بحديثه ولا حتى بذاكرته، وأن ما أقوله غير صحيح.. مرعب مجرّد تذكر ذلك.

لا أعرف ماذا كانوا يعتقدون أنّه قد يتغير، أو أن شيئاً لابُدّ سيتغير، دون أي عملية تغيير، من خلال دخولي وخروجي لمرات عدّة إلى دار الرعاية منذ بداية عام ١٩٧٧. الدّوامة نفسها كانت تعاد، أتنقل للتّو بين بيئة وأخرى، من أمي إلى دار الرعاية مراراً. وفي نهاية العام عدت إلى دار الرعاية عندما خرج أبي من السجن، وبرغم انفصالهما رسمياً بحلول ذلك الوقت...

كانت حالتي في الأغلب خاضعة دوماً للرقابة، وكان يتم ذلك كل ستة أشهر، وكانت صورتي لديهم مرسومة بشكل يبدو في الظاهر مقبولاً من الخارج.. في الحقيقة كنت أبدو كطفل مثالي، له من العمر أربع سنوات ونصف فقط، ولكن القراءة فيما بين السطور كانت تبدي صورة أخرى فالنقاط الإيجابية المذكورة تقول: « وفقاً للصورة العامة، إنّها فتاة ذكيّة، يمكنها أن تخدم ذاتها، فهي ترتدي ملابسها وتخلعها بنفسها، وتحسن التحكم في أربطة الأحذية، ليست بحاجة للتشجيع، ولا تأخذ قيلولة خلال النهار، تجلس بهدوء إلى طاولة الطعام، وتتناول طعامها بشكل منتظم، وتطلب المزيد أحياناً، تتحلّى بآداب المائدة، وتجيد التعامل مع الموظفين، دافئة وحنونة، ليست متطلبة، ولا تفضيلات لديها، تتمتع بالتعاطف مع الآخرين، تسعد كثيراً لرؤية والدتها، فيما لا تبدي انزعاجاً حين تغادرها، ترتبط ديلاّ جيداً بالأطفال وخاصة الصغار منهم، فهي تساعدهم في ارتداء ملابسهم وغير ذلك، إنها تمتلك صفات أمومة وحماية».

كانت صورتي في تقييمهم تبدي ملامح طفلة « تتحلى بروح المبادرة والتخيل، حتى وهي تلعب لعبة المنزل العاصف، التي تؤدي فيها دور الأم، وتستمتع بالألعاب الإبداعية خصوصاً عندما ترسم أو تلوّن، مرتبة في التلوين، وتجيد التنسيق بين الألوان، وتغضب حين تخفق.. هي ليست أبداً فتاة خرقاء مهارتها العضلية جيّدة، كذلك تناسقها العصبي فهو جيد جداً بالنسبة لسنها كطفلة..

تنغمس بالعمل أثناء تنفيذ المهام، لا تحب أن يلهيها أحد عن ذلك، وليس من السهولة إلهاؤها تمتلك لغة مثيرة للإعجاب، وتعابيرها اللفظية جيدة».

في الأشياء المفضلة لديّ تحتلّ الموسيقى رأس القائمة، وحين أتمايل وأرقص وأغني أتوه في هذا العالم المحبب لدي حتى أنني أنسى نفسي بسهولة... هذه التي كانت تعتبر مجرد تسلية صغيرة في حياتي هي بالذات كانت تعني لي الكثير... كان التقرير قد تحدّث عن مشكلة الكدمات التي أصاب بها مع تمام معرفتهم أنّ أمي قد تصبح عنيفة جداً، وقد تضربني بقوة في بعض الأحيان... وأستغرب بشدّة كيف تقبلت السلطات آنذاك مسألة أننّي - أصاب بسهولة بتلك الكدمات المختلفة .. ولأنني ((تحت الخطر)) فقد تم تسجيلي في الحضانة، وكان فحصي يتم يوميّاً بحثاً عن تلك الكدمات، الأمر الذي أزعج أمي كثيراً... ولقد نوقش هذا الموضوع من قبلهم وخلصوا إلى النتيجة التي تقول بضرورة بقائي تحت إشراف اللجنة المتابعة - لنا - فيما أنا مع أمي.. وحتى مع خروج أبي في ذلك الوقت من السجن إلاّ أنه قد انفصل عن أمي فلم أمتلك أبداً فرصة اختبار حياة منزليّة حقيقيّة، وبالتالي فمن الطبيعي أن تخلو حياتي من شخصية ذكوريّة متزنة، وذلك أيضاً ما ذكر في ملفاتي، وإلى جانب أننّي «أظهر العديد من التصرفات المثيرة للمشاكل في المنزل» وكان ذلك من وجهة نظر أمي ...

كانت مشكلة أمي تكمن في كلّ ما يمكن أن يمنع أو

يوقف توقها إلى عيش حياة المرأة العازبة التي بداخلها، لقد أوضحت خطة العمل التي مُنحت لأمي أنّه يتوجب عليها أن تأخذني إلى مركز الرعاية الصحية في كل مرة يكون لديّ فيها كدمات خطيرة، وفي حال أنّها لم تفعل ذلك، سيقوم موظفو الحضانة بذلك شرط أن تمنحهم أمي أذناً موقّعاً.. ولقد أكدّ فريق اللجنة على وجوب تطور العلاقة بيننا نحو الأفضل، وأنّه يجب اتخاذ التحضيرات اللازمة لالتحاقي بالمدرسة في الفصل الدراسي الثاني بعد عيد الفصح...

لقد بكيت طويلاً ... أمام بعض الحقائق التي كانت- قد حفظتها ملفاتي والتي بالعودة إليها علمت أنه في عام ١٩٧٨، ثمّة رسالة متبادلة بين رئيس الخدمات الاجتماعية في حضانة - بارنادور - ونظيره في - برمنغهام - رسالة تؤكد صداقتهما، وكمّ الودّ الذي يجمعهما - وما لفت انتباهي بشدة أنه في الفترة التي كانت أمي تتأخر في دفع ٣٨,٣ جنيه إسترليني، وهو المبلغ المترتب عليها كقسط الحضانة، وكانت تلاحق بسبب هذا التأخير، يذكر التقرير أمراً غير اعتيادي عن أبي.

لقد كان يذكر أنّ أبي كان قد تبرع بمبلغ سخيّ جداً من أجل حفلة عيد الميلاد.. وأضاف التقرير ما مفاده: أن والد ديلّا يبدو أنّه يمتلك صفات قيادية جداً، ويُعتقد أنه سيعود مع زوجته ليعيشا معاً قبل عيد الميلاد... وعلى الرغم من أنهم لم يجدوا هذا الموضوع -مهمّاً- أقله في الوقت الراهن، أو ربما بالنظر إليه.

والملفت أن تصرف أبي قد ترك يومها انطباعاً واضحاً على مشرفة الحضانة ((السيدة التي كانت تطلق عليّ دوماً اسم ديلار بدون أي سبب))، أليس من الأنسب لو أنّ والدي هذا السخي قد قدم تبرعه لسدّ أقساط الحضانة، هذا هو الرجل الذي يمتلك الصفات القيادية...

وكان قد اتفق مع أمي على العودة للعيش معاً، ولكن يبدو أن علاقتهما تشبه إلى حد بعيد علاقتي مع دار الرعاية التي اتصفت بالتردد المستمر عليها.. فقد اتسمت علاقتهما بالفوضى والأخطاء المستمرة والمتكررة دوماً..

لا أتذكّر أنّه كان قد تمّ إعلامي بأنهما سيعودان معاً، وبأنني بذلك سأعود إلى الحياة مع أميّ، وما أعرفه أنّه في كل مرة أعود فيها - إليها كانت محافظة على تصرفاتها المعتادة غير المسؤولة... لا تفعل شيئاً، وتبقى في سريرها لوقت طويل جداً، أو تخرج من البيت لتبتعد عني.. دون أي عاطفة أو اهتمام لقد أحسست أنّني كنت شيئاً غير مريح بالنسبة إليها.. لكنني كنت أرغب بشدة أن أبقى معها.. لقد كانت أمي.. ولقد كنت أحتاجها. كم أحسست أنها سوف تتغيّر حتما ذات يوم وستصبح كالأمهات اللواتي أقرأ عنهن في القصص، حيث يكن موجودات دوماً إلى جانب بناتهن الصغيرات، وكل ما عليَ أن أكونه هو تلك الطفلة المناسبة...

كانت حضانة بارنادور تشعرني بالأمان، وكذلك كارولين التي أحببتها بشدة لقد جعلت المسافة بينها وبين أمي

تبدو كبيرة جداً بطريقة تعاملها معي. كان يتم فحصي كل يوم في الحضانة، وكنت أعلم أنهم يبحثون عن علامة فوق جسدي ليستدلوا على أن أمي غير قادرة على التعامل معي، أو ربما بمعنى آخر لا تصلح لذلك... كان وجود الكدمات والحروق والتورمات فوق جسدي لا يسمح لشعور الإساءة المتعمّد أن يملأني... وببساطة كان يتم تجاوز كل ذلك.. وخلاصة الأمر أنهم كانوا يرون تصرفها نتيجة طبيعية لامرأة لم تستطع أن تحسن الاهتمام ولا التعامل مع طفلتها، كانت العديد من الحقائق التي تشير بوضوح إلى أنني كنت وحيدة، تصدمني وبشدة، فقد كنت أصنع قطع الكعك من الأشياء الموجودة في خزانة المغسلة، وأبداً لم يتم تسجيل أيّ من ذلك من قبلها...

لقد كانت مخيلتي السّاحة الأكبر والمتسع الأهم لألعب قدر ما أستطيع.. أتخيّل السفن الفضائية على الجدار، وأحلم بأشخاص خياليين، لا أتذكر أبداً أنني امتلكت أيّ لعبة، ولكم كنت في مخيلتي شغوفة بإقامة العديد من حفلات الشاي، وصبّه في فناجين ذات صحون لجميع ألعابي وأصدقائي.. وظل الأمر حبيس حدود مخيلتي حيث أنني لم أمتلك في المنزل أي لعبة، كان من الممكن أن أعيش في منزل كارولين إلى الأبد، فحين بدأت تأخذني معها كنت أعيش عالماً مليئاً بالحب جميلاً.. نظيفاً، ولم أكن أرغب في مغادرته.

لقد كنت صغيرة جداً ليتملّكني إحساس الوحدة بهذا الشكل.. ولقد بدأ الأمر يصبح قاسياً عليّ كان منزلها هو

التمثّل الوحيد للحياة الطبيعية التي أمتلكها في رأسي، في أكثر الأحيان حيث كان أبي يقضي وقته بعيداً عن المنزل، كانت أمي لا تنفك تردد على مسامعي أن أبي لم يكن أبداً يرغب بي، فيما كانت هي في الواقع مهملة وغير مهتمة بشكل كبير، وحتى هذا الوقت كانت طفولتي مجرد مرحلة أمرّ بها ولا فكرة لدي عن مقدار السوء الذي ستصل إليه.

4

أتذكر اسمي

قرر أبي وأمي أن يبدآ بداية جديدة في حياتهما في عام ١٩٧٨، والخطوة الأولى كانت في الانتقال إلى منزل جديد، وكان ذلك المنزل يقع في الأحياء الداخلية لمدينة برمنغهام، وعلى بعد ميلين فقط من الشقق الشاهقة... لكن هذه البداية فيما يبدو ليست إلّا فرصة لزيادة الخلافات فيما بينهما. كان المنزل مؤلفا من ثلاثة طوابق، في الطابق الأول وإلى الجهة اليسرى يقع الحمام، والمطبخ في الواجهة الأمامية إلى الداخل وينفتح على غرفة المعيشة، وفي الطابق الثاني ثمة غرفة نوم إلى اليمين، بينما احتوى الطابق الثالث على غرفتي نوم وحمام، كانت مساحة مختلفة عمّا اعتدنا العيش فيه، منذ عُرض المنزل على والدي من قبل مجلس مدينة برمنغهام، كانت الخيارات المتاحة قليلة فكانوا إما أن يقبلوا أو يرفضوا، وكان المكان

سابقا في حالة جيدة، بينما الآن أصبحت المنطقة سيئة للغاية، ولكن بالنسبة لطفل كانت مكاناً رائعاً للعيش، فيه تعدّد ثقافات، وكان يبدو فيه تعدد جنسيات القاطنين فيه، فهناك جيران من جنسيات آسيوية وجامايكية.. وكانت الحديقة أجمل شيء فيه.

كان من المفترض أن تكون هذه هي البداية الجديدة بالنسبة لأبي وأمي، فهو قد خرج من السجن، وهي قد خرجت من علاقتها الغرامية، كل شيء بدا مثالياً، ولكن لفترة قصيرة، فلم يطل الأمر حتى ساء الوضع كثيراً... بالإضافة إلى عجرفة أبي فقد كان لديه نساء أخريات يتنقل بينهن.. وبعد فترة وجيزة من انتقالنا إلى أستون، التقى بإحداهن والتي فيما يبدو كانت تعني له، وكانت هناك تصدعات في علاقته بأمي، ولا أعتقد أن فكرة عدم إقامة علاقات مع آخرين كانت تعني لهما أمراً ذي فائدة..

لم يكن موظف الخدمات الاجتماعية الجديد على دراية كافية بقضايا الحماية، وإذا كان أمر الإشراف الخاص بي قد انتهت صلاحيته، فقد اتصفت المرحلة بالإهمال الواضح، أو ربما لم يعطوا هذا الأمر الاهتمام الكافي، فقد لحقت بي بعض الإصابات، وقد تمت الإشارة إلى ذلك في تقاريرهم، وأيضاً في سجلاتي الطبية، وقد تم إغلاق القضية... على الرغم من ذلك أفادت السجلات أيضاً أن أمي وأبي كانا يواجهان المزيد من المشكلات الزوجية، وكان الحديث عن الانفصال مرة أخرى، ومع ذلك، فقد كانت أمي تعتقد أنهم في الوقت الحالي

(يحاولون إعطاء أنفسهم فرصة)، لقد كان وضع أسرتي أشبه كثيراً بالتحديق في وعاء سباغيتي في محاولة معرفة نقطة البداية لكل قطعة وأين تنتهي؟؟؟

عندما عدت إلى الوراء في بحثي عن أشياء مثل الموسيقى في فترة السبعينيات والثمانينات في محاولة للحصول على جدول زمني، ظهرت لي المزيد من الذكريات، وأدركت أن تلك هي إحدى المشكلات التي يواجهها الكثيرون، أي الحصول على جدول زمني، وأدركت أن الدماغ عندما يهمس بالأحداث الصادمة فإنه إنما يفعل ذلك بالتزامن مع الجيد والسعيد منها أيضاً.

لقد اتضح لي أنه منذ بداية وجود أبي وأمي معاً، كانت أمي تعاني من البرود، لكنها أيضاً كان لديها الكثير من مشكلات الصحة العقلية، فكان عليّ أن أبحث لأفهم ذلك الأمر، فلربما لم يكن بمقدورها أن تكون أماً أفضل بالنظر إلى ذلك السبب الهام.

أما بالنسبة لأبي، فلقد أحببته في بعض تفاصيله، كان مسلياً جداً لكنه كان حقيراً مع أمي... عندما حدثت تفجيرات حانة برمنغهام عام ١٩٧٤، كان أبي خارج المنزل، وقد بقيت مستيقظة طوال الليل، خائفة عليه من أن يكون قد قُتل، كما حدث في الحانات التي ذهبت إليها كانت مرعوبة جداً، وقد بقي مفقوداً طوال الليل...

عندما عاد في صباح اليوم التالي، وبعد أن أمضى الليل كله مع إحدى نسائه قال لها: «لو لم أكن شقياً جداً لكنت الآن ميتاً» وما أنقذني هو ابتعادي عن تلك الحانة

وانشغالي في مكان آخر، كان وغداً في الحقيقة، ولقد وجد الأمر مثيراً للضحك...

كانت يخبرني دوماً أن اسمي إنّما هو على اسم إحدى خالاته البعيدات، وأنها كانت من يساعد عائلته في فترات الضائقة المالية.. واتضح لي أنّ هذا كان قصة أخرى من قصصه، فاسمي هو اسم نادلة، كان مفتوناً بها خلال فترة حمل أمي بي... ولقد أجبر أمي على تسميتي به... أنا الآن أدرك أنه كان خائناً، وقد أفلت كثيراً من مشاكل عديدة...

لقد استمر أبي في ممارسة الصيّد، ومرّة بعد أن انتقلنا إلى أستون، أخذني معه في رحلة صيد.. وقد اصطاد أرنباً. بالرغم من أنني كنت أكره قتل الأرانب، إلا أنني كنت سعيدة بالخروج معه، عند عودتنا أعد حساء من الأرانب بطريقة رائعة، وكان مسلسل وترشيب داون (مسلسل يدور حول تعرض مجموعة من الأرانب خلال رحلتهم لاقتحام وتدمير منازلهم من قبل الحيوانات المفترسة والخصوم). كان يعرف في ذلك الوقت.... والدي هو من اعتنى بي بينما لم تفعل أمي بدورها أي شيء ممتع معي، وعندما سقطت عن دراجتي كان أبي هو من ذهب بي إلى المستشفى.

ثمة حديقة فيها ملعب كرة قدم كبير، كان أبي يأخذني معه إليه أحياناً من أجل ضربة جزاء.. ونحن أيضاً كان لدينا حديقة خلفية، وضع أبي فيها قفصاً للقوارض، كان يحب جمع الأشياء دوماً، أتذكر أننا في إحدى المرات

تمشينا معاً إلى المصنع حيث كان يعمل هو، كان يقوم بأعمال اللحام، كنت أمشي وكان أخي في عربته، ورحنا نتجول على الطريق.

لقد عدنا إلى البيت ومعنا ماعز.. وأخبر أمي أن تستلمها من شخص كان يعمل معه، لقد بدت الفكرة لي جيدة، وكان على أمي أن تسير مع الماعز أيضاً..

لقد أطلقنا على الماعز اسم «سنُواي» فقد كانت بيضاء نقية، ووضعناها في الحديقة الخلفية، واضطررنا إلى إرضاعها برضاعة زجاجية، كان في ذلك متعةً لي، كانت الماعز تطارد الكلب الموجود في حديقتنا وتنطحه. كنت أعشق هذه الماعز، وأمضي ساعات في احتضانها، لكن البعض من الأطفال السيئين كان يرميها بالحجارة من خارج السياج، وهي كانت تظنها طعاما فتلتهمها. حتماً هذا الشيء سيؤدي في النهاية إلى قتلها.

قال لي أبي يوماً: هيا يا ديلا سنذهب في زيارة، مددت يدي إلى المعطف الذي كان ممسكاً به من أجلي، وأنا أسأله بحماس شديد: إلى أين سنذهب؟

فلم يكن لأمي أن أخذتني يوماً إلى مكان ممتع.. لقد تركتني إلى حد كبير ألعب وحدي.

وكما سبق أن ذكرت فلقد كان أبي أكثر تفاعلاً معي وأكثر لطفاً...

في مبنى قريب من مجمع السكن في نيوتاون، استخدمنا المصعد للانتقال إلى الطوابق العلوية، وفُتح الباب الذي طرقه أبي عن امرأة ساحرة الجمال، ذات

شعر بني طويل، وبغمرة وقبلة حب طويلة استقبلت أبي وهي تلف ذراعيها حوله، لقد قبلته أمامي بشكل محرج، مما دفعني أن اضغط بقدمي على الأرض بقوة، وأنا ابتسم، ثم قالت:

– أرثر، دعنا ندخل هذه الصغيرة إلى المنزل.

لقد كانت الشقة جميلة، كان ذلك واضحاً منذ اللحظة الأولى، كانت كأنها متجر للزهور تفوح في أرجائه عطور رائعة، وفي كل مكان كان ثمة أشياء كثيرة وجميلة.

– قال لي أبي: هذه ديبي.

– وقال لها: هذه ديلا

ابتسمت السيدة وهي تقول لي: لقد سمعت عنك الكثير، كان أبي ينظر إليها وكأنه يقول: ما الذي تقولينه؟ لم يكن هذا ما يهمني، ولا يعنيني إن كان ما تقوله حقاً. المهم عندي أنني في مكان جميل، وبرفقة سيدة لطيفة، ربما كان عليها ألا تقبل أبي بهذه الطريقة، لقد قدمت لي الكعك والعصير.. ولكنني شعرت بالأمان عندما غادرت مع أبي إلى غرفة أخرى.

أعطتني السيدة ديبي عينات صغيرة من العطر ومشطاً أيضاً لأخذها معي إلى المنزل، فهي تعمل في شركة آفون للعطور ومستحضرات التجميل، وكان قبولي لما أعطتني قد أشعرها بالرضا لذلك قالت: دعونا نرى ما الذي يمكنني أن أجده لك ربما شيئاً أكثر نضجاً..

عندما عادت من الغرفة الأخرى كانت تحمل زجاجة

عطر كاملة، على شكل سيدة... والتي ستظل أجمل ما امتلكته على الإطلاق، عند وصولنا إلى البيت كنت متشوقة لأري هذه الأشياء الجميلة لأمي، فهتفت بقوة.. انظري « ماذا أعطتني صديقة والدي التي ذهبنا لزيارتها »!!

أتذكر أبي وكيف كان ينظر إلى دهشتها المليئة بالغضب وهي تردد: صديقة أبيك؟ صديقة أبيك؟ حسناً، أليس هذا رائعاً... وكيف استدار على عقبيه مغادراً البيت تاركاً إياي مع نظرات أمي الغاضبة...

هل تتذكرين أين تعيش هذه الصديقة، سألتني بهدوء، أعرف البرج الذي ذهبنا إليه إنه ليس بعيداً عنا، أومأت وأنا أجيبها... أمسكتني من معصمي وأخرجتني معها من الباب حتى لم تترك لي فرصة خلع معطفي وهي تردد، حسناً لنذهب إلى زيارتها...

وعلى الرغم من أنني لم أستطع رؤية أبي في الطّريق يمكنني أن أجد ذلك المنزل، إلا أنني وبدون الحاجة إلى التوجيهات كان بإمكاني أن آخذ أمي إلى حيث تعيش ديبي.. إذ ربّما تحظى ببعض العطور الرائعة أيضاً... لم تلبث أن بدأت تتحدث بصخب عن أبي وديبي، واتضح لي أننا لسنا بصدد القيام بزيارة اجتماعية، افترضت أمي أنّهما كانا يتبادلان القبلات وكانت تبدو مستاءة جداً، ورحت ألوم نفسي بشدة لأنني أوقعت أبي في مشاكل، وأفسدت الوقت الجميل الذي أمضيناه لدى ديبي...

وعندما وصلنا إلى مكان الشقة لم أستطع أن أشير إليها بدقة عن الاتجاه الذي يجب أن تسلكه وأي باب من الأبواب ستطرق، بعد خروجنا من المصعد لم يكن لدى أمي أي فكرة مما زادها انفعالاً وعصبية. ببساطة شعرت بأنني أوقعت الجميع في ورطة.

أنت عديمة الفائدة دائماً، ولا أستطيع الاعتماد عليك في شيء، حسناً لنعد إلى المنزل، حين وصلنا إلى المنزل، دخلت أمي سريعاً إلى المطبخ، وتناولت سكيناً حادة، وراحت تركض خارج المنزل، انطلقت بسرعة إلى درجة أنها نسيت أن تغلق الباب خلفها، لقد عادت لتبحث عن شقة ديبي أو هكذا بدا لي.

وعندما عادت سريعاً توقعت أنها لم تجد ديبي فلا الوقت كان كافياً ولا هي كانت متماسكة، على الفور ذهبت إلى سريرها. لم يمض الكثير من الوقت حتى عاد أبي يستشيط غضباً، يضرب بيده على الحائط وصوته يملأ أرجاء المنزل.. ماذا فعلت يا كارول بحق الجحيم.. ماذا فعلت؟

جاءني صوت آخر، الآن.. الآن.. كل شيء على ما يرام يا أرثر، أخفض صوتك حتى لا توقظ ديلّا الصغيرة.. كانت ديبي تحاول تسوية الأمر، بينما خرجت أمي من سريرها، واستمرت هي وأبي في تبادل الصراخ لفترة من الوقت، كنت أحاول يائسة أن أمنع نفسي من سماعهما، فيما كنت أغلق أذنيّ بيدي وأنا مستلقية في سريري... في تلك الليلة بالذات لم ينجح بحثي عن سفينة الفضاء

وأزرارها على الجدار.. كانت هي تلك الليلة التي خرج فيها أبي ليعيش مع ديبي ....
لم يبد لي أبداً أن قلب أمي قد انفطر فلم يمض وقت طويل حتى أقامت حفل طلاق كبير في المنزل... كان ذلك محيرّاً جداً، كيف تستطيع أن تعيش اللحظتين، لحظة انطلاقها كالعاصفة مع السكين الحاد لتنتقم من ديبي... ولحظة احتفالها بالطلاق. كان العديد من الأشخاص في منزلنا يشاركونها الاحتفال، أصدقاؤها الذين سبق ورأيتهم من قبل موجودون يتسكعون حولها في المنزل، وكان أيضاً من بينهم شخص آخر.. شخص جديد.. تيري بريس، وصل ليلة حفل الطلاق.. ولم يغادر... كان عمره سبع عشر عاماً.

وأمي تردد دائماً، وكلّما سُئلت أنها شديدة الشعور بالأسف تجاهه، هذا الشعور بالذّات كان سبباً في تحول تيري منذ تلك اللحظة إلى جزء من حياتنا.. الناس يملؤون غرفة المعيشة، وحلقات الدخان غيوم تملأ المكان، والجميع يشربون ويرقصون على أنغام الموسيقى المتصاعدة، والخمر كان في كل مكان، حتى الطعام الذي طلبته أمي من المطعم كان أكثر مما رأيته من قبل في منزلنا... في كل مرة تقيم فيها أمي حفلة في المنزل، كان يتم وضع الأطفال جميعهم في غرفتي..

ظلت هذه القاعدة سارية المفعول حتى هذا الحفل الذي كان أكبر من أي حفل سابق، فقد تم وضعنا جميعاً في الطابق العلوي، مع حظر النزول وتحت أي عنوان ما

خلا خطورة موت أو حياة.

كنا ستة أطفال، وجميعهم يقفزون على السرير متفاعلين مع أنغام الموسيقى التي كانت تنطلق من الطابق السفلي. لم يُضِعْ تيري الكثير من الوقت .. فقد وصل إلينا ولا أدري ما إذا كان قد عيّن نفسه بشكل شخصيّ ليهتم بنا، وخاصة أنا .. الطفلة التي في السادسة من عمرها .. ليصيح فجأة أنت راقصة صغيرة رائعة، انظري أنت ترقصين، وتفعلين ذلك ببراعة، إنّها ديلّا؟ أليس كذلك .. انظروا .. هيا ديلّا .. كانت كلماته تجعلني أتابع ولا أدري ربما لأنني لم أحظ أبداً بالكثير من الاهتمام والإعجاب وبالأخص من والدتي، واستمريت في الأداء، واستمر تيري في التصفيق والتشجيع وهو يردد: «أنت نجمة صغيرة، أليس كذلك ديلا. نجمة صغيرة. أتذكر ذلك... ابتسم وقال: «يالها من أميرة مكتملة» أتذكره وهو يقول تلك الكلمات بصراحة كان كل شيء يبدو طبيعياً جداً.

كان تيري لطيفاً، وأنا لم أستأ من ذلك ولماذا أفعل؟ كان شخصاً مهتماً بي، وبدأ يرقص معي أيضاً: «اسمي تيري» غمغم في أذني منحنياً ونحن نرقص «هل ستتذكرين ذلك» وكنت أومئ برأسي مبتسمة .. مؤكدة «تيري» ليس ثمة من طريقة لأن أنسى هذا الاسم أبداً.

5

اليأس

تحت عنوان: ((أموت شوقاً لأحظى باهتمام أمي))

يمكن أن تجد لكل الأحداث التالية طريقة تصطفّ بها بسهولة من خلال اختياراتي بل موافقتي... من هنا كانت سهولة اختياري ل تيري برايس، وربما أكون في شوقٍ لمثل هذه المواقف، من يدري؟ ولم لا؟ وحده تيري برايس من قال: إنني راقصةُ رائعة، بعد أن ناداني بالأميرة.

لقد بقي معنا في تلك الليلة حتى نهاية الحفل، وقد بدا كرجلٍ جيد، إذ جعلني أشعر كما لوكنت فتاةً صغيرةً جميلةً، تمتلك مع الجمال موهبة الرقص.

في كل مرة أتذكر تلك اللحظات تسري القشعريرة في جسدي، ولو كان ذلك عرضاً سينمائياً، فسيشعر الجمهور كله بمثل ذلك، وهنا يأتي حبس الأنفاس في استشراف الرعب، وأعرف أنه إذ ذاك ستكون هناك وقفةٌ ويفترض أن تضاء عندها الشاشة، وتقفل على عبارة: «ديلّا

احترسي»

في تلك الليلة، وكانت الأولى التي أشعر فيها أنني في حالة جيدة، وقد ظهر لي، وقد أحسست بوجودي، ها هو، في غرفتي وفي حياتي.. لقد كنت مغفلةً تماماً، ((إذ لو كان لي أن أعود بالزمن فبما عساي التحدث إلى تلك الفتاة الصغيرة، فأنا لا أملك أية فكرة عما سأقوله لها))، وهل سأخبرها أنها ستجتاز الأمر، وأنها ستنجو! لا أعلم، ولو فعلت ذلك، فأنا الآن كمن يحمل خبرةً ما كان ليمتلكها في الماضي، سيتوقف الزمن ليقوم مضطراً بإخبار تلك الصغيرة الكثير الكثير عمّا سيأتي، ومن الذي يرغب في ذلك؟ فلو كان هناك شيءٌ ما رهيبٌ قادم باتجاهك، هل سترغب في معرفته، ما هو، وكم سيستمر، وما عساه يفعل لك؟

في صباح اليوم التالي عندما استيقظت كانت غرفة المعيشة مليئةً بالأجساد، وأعقاب السجائر تملأ المطفأة، كذلك زجاجات الشراب الفارغة متناثرةٌ في كل مكان. كل هذا جعل رائحة الهواء كريهةً، وقد تسربت عبر المنزل بأكمله. كنت سعيدةً لأن تيري كان لا يزال هناك، لقد كنت آمل أنه عندما يستيقظ سأجد شخصاً لطيفاً معي مرةً أخرى، لقد شعرت أنه كان هناك من أجلي فعلاً، كان ذلك جيداً.

– صباح الخير يا ديلّا، قال وهو يتثاءب، هل أتيت لتقولي مرحباً لصديقك تيري، أليس كذلك؟
– خجلت وأومأت بنعم، وشعرت بالارتياح لأنه كان يقول

إنه صديقي، فقد كنت أحتاج واحداً من هؤلاء.

- لقد كانت ليلةً رائعةً أليس كذلك؟
- وبنعم أومأت ثانيةً، فقد كانت هكذا بالنسبة لي، لأن تيري كان لطيفاً جداً، ولقد تذكرت كل ما كان يمدح به رقصتي، كان كأنه يستطيع قراءه أفكاري هذا ما شعرت به.
- لقد كنت هنا فتاتي الصغيرة المذهلة ليلة أمس، هل سترقصين مرةً أخرى من أجلي؟
- ضحك تيري عندما أومأت بالإيجاب للمرة الثالثة، وقال: أهذا كل ما يمكنك فعله؟ كلب صغير يهز رأسه؟ حسناً عما قريب ستعرفين أن بإمكانك أن تقولي أي شيئاً لي، لا تقلقي يا أميرتي.

عاد تيري ليستلقي ساحباً الغطاء فوقه، وعدت أنا إلى غرفتي، تتناثر مشاعري كما هو شأنها دوماً، لكن كان ثمّة توهجُ دافئ في داخلي كما لو كان لدي شيءٌ جديد، كان لدي تيري.

كنت آمل ألا يكون كواحدٍ من الرجال الكثيرين الذين عبروا سريعاً وخرجوا من حياتي، فقد كنت آمل أن أراه مرةً أخرى. لم أدرك سريعاً أنه بالفعل قد انتقل للعيش معنا، كما لم أكن متأكدةً ما إذا كان على علاقة بأمي. كان كل شيءٍ في حياتها يدور حول الرجل التالي، وهذا ما يبعد احتمال عدم تورطهما بعلاقةٍ جنسية. كان لديها دائماً شيءٌ ما تبحث عنه، وتفعل هذا في الأماكن الخطأ، لكن ما يمكنني قوله، أنني لم أمسك بهما مطلقاً وهما يمارسان الجنس، لذلك فأنا حقاً لا أعرف.

أعرف أنها برغم كونها أماً سيئة، إلا أنها وباستمرار بحثت عن أشخاص يحتاجون لإنقاذهم - لم تكن تبدو قريبةً من المنزل - كان الموضوع فرصةً لها تسدي فيها لـ تيري معروفاً، من خلال السماح له بالإقامة لدينا. وقد كان بذلك محظوظاً جداً كما سيتضح كل ذلك من خلال سلوكه وأفعاله الرهيبة.

لقد قام تيري بإعادة بعض الأشياء إلى ما كان يجب أن تكون عليه بشكل طبيعي، فقد اهتم بالطبخ، وتبادل الحديث معي، حتى أنه نظف صواني قمامة القطط، ولاعبها، الأمر الذي لم تفعله أمي أبداً. لقد بدأت تعمل في متجر لبيع الرقائق مما جعل تيري وبشكل رئيسي من يقوم على رعايتي، وبالنسبة إليها، فقد غدا لديها جليسةُ أطفالٍ مقيمةٍ وتستطيع بذلك الخروج متى شاءت.

عندما تذهب، كنت أحاول منعها، وهو الأمر الذي لم ينجح أبداً، فعلى الأقل إن تيري موجودٌ لدي الآن. كان يقول «افتحي التلفاز يا ديلّا، ولنرَ إذا ما كان ثمّة شيءُ لنستمتع قليلاً بالرقص عليه.

- «لا شيء على التلفاز»

ويأتي الاقتراح التالي « لنضع أسطوانةً يا ديلّا ولنتابع بعض حركاتك. لقد أحببتها.

كنت أحب الرقص وأحببت أنه يعتقد أنه يستحق العناء. تعود أمي في بعض الأحيان ويكون ردها الوحيد هو، « يا إلهي، هل تقفزين مثل مهر الاستعراض مرة

أخرى؟»

لم يتلاشَ هوس أمي في الحصول على شريك من أصحاب البشرة السوداء. - كانت ستذهب مع أي رجل، فهذا كان هدفها الرئيسي. كانت نوادي البلوز الجامايكية مكانها المفضل، أو الأحداث الطلابية، حيث ستجد دائماً شخصاً ما. كانت تضع ثقلاً كبيراً في هذه المرحلة وادعت أن «منحنياتها» كانت موضع تقدير أكبر بكثير هناك - لقد كان هذا محور نقاش مستمر منذ أن كان والدي في المنزل. لقد كان عنصرياً، ولا شك في ذلك، وكان يصرخ في وجهها بأنه ليس أكثر من «لحم رجل أسود».

«أنت مقرفة، ولعينة!» كان يصرخ. «أنا لا أريد النظر إليك، فأنت دائماً ما تحومين حولهم، لقد كنت كذلك دائماً.»

«لماذا تعتقد ذلك؟» صرخت مرة أخرى. «أريد رجلاً حقيقيا، وليس شخصاً مثيرًا للشفقة مثلك.»

أتذكر أنه في أحد الأيام صرخ في وجهها قائلاً: «لم ترغبي بي أبداً، أليس كذلك؟ لقد كنت دائماً تلاحقين أحداً من السود.

لكنها انفجرت قائلة: «استغرقت وقتاً طويلاً لتكتشف ذلك، لقد ظللت معك لأطول فترة ممكنة عندما وضعت هذه الفتاة في بطني، ولكن كان عليّ أن أتقبل الفتات منك في نهاية المطاف.»

الآن بعد أن ذهب أبي وجاء تيري، أصبح بإمكانها الذهاب لمطاردة الرجال وقتما تشاء. كانت أمي في حالة سكر دائم أو منتشيه من تناول الأدوية إلى درجة أنها لم تكن تهتم بما يجري من حولها.

وبالإضافة لذلك، كانت تلعب بعقلي لفترة طويلة إلى درجة أنني لم أكن أعرف من كان جيداً ومن كان سيئاً. عندما انتقل تيري للعيش معنا، كان شعورها وكأنها فازت باليانصيب.

كان بإمكانها الخروج كل ليلة والعثور على من تريد - والغريب أن تيري كان بمثابة أهلي أكثر مما كانت عليه في أي وقت مضى. كان عليّ أن أرتدي ملابسي وأذهب بنفسي إلى المدرسة معظم الوقت لأنها كانت لا تزال في الفراش، في حالة سكر من الليلة السابقة. بشكل مثير للشفقة، ما زلت أريدها - ما زلت أريدها أن تكون الأم التي لم تكن أبدًا ولن تكون أبدًا.

في المرات القليلة التي كانت تأخذني فيها إلى المدرسة، كنت أخلع ملابسي في الطريق - كنت أبدأ بحذائي وجواربي، ثم بقية ملابسي، وأنثرها ورائي، على أمل أن تدرك أنني لا أريد الذهاب بل أريد البقاء معها في المنزل طوال اليوم. إلا أن ذلك لم ينجح أبداً. كانت تسحبني إلى هناك. كان الأمر غريباً، لقد كانت بشكل كلي ومؤكد لا تحبني، لكنني كنت أشتاق إليها بشدة وأردت أن أكون بجانبها باستمرار. أصبحت معروفةً بالطفلة الشقية منذ هذه السن المبكرة بسبب تلك السلوكيات

وهي بالتأكيد لم تكن خجولة من إخبار الناس.

كانت تتذمّر قائلة: «إنها تتعلق بي بشكل مستمر، ولا تبتعد عني أبداً، متمسكة بي جداً. يجب أن أتخلص منها وإلا فلن تسمح لي بإنجاز أي شيء أبداً. «كانت تعني أنه إذا كنت معها، فسيتم قص جناحيها. لم تكن تقصد بقولها هذا الحصول على أي عمل محترم أو أي شيء من هذا القبيل، لقد أرادت فقط أن تتصيد الرجال.

كانت أمي تخرج من المنزل، ويبقى تيري لمجالستي، كنت أرغب في أن أكون معها على الرغم من أن تيري كان لطيفاً معي في تلك المرحلة. كنت أصرخ بينما كنت أطاردها على الطريق، وأتوسل إليها للبقاء في المنزل معي. كانت تتمايل فقط وهي ترتدي كعبها العالي، وتطلب مني أن أعود إلى المنزل.

هل كان لدي تحذير مسبق لما كان تيري سيفعله، هل لهذا السبب أردت منها البقاء؟ لم أكن لأعرف الكلمات أو حتى أعرف ما هي الإساءة، لكن ربما شعرت أنني بحاجة إلى وجود شخص آخر هناك، كنت بحاجة لأمي، على أمل أن أكون بأمان.

كان تيري يعاملني جيداً - في تلك المرحلة. ومع ذلك، على الرغم من كونه شاباً وطويلاً ونحيفاً، إلا أن رائحته كريهة دائماً. لم يكن يهتم بنظافته أبداً، وهذا جعلني أبتعد عنه في كثير من الأحيان عندما يقترب مني. بالتفكير فيه الآن كما كان آنذاك، يبلغ من العمر ١٧ عاماً،

لا بد أنه لم يشعر أبداً أنه بحاجة إلى التأثير بأحد. لم أشعر أنه اغتسل من قبل.

لم يقم تيري بأي عمل، لكنه قام أحيانًا بوظائف قليلة كجزء من متطلبات إعادة التأهيل الجنائية الخاصة به، وذلك بسبب أنه كان مداناً بارتكاب جرائم جنسية في الوقت الذي دخل فيه حياتنا وهذا، على ما أعتقد، هو سبب رغبة أمي في إنقاذه.

كان عمره أقل من ١٧ عامًا عندما تم القبض عليه وهو يعتدي على الفتيات في دار الرعاية حيث تم وضعه، ولكن نظراً لصغر لسنه، فقد أفلت من العقاب في تلك المرة. وكان سيفعل ذلك في الكثير من المرات لاحقاً. لم يخطر ببالي أبدًا أنه كان شخصاً غير لطيف، لقد كان رجلاً بالنسبة لي، على الرغم من أنه كان يبلغ من العمر ١٧ عامًا فقط في تلك المرحلة.

كان تيري موجوداً في حياتي في كل الأوقات، عندما أذهب في الصباح، وعندما أعود، وفي نهاية كل أسبوع. كنت أتطلع إلى كلماته، وتكراره المستمر لمهارتي في الرقص، وكيف أطلق عليّ لقب أميرته الصغيرة، وبأنني النجمة الصغيرة. ما لا يفهمه الكثير من الناس هو أن عملية الاستمالة لا تتعلق فقط بالسلوكيات الجنسية، ولا يقتصر الأمر على أول لمسة يقومون بها بشكل غير لائق لمعرفة مقدار الاستجابة وما الشيء الذي يستطيعون الحصول عليه، وما هي العوائق التي تواجههم قبل أن يتمادوا في أفعالهم.

إن الاستمالة تأتي من تلك اللحظة عندما يصبح صديقك، ويكون هو الشخص الوحيد اللطيف لديك، عندما يكون جليسك أو مقدم الرعاية لك، عندما يقوم بإزالة القليل من الأوساخ عن وجهي، فهذا جزء من العناية. عندما يقول لي شيئاً لطيفاً أو يغمز لي عندما تقوم أمي بالإساءة لي أو حتى غمز في وجهي بعد أن بدأت أمي، كان ذلك جزءًا من العناية به.

لقد فعل كل الأشياء التي تجعلني أفكر فيه بطريقة جيدة، لقد قام بتنظيف صواني فضلات القطط ليصبح بيتي نظيفاً ورائحته جميلة. كل هذه الأشياء تتراكم وكل ذلك يجعلني أفكر، أنه شخص لطيف، يمكنني الوثوق به. كانت الحواجز تتهدم ببطء، لبنة لبنة، قطعة قطعة.

لهذا السبب يجب أن يكون الأمر متروكاً للآخرين لمعرفة سبب قيام هؤلاء الأشخاص بإدخال أنفسهم في حياة الأطفال والتصرف بناءً عليه.

هل يمكن أن يكون من الصعب القيام بذلك؟ بالطبع يمكن - إنهم أذكياء، يتلاعبون ويفعلون ذلك بشكل تدريجي. لكن حقيقة الأمر لم تكن دقيقة هنا. كنت طفلة صغيرة معروفة لدى الخدمات الاجتماعية التي تعرف أيضاً حالة والدتي. كان مجرمًا كان معروفًا بالفعل بالاعتداء الجنسي على الفتيات الصغيرات. ولكن هل فعلوا أي شيء؟ لا، لم يفعلوا شيئاً. أغمضوا أعينهم حتى عندما علموا أنه يعيش معنا، وبفعلهم ذلك أعطوه الحريةَ لأن يفعل ما يريد.

6

يا لها من فتاة صغيرة رائعة

كنت في السادسة من عمري عندما فعل تيري لأول مرة شيئاً من شأنه أن يكون جزءاً يحدد طفولتي، وعلى الرغم من أنني لم أستطع تحديد المدة التي قضاها معنا بالضبط، فقد شعرت أنها مرت بسرعة. أعتقد أنه مضى على وجوده معنا حوالي الثلاثة أشهر، ولكن من الصعب وضع جداول زمنية محددة لأشياء من الطفولة. كان لطيفاً جداً معي، والآن أدركت أنّه اعتنى بي منذ أول ليلة منذ حفل الطلاق. كان الأمر كما لو أن أبي قد خرج من باب ودخل آخر. أسمعني تيري أجمل الكلمات، وصفني بالأميرة وبالفتاة الجميلة.

كان الحمام يقع في جوار غرفة نوم أمي، وكان يقع تحت نافذة سقيفة يدخل منها النور وأشعة الشمس لتجعل من هذا المكان مكاناً مشرقًا حقًا حيث، في أحد

الأيـام، نادانـي تيـري بصـوت عـالٍ. «ديـلا، تعالـي انظـري! انظـري! ركضـت متشـوقة لـرؤيـة شـيء ممتـع، لكنـه كان هـو فقط، فقط تيري واقفاً فوق المرحاض ويده على قضيبه.

– صاح «انتظري حتى تشاهدي هذا!».

بـدأ فـي تحريـك قضيبـه نحـو الأعلـى والأسـفل، ثـم بـدأ يحركـه بشـكل أسـرع وأسـرع، مـع إطـلاق تأوهـات. فجـأة، خرجـت منـه الكثيـر مـن الأشـياء التـي جعلتـه سـعيداً. ثـم قال:

– «أنظـري إلـى هـذا، ملاييـن الأطفـال أصبحـت فـي قـاع المرحاض».

فـي مجموعـة مـن ذكرياتـي، عـادة، تختلـط كل الأشـياء معـاً، ويمكننـي محاولـة تفكيكها ورؤيـة المزيـد من عملية الاسـتمالة، لكـن هـذا اسـتغرق وقتـاً. مـع مـا حـدث فـي المرحـاض، أرى ذلـك بوضـوح شـديد. لـم أسـتطع فهـم مـا كـان يفعلـه، ومـا الـذي يخـرج منـه، أو لمـاذا كـان يتحـدث عـن ملاييـن الأطفـال الضائعين.

لـم يكـن لـدي أي مفـردات لفهـم هـذا القـدر مـن الأشـياء، ومـع هـذا، لـم يكـن لـدي أي فكـرة حقـاً – كنـت أعـرف مـا هـو الطفـل وعرفـت أن الملاييـن كانـت رقمـاً كبيـراً حقـاً، ولكـن مـا الـذي كان يتحـدث عنـه؟ لـم أكـن أعـرف مـا الـذي كان يفعلـه لكنـه بـدا خياليـاً. لقـد كان شـيئاً جديـداً تعلمتـه، لقـد كان درسـاً علميـاً منحرفـاً. بعـد ذلـك كان كل شـيء طبيعيـاً وعاد لمشاهدة التلفاز.

كان تيـري جيـداً جـداً فـي التركيـز علـى الأشـياء التـي

تهمني، والتي لفتت انتباهي. لقد، كان الفيلم المفضل لدي ألفيس. كان ألفيس هو بطلي وعندما كنت ألعب بالدمى كانت لعبتي مرتبطة بهذا البطل. صنعت أمي لي تنورة زرقاء لامعة (في محاولة نادرة لتكون أماً جيدة) حيث أردت أن أرقص في جميع أنحاء الغرفة مع ألفيس وتنورتي تدور.

كنت أشعر بالضيق الشديد عندما كانت أفلامه تعرض لأن ألفيس قد مات وكنت أرقص لأشعر بالفرح والسعادة. كان تيري يعرف كم أحببت ألفيس كما يعلم أنني أحب الرقص - لذا استخدم هذا الأسلوب في المدح والإطراء ليجعلني أشعر بالارتياح أثناء بكائي.

- كان يقول عندما أبكي :

«آوه ، لا تنزعجي يا ديلا - تعالي لأحتضنك، لا يزال بإمكانك الاستماع إلى ألفيس، ويمكنك مشاهدته على التلفاز. فأنت فتاتي الطيبة، أليس كذلك؟»

ما زلت أعشق الموسيقى كان البرنامج المفضل لدي هو Top of the Pops. كان تيري يجلس على الأريكة ويقوم بتشغيلها ويشجعني على الرقص أكثر.

كان يمدحني كالعادة، ويثني على رقصي، ويناديني بالأميرة كان يهتف: ‹انظري... انظري كيف تدور التنورة حولك. تعالي إلى هنا، دعيني ألقِي نظرة أفضل عليك.

كنت أرغب بذلك، فاقتربت منه أكثر، معتقدة أنه كان معجباً برقصتي وأشعر بالفخر جداً لمدى أدائي الجيد في تنورتي الزرقاء اللامعة. كان يشجعني على الدوران

بشكل أسرع وأسرع، فكنت أستجيب له وأدور وتنورتي ترتفع أكثر وأكثر، كنت متأكدة أن سروالي الداخلي كان يظهر، إلا أنني لم أهتم بذلك.

تتطور الأفكار والذكريات في مخيلتي ببطء، وتتراكم وتتراكب بتدرج، فقد بدا لي وكأن تيري قد قرر فعل ما يرغب به بسرعة كبيرة. فقد جعلني أخلع كل ملابسي بسرعة. عندما نعاني من الصدمات، فإن الذكريات لا تتصرف بطريقة مناسبة. فهي مبعثرة في كل مكان، وتتصرف براحتها داخل رأسي، ونحن لا نمتلكها أو نتحكم بها. فهي تقرر أن تتحرك وتظهر في الوقت الذي ترغب فيه مع أن ذلك قد لا يكون منطقياً أبداً. كما أنه قد توجد فراغات كبيرة ضمن هذه الذكريات، وكأنها قطع كبيرة من تجاربك الحياتية قد تم اقتطاعها، ولا توجد أي وسيلة لإعادتها.

عندما أفكر بما فعله تيري وكيف بدأت الأمور، فإنني أتذكر قطعة من هنا وفكرة من هنالك، ولكن لا يوجد أي تسلسل منطقي أو نقاط علامة على روزنامة حياتي لتذكرني بتسلسلها.

لقد أصبح وبسرعة محترفاً بالتحدث عما أحبه، الموسيقا وألفيس والرقص. كنا نشغل الموسيقى طوال الوقت، لذلك فإن الأمر يستغرق وقتاً قبل أن نصل للمرحلة التي يرغب بها وهي أن أتعرى من جميع ملابسي. كان يمتلك السيطرة عليّ بشكل كامل، فلم يأخذ معه الموضوع وقتاً ليضعني في المكان الذي يرغب فيه. كانت

أمي غير موجودة طوال الوقت، وكان موجوداً معي طوال الوقت عند قدومي من المدرسة، أو في المساء، أو طوال أيام العطلة الأسبوعية.

كأن الأمر يبدو وكأننا نلعب لعبة سوية، وقد جعلها تبدو كلعبة مسلية، أنا أدور وانا مرتدية تنورتي لترتفع، من ثم أقوم بخلعها، وقد كان يقوم بخلع ملابسه أيضاً كي نكون متشابهين. كان يبدأ بقميصه، ثم بنطاله، كان الأمر مسلياً، ثم أخلع تنورتي ومن ثم البلوزة، لأنتهي بخلع سروالي الداخلي.

أتذكر مشاهدة برنامج Top of the Pops لأول مرة، هذا يعني أنه كان يوم الخميس مساءً، وكان يعرض فرقة بوني إم، أنا متأكدة من ذلك، كانت أمي في الخارج في أحد النوادي، وهو أمر أصبح اعتيادياً منذ أن أصبح لديها تيري كجليسة أطفال مقيمة في المنزل، وكنت أرقص كالعادة وقد تهت في عالم الموسيقى، وكانت عبارات الإطراء نفسها تتوالى منه: أنت راقصة ممتازة يا ديلا، أنت جميلة جداً يا ديلا، هل تستطيعين الدوران أكثر من أجلي، أنظري كيف تطير تنورتك القصيرة، هل تستطيعين رفعها أكثر من أجلي، إنّ هذا رائع جداً، لماذا لا تخلعينها ولِنر هل تستطيعين الرقص بشكل أفضل بدونها. لماذا لا تخلعين بلوزتك أيضاً، وماذا بشأن سروالك اخلعيه، هل أخلع ملابسي أنا أيضاً لنكون مثل بعض. وهكذا في نهاية الأمر أصبح أنا أرقص عارية وهو يُغدق عليَّ بكافة عبارات الإطراء، وهو عار أيضاً.

كان هنالك صورة في غرفة المعيشة لدينا تظهر طفلين على أرجوحة وكانا عاريين، وهو ما جعل الأمر عادياً بالنسبة لي. لو كان هنالك صور لأشخاص عارين أيضاً على حائط الغرفة لكان الموضوع طبيعياً. كان تيري يفعل ما يرغب فيه، وأنا كذلك.

عندما ينتهي البرنامج أكون مرهقة من كثرة الرقص، ولقد كنت سعيدة، كنت أعرف ذلك، لم تكن مسألة كبيرة بالنسبة لي أن أبقى دون ملابس، لقد جعل الأمر يبدو طبيعياً.

" أنظري إليك كم أنت متعبة، تعالي واجلسي بجانبي على الأريكة ولنتعانق" علق تيري. ولأكون صريحة، كنت متعطشة للاهتمام الذي لم أحصل على أي منه مسبقاً، لذلك كنت أفعل ما يريد. أجمع ملابسي من على الأرض، أرتدي سروالي الداخلي، وأجلس على الأريكة بجانبه، وأدعه يحتضنني.

كانت تلك الأريكة محفورة بذاكرتي، قماشها لونه بني غامق من لون الشوكولاتة، ومخططة بخطوط بني أفتح لوناً.

قبل وقت طويل كان يقبلني، وكان سروالي الداخلي يخلع ويرمى خلف الأريكة، لا أعرف كيف، وكنا نستلقي وهو يلمس جسدي ويقبلني ويجعلني ألمس جسده أيضاً.

أنا لا أتذكر كل شيء، ليس كل تفاصيل الموضوع. لا أعلم إن كنت أرغب بذلك، في بعض الأحيان أتخيل أنه

بتذكري لكل التفاصيل ضمن تسلسلها الزمني الواضح والمرتب، وملئي كل الفرغات التي أمتلكها في ذاكرتي، فإن ذلك قد يساعدني في وضع نهاية مناسبة للقصة في عقلي. وفي بعض الأحيان يخبرني قلبي أنني أتذكر فقط ما أستطيع تحمله.

في تلك الليلة، انتهى كل شيء بالنسبة لي بشكل سريع عندما عادت أمي إلى المنزل، أسرع تيري بي إلى غرفتي، ووضعني في سريري. كان كلانا عارياً، ولابد أنه قد سمع صوت المفتاح يوضع في قفل الباب. كان تيري قد احتل غرفتي القديمة عندما انتقل للعيش معنا، وانتقلت غرفتي إلى الغرفة المقابلة لغرفة المعيشة، عندما سمع صوت دخول أمي إلى المنزل، فإنه رماني في سريري مع ملابسي، ولكنه لم ينتبه إلى أن سروالي الداخلي قد تم رميه وراء الأريكة. وعلى ما اعتقد فإنه أسرع لارتداء ملابسه.

في الوقت الذي عادت فيه أمي إلى المنزل، كان تيري قد قضى ساعتين على الأقل يفعل بي ما يريد، كان قد جعلني ألمسه حتى وصل إلى مرحلة الانتشاء، وقد كان الوضع سريعاً جداً، وقد تمادى في الموضوع، فلم يكن هنالك من يوقفه، وكان يستطيع التحكم بي كما يريد. أنا لم أعرف ما الذي يجري، وكأن في ذلك ما سيغير بالموضوع أي شيء.

لم أعلم ما الذي حدث بقية تلك الليلة، فقد رحت بنوم عميق، ربما كنت متأثرة بصدمة قوية ولم أكن أعلم.

في اليوم التالي وجدت أمي سروالي الداخلي خلف الأريكة، وقد نهرتني بشدة لتركي ملابسي الداخلية المتسخة في أي مكان.

"أنظري إلى هذا أيتها الصغيرة القذرة، ما هذا الذي تفعلينه بتركك ملابسك الداخلية المتسخة في كل مكان" صرخت بي بشدة. ما الذي كانت تفعله فأنا مجرد فتاة في السادسة من عمري.

عندما قام برميي في سريري في تلك الليلة، كان قد جعلني أتماشى معه وألا أتحدث في الموضوع مع أحد، فقد كان يعدني بأشياء كثيرة وجميلة، فهو لم يهددني بأي شيء سيء قد يحدث لي، فقط وعود جميلة.

" يا لك من فتاة صغيرة رائعة وجميلة يا ديلا، سوف أشتري لك لعبة جميلة قريباً" هكذا كان يقول لي، وكنت أعرف ماهي اللعبة التي سأشتريها، كان هنالك لعبة جديدة لألفيس في محلٍ في المدينة، كان يلبس بدلته البيضاء ويحمل ميكرفون، وعند الضغط عليه يغني.

كانت أحبها جداً، ولكنني كنت أعلم أن أمي لن تشتريها لي أبداً، كنت ما أزال لا أملك أي لعبة بعد، لذلك كانت لعبة الفيس تعتبر حلمي الرائع. لكن منذ اللحظة التي عرف بها تيري أنني أرغب في الحصول عليها، كان دائماً يعدني بإحضارها لي، وقد أحسست بداخلي أنني يجب أن أطيعه كي أحصل عليها.

منذ تلك الليلة التي كنا فيها نشاهد البرنامج الموسيقي

أمام التلفاز، لابد أنه قد فكر أنه يستطيع أن يلمسني أو أن يجعلني عارية من ملابسي في أي وقت أو فرصة تسنح له. كان غالباً ما يأخذني معه إلى لقاءات مراقبة إخلاء السبيل الخاصة به، وكانت هذه الرحلات الصغيرة تتضمن المرور بالمتجر حيث تعرض لعبة ألفيس بالإضافة إلى المرور بمحل الحيوانات الأليفة لرؤية الببغاوات المتحدثة التي كانت تجلس على الأرجوحة. كانت هذه أشياء رائعة لنقوم بها، وكنت أعلم أنني لو تحدثت، فإنني سوف أحرم من تلك الرحلات إلى محل الحيوانات الأليفة، ولن أتمكن من الحصول على لعبة ألفيس، بهذه الطريقة كان يتلاعب بي.

ولم أحصل على اللعبة أبداً.

إن فكرة أن شاباً عمره 17 عاما مدانٌ بالاعتداء على الأطفال، وكان يصطحب فتاة صغيرة معه إلى لقاءات مراقبة إخلاء السبيل هي فكرة مريعة، ولكن لم يهتم بذلك أحدٌ. لم يسأل أحد أيّ سؤال أو يستغرب من الموضوع، أو يشكَّ بالأمر. الفكرة هو أن تيري كان يجعل هذه الزيارات مليئة بالمتعة، فقد كان يتم منحه مالاً في هذه الزيارات، فكان يصطحبني معه لتناول الطعام في مركز مدينة بيرمنغهام، وفي النهاية يشتري لي الحلوى لنأكلها في طريق عودتنا في الحافلة. كان يوماً ممتعا خارج المنزل، كان يدللني ويجعلني أحس أنني مميزة، إذا رضيت بفعل الأشياء الأخرى معه، كانت هذه الأمور هي مقايضة بيننا، ولكني لم أشعر أنها أمور خارج الطبيعة.

لقد كان ذلك فشلاً ذريعاً من السلطات أن تتركني متواجدة ضمن لقاءات تيري، ولكنها حدثت كثيراً. كانت تبدو وكأنها جزء من أجزاء الحياة الاعتيادية، وشيء أتطلع للقيام به. كان هنالك ألعاب في مكتب المراقبة. إن الأمر مثير للحنق الآن عندما أتذكر هذه الأمور، كانوا يعلمون أنه مجرم مدان بالتعدي على الأطفال، وأنه يعيش في منزلنا، ويستطيع الوصول إلي. لقد كان تحت المراقبة لهذا السبب، ولكن كان يقوم بزيارتهم ومعه طفل وكأنه يتباهى بهذا الأمر أمامهم.

لم يتحدث أحد منهم معي، وكنت فقط ألعب هنالك. لم يسألني أحد كيف هي حالي، وكيف تعرفت على تيري، ولماذا أنا معه. لم يبدُ أن تيري كان يهتم بهم، فقد كان الحظ يساعده جداً، فكان لديه امرأة لم تهتم بأولادها، كان يستطيع الوصول إلي، فقد كانت خارج المنزل طوال الوقت، تتركني معه وحيدة، وحتى السلطات لم تقم بأي شيء. تظهر السجلات أن مكتب المراقبة أرسل مرتين لمكتب الرعاية الاجتماعية يستفسر عن الموضوع، ولكن لم يرد أي جواب.

لقد ارتكب تيري برايس العديد من الجرائم، الواحدة تلو الأخرى بدون أي استراحة بين جرائمه. حتى عندما كان يعيش بيننا، كان يقوم بهذه الجرائم، فقد ارتكب عدة جرائم اعتداء، فهو لم يتوقف، وكان يرتكب المخالفات القانونية بشكل مستمر، ولكن كان يتم غفران هذه الجرائم له. على ما يبدو أنه قد تم استغلاله هو عندما كان

صغيراً. لم أكن متأكدة من ذلك ولكن هذا لا يمنحه أي عذر. الغالبية من أولئك الذين تم استغلالهم وهم أطفال يكبرون ليصبحوا أشخاصاً جيدين ولطيفين ولا يؤذون الأطفال، فهم يعتبرون الموضوع إهانة لهم باعتبار أن الإساءة لهم أثناء طفولتهم قد جعلتهم معتدين على الأطفال.

من المريع اعتبار أن تيري كان جيداً معي، وبالنسبة لهذه الذكريات التي تشاركناها لم يكن هنالك الكثير من السوء فيها. فقد كان يعرف ما الذي يفعله. كان هنالك الكثير من اللحظات التي يقوم ذهني بتجاوزها، وكانت تزورني ليلاً على شكل كوابيس أو ارتجاعات من الماضي لا أستطيع السيطرة عليها. عندما أقول إنه كان لطيفا معي، فإنني أعني الطريقة التي يتعامل بها معي والإطراءات التي كان يمنحني إياها والتي تجعلني أحس أنني مميزة. ولكن كما ذكرت سابقاً، كان تيري منفراً بشكله، فقد كان وسخاً وتخرج منه رائحة كريهة نتيجة لدخانه المستمر، كما أن فمه كان من الأمور المنفرة فيه، فقد كان مسطحاً وأسنانه مريعة. كما أنه كان نحيفاً كنت أتحسس عظامه كلما عانقني. كان مقرفاً، ولكنه كان كل ما أملك.

كان لدى تيري لكنة اسكتلندية قوية، ولكني لم أستسطع معرفة من أين هو. عندما كان في دار الرعاية كان في اسكتلندا، ولكن لاحقاً قدم إلى بريطانيا. وكان هذا نمطه المعتمد، فعندما يتم الإمساك به في مكان ما، فإنه

ينتقل إلى مكان أخر، هو لم يكن غبياً، بل كان يستغبي الجميع.

لقد أصبت بإحباط شديد فلم أعد أستطيع تذكر الأمور بكافة تفاصيلها. عندما كبرت أصبحت أفهم كيف يعمل الدماغ ليحمينا من الأمور المخيفة والمتعبة، ولكن بنفس الوقت فإن ذلك ليس مفيداً جداً، حيث أنني بحاجة لتذكر كل شيء بنفس الترتيب لأتمكن من أرشفة هذه الأمور في ذاكرتي ونسيانها.

بما أنني لم أستطيع معالجة ما مررت به مسبقاً في كثير من الأحيان، فإن هذه الأمور استمرت في العودة إلى الذاكرة في دماغي. إن الأمر يشبه استرجاع مشهد معين من فيلم بدلاً من تذكر الفيلم كله، لذلك تفقد القصة معناها. هنالك الكثير من الأمور السرية في دماغي، ولكنه يحجبها لحمايتي، مع أنني أتمنى أن اعرفها كلها كما اعتقد. أعلم أن هنالك الكثير من الأمور المرعبة في قصتي قد اكتشفها، ولكن تخيل أنها موجودة هو بنفس السوء الناتج عن تذكرها.

7

أمنيات

يعتبر الاعتداء الجنسي عملية ذات مراحل عديدة غالباً. أعلم أنه كانت هناك مراحل مع تيري برايس، لكن في رأيي، تلك الذكريات لا تتبع هذه المراحل - إنه مثل قطع البازل التي يجب أن أجمعها معاً في رأسي. أعلم أنه بعد الحادثة عندما كنت أشاهد برنامج Top of the Pops ، كان تيري يفترض أنني سأخلع ملابسي وأكون عارية تماماً كلما طلب ذلك. ولأكون صادقة، أصبح هذا الأمر طبيعياً بالنسبة لي. كنت في السادسة من عمري فقط، وحياتي كلها حتى تلك اللحظة يملؤها الاضطراب والفوضى. كانت الحياة المختلفة الوحيدة التي رأيتها هي الحياة التي قضيتها مع كارولين عندما أخذتني إلى منزلها. إنها حياة مختلفة تماماً عن حياتي، مما جعل الحياة الطبيعية تبدو غير متوقعة. لقد كانت طريقة

مقلوبة تماماً للعيش والتفكير.

كان اعتداء تيري عليّ نتيجة طبيعة لطفلة عاشت بين أب في السجن، وأم غير مهتمة، متروكة في المنزل وحيدةً، متنقلة بين المنزل ودور الرعاية، والداها ينفصلان عن بعضهم ثم يعودان. فاعتداء تيري هو نتيجة طبيعية. كان اعتداء تيري المستمر، يتمحور حول لمسه لي وحملي على لمسه. كان يقول لي: « هيا، المسيني، المسيني»

كانت جعبتي فارغة من الكلمات التي تعبّر عمّا يريدني أن أفعله، أو ما يريد مني أن ألمسه، كان يدفعني إلى مداعبة قضيبه، مستمراً في إخباري كم كنت جيدة في ذلك. وبدأ يتمادى في اللمس أكثر وأكثر، مع إعطائي التعليمات:

– لا، ليس هكذا، لا تتوقفي، يا أميرة،» ويشجعني على الاستمرار. «حركي يدك للأعلى وللأسفل، أنت فتاة جيدة.»
– قلت له: «إنه يؤلمني، إنه يؤلم يدي».
– «لا، لا، إنه لا يؤلمك، فقط استمري.»

لقد أصبت بالحيرة، في المرة الأولى التي حدث فيها «شيء ما» عندما كنت أحركه بين يدي. لماذا أصبح هذا الشيء أكبر بكثير، ولماذا بدأ في إطلاق التأوهات؟

كنت قلقة من أنني كنت أؤذيه، لكنه كان حريصاً على استمراري في هذه الحركات. كان يطلق مثل هذه الأصوات، ولم أستطع معرفة سبب رغبته في استمرارها. ثم فجأةً حدث «شيء ما». ليس لدي أي فكرة ماذا كان.

لقد انسكب منه شيء دافئ، لزجٌ مثل الصمغ.

كان سعيداً جداً بحدوث هذا الشيء، توقف عن إطلاق كل تلك الأصوات المُروّعة بمجرد خروج ذلك الشيء منه، وظل يقول، «هذا هو، هذا هو، أنت فتاة جيدة، فتاة جيدة، يا ديلا».

لم أكن أمتلك المفردات ولا المعرفة بأي شيء من هذا. هل يخرج ملايين الأطفال دائماً عند حدوث ذلك؟ لم أكن أعرف ما الذي يعنيه أن يقذف الرجل، لم أكن أعرف ما هي المداعبة - لم أكن أعرف ما هي الإساءة. كل ما كنت أعرفه هو أنني كنت فتاة طيبة وأنني كنت أميرة تيري.

في رأيي، هذه الذكريات لا تأتي في خطوات أو مراحل، إنها مجرد فوضى كبيرة من بين الأشياء الفظيعة التي حدثت لي.

في غرفة المعيشة، كان لدينا خزانة طويلة في الرف العلوي منها وضع مذياعٌ كبيرٌ، ومشغل الأسطوانات الضخم في الرف السفلي. في غرفة نوم أمي كان يوجد أيضاً مشغل أسطوانات بحجم أصغر. كانت غرفة نوم أمي واحدة من الأماكن المفضلة لدي في عالمي الصغير جداً.

كان لديها عدد كبير من التسجيلات هناك كنت أتسلل إليها عندما تسنح لي الفرصة، وأضع واحدة، حتى أتمكن من الرقص والدوران في جميع أنحاء الغرفة، والاستماع

إلـى أغانـي «تامـي وينيـت ودوللـي بارتـون»، بالإضافـة إلـى موسـيقى الريغـي المفضلـة لـدى أمـي. فـي غرفتهـا كنـت أشـعر بالأمـان، ممـا يجعلنـي أتسـاءل، عمّـا إذا كان هنـاك جزءٌ منـي يعـرف أن الرقـص أمـام تيـري، سـيؤدي إلـى أشـياء لم تكن صحيحة.

كان سـرير أمـي مزدوجـاً، مغطـى بلحـاف. ولـم تكـن اللّحافات معروفـةً كثيـراً حينهـا، فـي حيـن كان معظـم النـاس يسـتخدمون أغطيـة قطنيـة وبطانيـات خشـنة. ومـع ذلـك، أوجـدت أمـي لنفسـها واحـةً صغيـرةً جميلـة، بغطـاء مـن لحاف أزرق غامق كان قد أخاطته بيدها.

كانـت تسـتمتع بالخياطـة والتطريـز، وتلـك طريقـة جيـدة لتوفيـر المـال. إلـى جانـب ذلـك كان هنـاك مصبـاح صغيـر مصنـوع مـن الزجـاج المصقـول، يزينـه هـلال أزرق، وأشـياء لطيفـة موزعـة فـي كل مـكان. كمـا تزينـت الغرفـة ببعـض القطـع الخزفيـة مـن منحوتـات علـى أشـكال للطيـور، وكانـت تفتخـر بتلـك المجموعـة. فـي الوقـت الـذي كانـت غرفتهـا تحـوي الكثيـر مـن الأشـياء الجميلـة، خلـت غرفتـي مـن أي شيء شخصي على الإطلاق.

كان هنـاك الكثيـر مـن العطـور والمكيـاج أيضـاً، لأنهـا كانـت مـن أشـد المعجبيـن بـ Avon (علـى الرغـم من ذكريات ديبـي) واعتـادت الذهـاب إلـى الحفـلات عندمـا كان أي مـن صديقاتهـا يبيعـن تلـك الأشـياء. باختصـار إن غرفـة أمـي كانـت أكثـر ألفـةً بكثيـر مـن غرفتـي ومـن جميـع النواحـي، وغدت ملجأً لي. يشعرني بالأمان، لكن تيري أفسد ذلك.

كان هـذا مكانـي الصغيـر للرقـص، لكنـه دمـره، وأخـذ ذلـك المـلاذ منـي، وحوّلـه إلـى مـكان ملـيء بالذكريـات السيئة. كنت مستلقية على سـرير أمـي ذات مسـاء، بينمـا كانـت فـي الخـارج، كالعـادة. كنـت أحلـم فـي اليقظـة، وأنـا أتأمـل زينـة الطيـور الصغيـرة كلهـا، وأتمنـى أن يكـون لـدي شيء من هذا القبيل في غرفتي. فُتِح الباب ودخل تيري.

سـأل «ماذا تفعلين يا أميرة؟» «لماذا أنت هنا بمفردك؟».

لـم أسـتطع إجابتـه - كنـت أعـرف أننـي لا أريـد أن أكـون معـه فـي غرفـة المعيشـة، لكننـي لـم أسـتطع حقـاً جمـع أفكاري والإجابة.

‹ قـال لـي: لمـاذا لا أنضـم إليـكِ؟ ولكنـه كان إعلانـاً وليـس سـؤالاً، «يعجبـك المـكان هنـا، أليـس كذلـك؟» قـال وهو ينظر حوله. « لم لا تخلعين ملابسك يا فتاتي الطيبة؟

لقد فعلت ما يريد، وكنت أفعل ذلك دائماً.

كانت والدتي مدمنة تدخيـن، ففي كل زاوية في المنـزل علبـة سـجائر وأعـواد ثقـاب، حتـى علـى الخزانـة التـي إلـى جانـب سـريرها. لا أعـرف كيـف حـدث الجـزء التالـي، لكـن بطريقـة مـا، جعلنـي أضـع أعـواد الثقـاب فـي مهبلـي. أريـد أن أخبركـم الآن أن العقـل الـذي تعـرض لصدمـات لا يفكـر بطريقة نقية كما يأمل الناس.

تتأرجـح ذكريـات الماضـي وترتطـم برأسـك، ولا تعـرف بالضـرورة كيـف وصلـت إلـى مـكان أو نقطـة، فأنـت تعلـم فقـط أنـك فعلـت ذلـك. إنـه ليـس جـدولاً زمنيـاً لطيفـاً، ولا

يعمل على هذا النحو. أتذكر فقط جذبني بقوة، وألقاني على السرير، وطلب مني أن أرفع ركبتي، ومن ثم وضع أعواد الثقاب. لقد جعلها لعبة، لذلك فعلت، لقد منحته ثقتي وكان شخصاً ممتعاً، نظراً لأنني لم أجذب اهتمام أيّ من الأشخاص البالغين.

كانت حادثة عود الثقاب في وقت مبكر، كما كان يستمني في الحمام ويريني ما يخرج منه. لم يكن لدي أي فكرة عمّا كان عليه الأمر، كنت صغيرة جداً إلى درجة أننا لم نتلقَّ في المدرسة أي شيء حول التربية الجنسية.

لم تكن المدرسة مساحةً من الحرية لي، كنت كثيراً ما أهرب وأعود إلى أمي. هذه ليست قصة مثل ماتيلدا، حيث توجد ملكة جمال فاتنة لإخراجي من كل شيء. كنت مجرد فتاة صغيرة بدون كلمات ... بدون مفردات... لتعبر أو تصف ما يجري.

لم أستطع إخبار أي شخص بما كان يحدث، لأنني لم أكن أعرف ما كان، وبدأت أدرك ببطء أنني لا أريد أن أكون وحدي مع تيري. إذا لم تكن أمي موجودةً، فلقد كان يقوم بفعل «أشياء» لي، حتى لو لم أتمكن من وصف ماهية تلك الأشياء.

عندما كنت أذهب إلى المدرسة، كنت أعلم أن أمي ما تزال في المنزل حيث كان الوقت نهاراً، وكنت أرغب بشدة في العودة إليها، حتى لو لم تكن تريدني. كانت توصلني إلى إحدى بوابات المدرسة، بينما أنا أخطط للهروب من

الجانب الآخر. كنت أركع على يدي وركبتي لتجاوز مكتب المدير. محشوةً في معطفي البني الصغير الواقي من المطر، أتسلل أسفل نافذته للخروج من بوابة المدرسة. اعتاد المدير أن يتحدث مع الأطفال عن ذاك الكلب البني، الذي كان في ملعب المدرسة، ويحذرهم من السماح لحيواناتهم الأليفة أن تتبعهم إلى المدرسة، لكنه لم يكن أبداً كلباً بنياً ... كنت أنا بمعطفي!

عندما لم يكن تيري يعتني بي، لأنّ لديه شؤونه الخاصة به، كانت تلك هي الأوقات التي أتوق إليها. على الرغم من كل شيء في أمي، كانت لا تزال واحة الأمان الخاصة بي، وهي التي أردت دوماً أن أكون معها. هل أعتقد أنها إذا علمت بالإساءة، فستوقفها؟ في الحقيقة لا أعرف، لقد كان شعوراً غريزياً بل أكثر من ذلك، شعور بأن الحياة تتحسن عندما تكون بقربي.

تمكنت بالفعل من الهروب والعودة إلى أمي، في الأوقات التي وصلت فيها إلى المنزل، كانت المرأة الشريرة داخلها تنتظرني، لأن ضابط الاتصال في المدرسة اتصل بها الآن، وكان عليها أحياناً مطاردتي في الحقول، وكنت أنجح في الهروب منها. في الأوقات القليلة التي أعود فيها إلى المنزل، كانت أميلا تزال في السرير. ستكون غاضبة مني إلى درجة أنني أتساءل بماذا أزعجتها.

في الليالي التي تخرج أمي فيها من المنزل، كنت أصرخ وأنا أتعلق بساقيها. وكانت تصرخ في وجهي: «أنا

بحاجة إلى استراحة منك! «أنت كابوس ملعون، لا تتركني وحدي أبداً. أحتاج إلى بعض الوقت بمفردي - ابتعدي عني!

على الرغم من أنها كانت الشخص الأكثر أماناً في عالمي، إلا أنها لم تعطني أي شيء يجعلني أشعر بالدفء أو الحب. كشخص بالغ، كنت أماً عزباء وهذا صعب، إنه صعب حقاً، وأنت بحاجة إلى استراحة في بعض الأحيان. لكن عندما يكون لديك طفل من الواضح أنه يائس للغاية، ويفتقدك كثيراً، كيف يمكنك تجاهله، كيف يمكنك ألا تسألي لماذا يتعلق بك؟ سأصرخ وأتوسل، وبدلاً من التفكير في أنني مجرد طفل شقي، عليك أن تسألي لماذا يفعل هذا الطفل ذلك؟

لقد التمست لها الكثير من الأعذار على مر السنين - نعم، لقد نشأَتْ في دور الرعاية، نعم، لم يكن لديها أي شخص يعلمّها كيف تكون أماً جيدة، ولكن كلما كبرت في السن، وكلما زادت معرفتي أعلم أنه مجرد عذر.

لم يكن لدي نموذج يحتذى، لكنني تمكنت من ذلك، ولن أسمح لأحد أن يمسّ أطفالي بأذى. الهدية الوحيدة التي أعطتها لي كانت دروساً في كيف لا أكون أماً سيّئة.

كان لدى أمي الكثير من العلاقات لليلة واحدة، في هذه المرحلة، ولِم لا؟ فلديها الآن جليس أطفال دائم، يبدو دائماً أكثر من سعيد لرعاية الفتاة الصغيرة التي وجدتها مزعجة للغاية. حررها تيري لتفعل ما تشاء، لكن

أعتقد أنه كانت هناك مناسبات لم يكن فيها موجوداً، وكانت قلقة بشأن بقائها في المنزل مرة أخرى.

بالنسبة لأمي، لم أكن سبباً لبقائها في المنزل، بدلاً من الامتناع عن الخروج لمطاردة الرجال كان منطقها أنها تستطيع الذهاب وتصطحبني معها. ذات مرةٍ، أخذتني إلى بورتسموث. شعرت بحماس كبير واشترت لي كتاباً للرحلة، كان كتاب شعر:

نجم أشرق وأضاء

أول تجم أراه هذا المساء

أتمنى أن أفعل... أتمنى أن أفعل

أتمنى أن تحقق الليلة هذه الأمنية.

لقد تعلقت بهذه الكلمات لفترة طويلة. في ذلك اليوم، في تلك الرحلة اعتقدت بصدق أننا نقضي يوماً جميلاً في الخارج. لقد حصلت على قطع صغيرة من الشوكولاتة من آلة بيع في محطة القطار، وكل ذلك زاد من شعوري بأننا ذاهبون في رحلة. كان لديها هذا التوق للرجال النيجيريين الذي ذكرته من قبل، وكنا في الواقع نذهب إلى سكن الطلاب لمقابلة أحدهم.

عندما وصلنا إلى هناك، طلبت مني الجلوس لمشاهدة التلفاز وغادرت. في هذه المناسبة، حتى أنها سمحت لأحدهم أن يأخذني للاستحمام. أتذكر أنه كان لديه هذا الليف الضخم، الذي لم أر مثله من قبل في حياتي، وهنا كان هذا الرجل الضخم الغريب الذي كان يغسلني. لم

يفعل أي شيء غير مرغوب فيه، ولكن ما الذي كان يدور في ذهن والدتي بحق السماء؟ لتسمح لذلك الرجل بتحميمي، لقد مارست الجنس بينما كنت أشاهد التلفاز، ثم استلقت هناك، أثناء النهار، بينما كان يخرج هو من الغرفة ويغسلني. وقضينا الليل كله هناك.

ذات مرة، اصطحبتني إلى لندن لمقابلة رجل، وبينما كانت معه، طلبت مني الخروج والذهاب إلى الحديقة». كنت في الثامنة من عمري فقط وقيل لي أن أتجول في لندن بمفردي، بينما كانت تمارس الجنس. لقد هُجرت للتو.

في مرة أخرى أخذتني إلى برمنغهام إلى إحدى الجامعات هناك، وبينما كانت في الغرفة مع أحدهم، سمحت لأحد الرجال الآخرين بأخذي، كما لو كان كل هذا على ما يرام. تجولنا وأراني الصالة الرياضية، لكنه بعد ذلك وضع ذراعه حولي، وحاول جذبي نحوه ليقبلني في المصعد. اضطررت إلى دفعه بعيداً حتى وصل المصعد إلى الطابق المناسب، ثم ركضت نحو الخارج. لقد وضعتني في العديد من المواقف السيئة ولم تكترث.

لا أعرف كيف تواصلت مع كل هؤلاء الرجال، لم تكن هناك وسائل للتواصل الاجتماعي في ذلك الوقت. لقد كان هناك قدر كبير من التنظيم، ولكن لابد أنها أحبت الإثارة في كل ذلك حيث بدا أن بذل الكثير من الجهد يتطلب الكثير من الإثارة. بالكاد أستطيع أن أصدق أنها فعلت تلك الأشياء، لكنها محفورة في ذهني وأعتقد في

الواقع أنني كنت محظوظة لأن المزيد لم يحدث لي. من المضحك أن تعتقد أنك «محظوظ» عندما تنشأ في بيئةٍ كهذه وتتلقى مثل هذه التربية.

8

أشياء جميلة
هل هي حقاً كذلك؟

ومن أي منظور نظرت ومهما بلغ الشعور بالحرج الشديد الذي يملؤني.. فها أنا أكتب، وعليّ أن أفعل ذلك.. هذا ما أشعر به حقاً.. كان تيري شخصاً بالغاً، وكنت طفلةً صغيرةً... ولم يكن بإمكاني أن أقدّر أنّ مثل هذا الشعور بالألم سيظل مرافقاً لي حتى أصبح كبيرة...

أمرُ مرعب حقاً وجود شخص أكبر مني حجماً وعمراً وبشكل مستمر.. أتذكره مستلقياً على سرير أمي عارياً تماماً، ولأكثر من مرة، ويفترض أنني سأفعل ما يطلبه مني، ولقد كان محقاً في افتراضه... لأنني كنت دائماً أفعل ذلك.. وأنني سأصبح أنا أيضاً عارية، ومع أن الأمور بدأت تتطور بيني وبين تيري، فقد كان لطيفاً معي في تلك المرحلة، فلم يهددني أبداً أو يبعث فيّ الخوف.. لقد

جعلنـي أشـعر أنّ مـا حـدث هـو أمـرُ طبيعـي مـع الشـخص الـذي اعتنـى بـي، وبسـبب عـدد المـرات التـي لاحقـت فيهـا أمـي وهـي خارجـة مـن المنـزل أحسسـت وكأن هنـاك شـيئاً مـا قـد توقـف فـي أعماقـي.. لـم أرغـب أبـداً فـي البقـاء مـع تيـري وحيـدة ولكـن لـم يكـن ثمـة مـا يجعلنـي أتحـدث صراحـة فـي الموضـوع...

سـألني تيـري ذات ليلـة: «ديـلّا هـل تريديـن أن أفعـل لـك شيئاً جميلاً؟»

كانـت أمـي لا تـزال فـي عملهـا، وربّمـا كان عليهـا القيـام ببعـض المناوبات، وكنـا جالسـين علـى سـريرها كالعـادة.

أجبتـه: «أود أن أرقـص.. أو ربمـا نلعـب لعبـة التجـرد مـن ملابسنا، اللعبة التي اخترعتها في المرة السابقة».

قـال تيـري: «يـا لـك مـن فتـاة طيبـة، وعندمـا حاولـت النـزول مـن السـرير دفعنـي مجـدداً إليـه، وقـال: إلـى أيـن تظنيـن أنـك ذاهبـة؟ سـنفعل معـاً أشـياءَ جميلـة، اسـتلقي هنـاك»...

مـاذا يمكننـا أن نلعبـه فـي السـرير... لـم يكـن باسـتطاعتي أن أتخيـل... لكننـي تمنيـت أن يكـون شـيئاً جيـداً. بعـد لحظـات، شـعرت بشـيء عجيـب، كان تيـري عنـد أعضائـي الحميمـة، لـم يكـن يلمسـني بيديـه هـذه المـرة كمـا اعتـاد أن يفعـل، بـل كان هنـاك يقبلنـي بشـفتيه، وأنـا مسـتلقية علـى السـرير وبشـيء مـن التحايـل بادرنـي قائـلاً: بإمكانـك فعـل شـيء جميـل لـي أيضـاً... لقـد جعلنـي اسـتلقي تحتـه، بعـد أن

دفعني وجذبني، كان رأسي قريباً من أعضائه الخاصة، ثم غمغم وهو يدفعه نحو رأسي وفمي: « يمكننا الشعور بالارتياح معاً » واستمر بتقبيلي هناك.. كان الأمر صادماً بالنسبة لي، وشعرت أنني سوف أتقيّأ، كانت رائحته مقززة.

ومازال ردّ الفعل السيء للغاية يلازمني، وما زلت أعاني منه حتى الآن....

كنت أشعر وكأنني سأبلل نفسي، ويملؤني الضيق، واستمريت أخبره بذلك لأنني كنت خائفة، وأعلم أنني لا بد سأواجه مشكلة، لكن تيري قال: «لا بأس استمري».

ومع كل الشعور المحرج الذي يملؤني.. فها أنا أكتب، ومن الضروري أن أفعل...

الآن.. وأنا كشخص بالغ، يغمرني الشعور بالقرف، إذ أتذكر ذلك، وكلّما فعلت.. لقد كانت أول هزة جماع لي.. كيف يجرؤ على سلبي ذلك، أشعر أن جسدي قد خانني آنذاك، وأعلم أنّ هذا الجسد كان يتفاعل طبيعياً تجاه ذاك الأمر.. لكنّني كنت أكره ذلك في ذهني.. أكره أنه جعلني أمرّ لأوّل مرة بهذه التجربة معه، يلازمني دائماً في الذاكرة... لقد كنت كشخص بالغ تعرّض للاعتداء، وانتهى به الأمر أن يربط دوماً بين ما يفترض أنه كذلك، أي بين الأشياء التي يجب أن استمتع بها، وذاكرة حدوث ذلك للمرّة الأولى عندما كنت طفلة، وما استمتعت به لكونه قد حدث، تعتقد أنك لابد قد طلبت ذلك.

عندما قذف بعدي، استلقى إلى جواري، شعور مثير للاشمئزاز والقرف، لكن تيري كسر هذا الحاجز الآن أيضاً، وكان الأمر مجرد جزء من مسلسل الإساءات التي سأمر بها ... كان يفعل ذلك في كل الأوقات، وفي أي وقت، عطلات نهاية الأسبوع، بعد المدرسة، أمسيات، في أي وقت لم تكن والدتي في المنزل.. عندما تكون في العمل، أو تخرج إلى النوادي لملاقاة الرجال.. لقد كسب كلاهما الكثير من هذا الموضوع.. كانت تعيش حياتها في حرية، وكان لديه طفلة يشبع رغباته الحيوانية بها. ضمن ملفاتي ثمة تقرير أفاد، أن جدتي كانت شديدة القلق بشأني، ذلك أنني في إحدى المرات هربت إلى منزلها.

كان منزل جدتي يبعد قرابة الميلين عن منزلنا، كان منزلاً جميلاً، ولقد أحببته جداً، وكنت أمضي عندها أطول فترة ممكنة، وكانت جدتي (زوجة جدي والد أمي)، ولم تكن برباط الدّم.. لكنني كنت أحبها جداً.. لقد كانت الجزء الذي حصلت عليه من قبل أمي، عندما كنت أهرب إليها، كانت تأخذني إلى حديقة منزلها لنزرع أشياء جميلة ونسقيها، كانت تقدم الطعام لأي شخص يمر من أمام منزلها، فقد كانت تعد كمية كبيرة من الأرز بالكاري لتطعم الجميع، كانت مليئة بمشاعر الأمومة بل أكثر من أمّي بمليون مرة.. ورغم ذلك لم أخبرها بشيء.

كانت صارمة، وقد ربت بمفردها الكثير من الأطفال، ولم تكن تسمح لأحد أن يقول أي كلمة سوء عن أطفالها الأولاد منهم والبنات، لهذا السبب عرفت أنّها أبداً لن

تصدقني. وأولادها دائماً غير مدانين مهما فعلوا بغض النظر فهم عندها دائماً على حق. حتى حين اعتقل ثلاثة منهم بجرم السطو المسلح، فهي ستحميهم حتى الموت، وما من كلمة سوء سيجرؤ أحد على قولها في حقّهم.. كان الأولاد يعطونها كل الأشياء التي سرقونها، كما يعطونها نقوداً دوماً.. في وسط الأسرة كانت تجلس كما الحاكمة المطلقة، وكانت تؤوي لديها الكثير من المشردين، الأمر الذي ربما ورثته والدتي فقامت به جمع المشردين والضالين..

من حيث الفكر كان لجدتي طقس أسبوعي خاص، فقد كانت تذهب كل سبت للتسوق، وكان من نصيب أي شخص يتصادف وجوده في المنزل معها يومذاك أن يرافقها، معظم أولئك حاولوا التملص من رحلة التسوق تلك. لأنها في كل مرة تضع سلعة أو حاجة لها في عربة التسوق، فإن هناك غرضاً آخر حتماً سيجد طريقه إلى ملابسها.

أخبرتني أمي أنّها فيما كانت في الأشهر الأخيرة من حملها بي، وفي إحدى المرات التي كانت تتسوق بها مع جدتي، تم إلقاء القبض على جدتي وهي تسرق، وكانت أمي محرجة جداً فقد تم نقلهما آنذاك إلى مركز الشرطة مع حالة أمي ببطنها الكبير.. هل كانت قصة أخرى من قصص أمي تلك؟ لن أعرف ذلك أبداً، لكن هذا يتناسب مع ما خبرته عن جدتي. في أحد الأيام تركت مع صديق للعائلة، وقد ذهبوا للتسوق، وكان يحرص

على تقديم خدماته في مجالسة الأطفال، وقد طلب مني أن نلعب لعبة، لكنها لم تكن إلاّ فخاً.. ليس في إمكاني أن أتذكر ما إذا كانت في الواقع هذه هي المرة الأولى التي أتعرض فيها للاعتداء، أو ما إذا كان تيري هو أول من سبق إلى ذلك.. لأن ذلك كان في نفس الوقت تقريباً.. ما أعرفه أنّه كانت هناك لحظة عندما بدأ يلمسني فيها، ثم غابت الأحداث عن ذهني، ولكن عندما عدت إلى وعيي بدأت أصرخ، وكانت يده على فمي، ورائحته النتنة تملأ فمي... كان يهمس بجنون كوني هادئة، لا تقولي أي شيء، سآخذك في نزهة الأسبوع المقبل، ولم تكن هناك أي نزهة، وأعلم أنه استمر في الإساءة إلى الآخرين، أصبح من المعتاد لديّ التطوع لرعاية أيّ أطفال عرفناهم، الأطفال في سن الحادية عشرة، لأنني أشعر أنها الطريقة الوحيدة ليكونوا في أمان وبالتأكيد.

تملكتني الآن الحاجة إلى فهم كيف أن الأسرة الديناميكية هي دوماً الأسرة المليئة بالإساءة. كان من عدم الممكن بالنسبة إليّ، أن أفهم هذا قبلاً لكن الإساءة تقوم ببرمجة الطفل عندما تبدأ في مثل هذه السن المبكرة...

فما لم تحصل على المودة والاهتمام، ابحث عنها في كلّ مكان.. وإذا ما أظهر لك شخص ما أدنى مساحة من الاهتمام والمودة، فهذا بالتأكيد له تأثير غير مناسب.. وتجعلك تبدأ بالتفكير، ربما ستعامل بلطف وكياسة في

البداية، أو ربما ستشعر في أعماقك أنك تحتاجه.. عندها يبدأ الانتهاك وتتفاقم الأمور، وستكون جاهزاً بالفعل للتخفيف من حدتها، لأنك تحتاج شيئاً من كل ما قد ذكرت.. إن كلاً من الرعاية والاهتمام والحب هي في الحقيقة ما يلبي الاحتياجات الأساسية للطفل.. والمعتدون على الأطفال غالباً ما يلبون هذه الاحتياجات لأنهم يشعرون بهذا الضعف تماماً، مثل إحساس الحيوانات برائحة الدم... الكثير من الناس يعرفون مثل هؤلاء الرجال ويعرفون أن علينا مواجهتهم جميعنا..

في الكثير من الأحيان يتلقى الأطفال مثل هذه الرسائل، لا تقترب منهم، لا تجلس في أحضانهم أبداً، لكننا نفشل دائماً في كشف ما وراء ذلك.. نضع كل هذه التحذيرات على عاتق الطفل، ويصبح من مسؤوليته عدم التواجد معه مفرداً في غرفة، أو الاقتراب منه.. فما لم يلتزم الطفل بالتحذيرات أو القواعد التي أعطيت له، فعلى مسؤوليته إذن، وهذا في النتيجة خطؤه.. هذا غير دقيق وخاطئ، فبالمقابل ليس ثمة جريمة أخرى من أي فئة يتم التعامل معها بهذه الطريقة، ولماذا في هذا الموضوع بالذات تبذل الكثير من الجهود لإخفاء حقيقته، وكذلك في إيجاد المبرر للمسيئين... ويلقى اللوم في النهاية على الضحايا...

الحقيقة في هذا الأمر أننا فيما لو قمنا بمواجهة الاعتداء الجنسي على الأطفال فإن العالم كله سيعيش الفضيحة، فالعائلات غالباً بل كثيراً ما تميل إلى عدم

الرغبة في نشر (غسيلهم القذر) على الملأ، وهذا ما يؤكد أنه أمرُ مخز.. لكن العار يبقى وزر الطفل وقدره، وسيحمله مدى حياته، وليس المعتدي...

هذا أمرُ نحتاج تغييره.. وفي الحقيقة هذا ما يشكل فعلاً خلفية ما أردت فعله، والواقع الحقيقي لما أفعل الآن، والطريقة الوحيدة التي من خلالها سأصل إلى فهم كل ما حدث في ذلك الوقت.. ما أستطيعه الآن هو توصيف فترة الرعب حقاً التي عشتها مدة السنتين (١٩٧٩ – ١٩٨١) في كل يوم كنت أستيقظ على تساؤل ترى ما الذي سيفعله تيري اليوم. بعد ذلك وكنت لا أزال ألاحق أمي في كلّ مرة كانت تتركني فيها معه.. كنت أعرف ما سيحدث لكن ظنها أنّي شقية وهو ما يشكل لديها دافعاً إضافياً للابتعاد عني، لم يكن يجعلها تلبي رغبتي فلقد كنت بالنسبة إليها خارجة عن السيطرة.. ولم أعرف أبداً كيف أخبرها عما يفعله تيري...

عندما ترى طفلاً في مثل هذه المحنة، وكان على هذا النحو فقط، ثمة شخص معين يقوم برعايته، لماذا لا تطرح أسئلة؟ لم تهتم أمي أبداً... كنت أصل إلى المنزل فيما هي تغادر في سيارة أجرة وأنا أنظر إليها.. كان يراقبني في أغلب الأحيان ويعيدني إلى المنزل، كان يقول: « تعالي سنشاهد التلفاز، سنشغل بعض الموسيقى» ولكن لم يكن هذا قصده.. وليس أبداً ما كنا سنفعله. كنت برغم ذلك أملك عدداً من الذكريات الجيّدة في تلك السنوات. في صباح السبت، كانت المحطة المركزية

تقـدم برنامجـاً مقابلـة مـع شـخصية تدعـى (متـال ميكـي) وكنـت أتشـوق للقائـه ومقابلتـه، وقـد كتبـت كثيـراً عـن وعـن أخـي لكـي نقابلـه، وأخيـراً تـم اصطحابنـا إلـى المـكان المخصـص للانتظـار فـي الاسـتديو، حيـث حضـر الممثـل «سبايك ميلجان» الذي قام بلعب شخصيته...

هـل يمكننـي الحصـول علـى توقيعك؟ سـألته، قـال: «أنـا لا أفعـل ذلـك، يمكنـك الحصـول علـى هـذا»، سـلمني ضمـادة مانكـي كانـت موجـودة علـى إصبعـه، ثـم قـال: « هـا أنـت ذا، ألسـت محظوظـة بذلـك». كانـت هنـاك منافسـة لنـا جميعـاً، أخبرونـا فـي البدايـة أن صاحـب أفضـل رقصـة سـيحصل فـي النهايـة علـى جائـزة... كنـت فـي ذلـك الوقـت، قـد توقفـت عـن الرقـص.. ولـم أعـد أفعـل أبـداً، لقـد ذهبـت هـذه الفرصـة بالنسبة لي، كنت أقف هناك محدقة، أتذكر ذلك.

ولكـن أخـي الصغيـر أدى كل مـا فـي وسـعه مـن حـركات «شـاكي سـيتيفيز» تـم تثبيـت الكاميـرا عليـه، لكـن الكاميـرا كانـت تظهـر أيضـاً أختـه الغاضبـة التـي كانـت تعتقـد أنـه كان يظهرهـا للكاميـرا.. لقـد شـعرت بالحـرج الشـديد منـه «لكنـه كان يومـاً جيـداً حقـا» وأنـا أتمسـك بهـذه الذكريـات علـى قلتها، وقليل جداً هو ما أمتلك منها.

9

الإرهاب

بالطبع بدأ تيري في اغتصابي. لماذا لا يفعل؟ ما الذي كان هناك لمنعه؟ لا أعرف متى حدث ذلك للمرة الأولى. كل ما أتذكره حقاً من هو الإحساس بوسادة تضغط خلفي - أعتقد أن رأسي غرق فيها من ثقل تيري وهو فوقي - وعدم القدرة على الحركة. والألم المستمر.

لم أستطع فهم سبب رغبته في وضع هذا الشيء بداخلي. كان الألم الذي ينتابني في كل مرة هائلاً، كيف لا؟ كيف يمكن أن يعتاد جسد طفل صغير على قيام رجل بالغ بذلك؟

كان يتحرك، ويدفع قضيبه بداخلي لفترة بدت لي طويلة، ثم يطلق تأوهات لعينة وأشعر ببلل مقرف يتساقط على ساقي. كنت أعرف أن هذا الشيء هو الشيء يحمل ملايين الأطفال، هذا الشيء الذي شاهدته وهو يقذفه

في المرحاض، ورأيته مرات عديدة عندما كنت أدلك عضوه بيدي. مجرد التفكير أن ذلك الشيء داخل جسدي يجعلني أشعر بالمرض.

يبقى تيري مستلقياً فوقي قليلاً حتى يستعيد نشاطه. مرة أخرى، كان وزنه لا يطاق وما ليبث أن يقوم من فوقي، حتى أسرع إلى الحمام. كنت أنظف نفسي بقطعة من ورق الحمام أو بمنشفة للوجه، كنت قلقة دائماً من أن تشم أمي تلك الرائحة الكريهة.

لماذا قلقت بشأن ذلك؟ اعتقدت أنني سأكون الشخص الذي يقع في المشاكل. لأنها بدت وكأنها تحب تيري، لم تكن تحبني، كنت مجرد مصدر إزعاج بالنسبة لها.

كان تيري يفعل كل الأشياء المعتادة مثل إخباري كم كنت فتاة جيدة، قائلاً إننا قضينا وقتاً ممتعاً معاً، لم أكن أستطيع ادّعاء ذلك، كنت أريد منه فقط أن يتركني وشأني.

في كثير من الأحيان عندما كنت أجلس بعد قيامه بالاعتداء عليّ، أشعر بألم شديد، وبأنني سأموت عندما كان يسحقني. أحياناً كان يغمى عليّ لأنه كان على وشك أن يخنقني بصدره الذي يضغط على أنفاسي.

أريد أن أفهم هذا، أريد أن يتم وضع كل شيء ضمن سياقه بحيث يفهمه الناس ولا يعتقدون أنني أنا التي أقوم بادعاء ذلك، ولكنه هو الذي تسبب بكل هذا. لقد اغتصبني ولا أستطيع أن أعطي أي تفاصيل أكثر من ذلك.

في عام ١٩٨٠، توفيت جدتي، تلك الجدة العطوفة، الحنونة، العظيمة. لقد أحببتها كثيراً، افترضت أنني سأذهب إلى الجنازة. شعرت أنني أصبحت فتاة كبيرة، والأهم من ذلك، لم أرغب في أن أترك وحدي مع تيري لأنه سيقوم بفعل «تلك الأشياء».

- قالت أمي: «لا، لن تذهبي إلى الجنازة». ‹لماذا تريدين الذهاب؟'
- قلت لها: «أريد فقط أن أذهب“.
- ”هذا سبب غبي، إنه ليس سبباً على الإطلاق.
- أنت مجرد طفلة. ابقَيْ هنا - لا تقلقي، سيكون تيري معك.

بدأت أبكي وأتوسل إليها أن تسمح لي بالذهاب، ولكن عبثاً، كانت مصرة على عدم السماح لي بالذهاب. في صباح يوم الجنازة، الذي كان على ما يبدو خلال أيام العطل المدرسية، أو ربما أنا لم اذهب للمدرسة، غادرت أمي المنزل مسرعة من دون أن تلقي عليّ أي نظرة على الإطلاق.

- قالت: «أنا ذاهبة لحضور هذه الجنازة اللعينة، وأنا بغنى عن إزعاجك لي»

أكد لها تيري: «لا تقلقي يا كارول». «سنحظى بوقت رائع، أليس كذلك يا ديلا؟» لقد تجاهلت ذلك.

- يا أميرة؟ أنا أقول إننا سنقضي وقتاً رائعاً عند ذهاب والدتك، أليس كذلك؟

لم يكن هناك جدوى من التعلق بأمي للذهاب معها،

لأنها لم تستجب لي في كل المحاولات التي قمت بها. صعدت بسرعة إلى غرفتي، وأنا أضرب على رأسي وأتلفظ بالشتائم. أعلم أن تيري بقي في الطابق السفلي لفترة وأنني كنت مستلقية على سرير أمي عندما حدث ذلك.

أتذكر عودة أمي. لقد أحضرت لي ثوبا من الصوف المحاك وردي اللون للتعويض عن عدم السماح لي بالذهاب إلى الجنازة. وقبل أن تعود، ماذا حدث؟ تطور كبير في الأحداث.

كان ذلك اليوم هو اليوم الأول الذي اغتصبني فيه تيري من الخلف. لقد كان يقترب، يلامسني دائمًا في تلك المنطقة، ولم أستطع فهم السبب. كان مكانا قذرا. مكان مخصص لأشياء أخرى، كان مخصصًا فقط للذهاب إلى الحمام، مما يعني أنني لم أستطع فهم سبب رغبته في وضع أصابعه هناك.

لطالما كنت قلقة من أن تكون ملابسي الداخلية متسخة أو أنني لم أنظف نفسي جيداً من القذارة. كان قد اعتاد على وضع أصابعه هنالك من قبل، وكان ذلك مؤلمًا، لكن يوم جنازة جدتي كان مختلفاً. لا توجد بكرة فيلم يتم عرضها في ذهني للقصة كاملة، وبدلاً من ذلك تأتي في صور متقطعة وتبدأ.

دفعني إلى الأمام.

ودفع وجهي إلى السرير فوق اللحاف.

كنت سأختنق لأنه دفعني أكثر فأكثر...

وبدأت أشعر بالألم. الألم. يخترقني

يا إلهي ساعدني إنني أتقطع ألماً.

حتى الكلمات تغيرت... فلم أعد الأميرة. كان يوجه لي كلمات فظيعة بطريقة سيئة ومخيفة.

أنت تحبين هذا أليس كذلك؟

كنت ترغبين به.

أنت تريده كثيراً

أيتها العاهرة الصغيرة القذرة، هذا ما تريده.

العديد من الكلمات التي قد قالها بطريقة سيئة ومليئة بالتهديد. لا تختزن ذاكرتي الأحداث خطوة بخطوة، عدم وجوده في غرفة والدتي، ثم وجوده فيها، ثم الفستان الوردي الذي خلعته ومن ثم تأتي القصة على شكل أفكار ومشاهد صغيرة تتدفق خلال الأيام اللاحقة.

لقد أصبت بصدمة شديدة إلى درجة أنني لم أكن أستطيع أو أرغب في تناول الطعام، وأمي كانت تظن أنها تسببت في حزني لأنها لم تسمح لي بالذهاب إلى الجنازة. لم يكن هذا هو السبب، لم يكن هذا هو السبب على الإطلاق. لم يكن لدي أي سيطرة على أمعائي بعد ذلك، لا شيء على الإطلاق.

شعرت بالرعب من أن أمي ستعثر على سروالي الذي كان دائماً متسخا بسبب ذلك وسأواجه مشكلة. حاولت أن أخفيه، لكن الخوف من أن تشم رائحة شيء ما وتحاول

معرفة سبب هذه الرائحة كانت تجعلني أتصبب عرقا باردا. ظللت أذهب إلى الحمام لغسلهم. ولكن الرائحة كانت لا تختفي. كانت معظم ذكرياتي تتعلق بمجرد أن بدأ يغتصبني بهذا الشكل. إنهم لا يشبهون الذكريات الواعية التي تم تكوينها بالكامل، كانت تتعلّق بطريقة إمساكه بي، وعدم قدرتي على التنفس، والذعر.

عندما اغتصبني بهذه الطريقة، لم أستطع الصراخ، لم أستطع أن أطلب المساعدة، ولم يكن هناك من يسمعني. وبعد تلك الحادثة أصبح الأمر أسوء فأسوء. في كل مرة يخبرني أنني أستحق ذلك. قبل مضي وقت طويل، اتسم كل فعل من أفعال الإساءة بهذا النوع من الإهانة. لم أعد راقصة جيدة أو أميرة.

تعطيني ذكريات الماضي لقطات لما قاله وما فعله. حتى هذا اليوم، لا أستطيع النوم بلحاف في أي مكان بالقرب من وجهي. أنا فقط أتذكر هذا الألم وأنني لم أستطيع الجلوس بعد ذلك. ما زالت تلك الذكريات المؤلمة حاضرة في ذهني. في بعض الأحيان يكون الأمر صعباً جداً عليَّ حتى في تذكرها، كما يحدث عندما أكون نائمة. أستيقظ ولا أستطيع النوم، أتقلب في فراشي وأصرخ.

ذكريات الماضي تأتي من كل مكان فلا أستطيع التوقف، الألم يعتصر قلبي في كل حالتي في جلوسي وفي وقوفي في انحنائي ... في كل حركاتي إنه أمر مروع. هذا ما فعله بي تيري برايس في لحظات متعته.

حتى الروائح باتت مشكلة كبيرة لدي، أي شيء يجعلني أتذكر أنني كنت بالقرب منه والرغبة بالتقيؤ التي كانت تنتابني من تلك الرائحة المقززة. أنا أفهم تماماً كشخص بالغ أنني صنعت آليات للتكيف عندما كنت طفلة، وكان ذلك ضروريًا في ذلك الوقت، لكنه لم يعد ينفع بالنسبة لي. لم يكن لدي أي رد فعل، ولا حتى دفاع بل كان استجابة للصدمة، كنت أشعر بأن أطرافي تتجمد، وهذا هو هدفي. لقد كنت أعاني دائماً من فقدان للوعي دون أن أعرف حقاً ما كان، لكنني أدركت أنها طريقة جسدي للتوقف عن العمل. أتجمد حدّ الإغماء.

من الواضح أنني كنت في محنة، لكنه كان يطلب مني دائماً أن أصمت، كان يتفوه بأشياء فظيعة، سيئة، كان شخصاً مختلفاً تماماً عن الشخص المحب الذي كان عليه.

نعم، كان لا يزال موجوداً عندما لم تكن والدتي، لكن لم يعد هناك كلمات لطيفة أو تشجيع. فجأةً، أصبح شخصاً مختلفاً تماماً. لقد تحول إلى وحش، لم تعد تصرفاته أو كلماته لطيفة لم يعد ودوداً، وأنا كطفلة كنت أحاول أن أفهم هذا التغير.

تارةً يكون شخصاً لطيفاً، وتارةً أخرى شخص بشعاً، ثم عندما ينتهي من إشباع غرائزه بي، يعود إلى ما كان عليه. لقد أساء إليَّ كثيراً جداً من قبل لكنه كان «لطيفًا» في ذلك الوقت. الآن، كان فظيعاً وكنت أحس بالذنب لأنني أفكر في أنني أفضل العودة إلى تلك الأشياء

اللطيفة وذلك الشخص اللطيف.

ما إن بدأ بالاعتداء عليَّ من الخلف، أصبح هذا جزءاً مما أراد فعله بشكل مستمر. منذ يوم جنازة جدتي. في فبراير ١٩٨٠، كان يعلم أنه يستطيع فعل ما يريد دون أي تبعات. ليس لدي أي فكرة عن عدد المرات التي حدث فيها ذلك. لكن حتى عام ١٩٨١، كان بجانبي طوال الوقت لأنه يملك حرية التصرف.

كان في بعض الأحيان يأخذني إلى المتاجر، أو لمشاهدة أسماك أبو شوكة في أسفل القناة بالإضافة إلى رحلة إلى متجر الحيوانات الأليفة. وبدلاً من أن تكون الرحلات وعداً بالحب والرعاية والهدايا والألعاب، كانت تعذيباً نفسياً.

أحاول أن أقدم لكم القصة الكاملة هنا ولكن هناك أجزاء مفقودة، حيث توجد الأشياء الفظيعة، لكنني سأفعل ما بوسعي. في خضم هذه الأمور نحن لا نفقد جزءا من الذاكرة بفعل الصدمة فحسب، بل نفقد جزءاً من تطورنا، ونصاب بالتقزم بطريقة ما.

لقد تلاعب بي تيري فعلاً وأعتقد أنه تعامل بشكل جيّد مع هذا الأمر، ففي سلوكه غير المتوازن تماماً تجاهي.. اغتصبني ثمّ استعاد مرّة أخرى تعامله اللطيف، فهو لم يدفعني، لقد تأكّد تماماً من أنّني أريد الجزء اللطيف منه، وهذا لا يعني أنّني أرفضه، أعتقد.. ويمتلك الكثير من الأدلة..

كم تخيلت أنّني أخبر أمي، وأنّه لابدّ ستقوم بردّ الفعل الصحيح، كنت أغمغم ببعض الأشياء في بعض الأحيان على أمل أن تسمعني.. لكنّها أبداً لم تكن تفعل ذلك. كانت أمي ما تزال قادرة على استغلال أكبر عدد ممكن من الأشخاص. وكانت لا تعوزها وسيلة ولا طريقة سواء كانوا أخصائيين اجتماعيين ، أو العديد من الرجال الذين كانت لا تستمرّ في علاقتها معهم فلا يهم... كما كان لديها العديد من الأصدقاء. ولديها أيضاً العديد من الوسائل للتلاعب بهم.. كانت تقول:

((سنرى جيف أو بيتر أو جاري)) وما إن نصل إلى هناك حتى أخبره أنك تحتاجين حذاءً جديداً .. ومن الأفضل لك أن تجيدي طريقة العرض وإلّا فلن تحصلي على شيء، وأنا لن أشتريهم... وإذا أخبرتها أنني لا أريد ذلك فستجيب إنّها مجرد لعبة فقط، تريدين حذاءً، أليس كذلك، توقفي عن الشكوى فهذه هي الطريقة للحصول عليه.. احصلي أوّلاً على المال، وأنا سأشتريه لاحقاً. هل تسمعينني؟ فقط احصلي على المال، ولا تدعيه يقول إنّه سيأخذك ليشتري لك حذاء..

بعد هذا التدريب كانت تتهجم عليّ إذا قلت كلمة في غير محلها... لا تقولي ذلك يا إلهي.. ما الذي ستفعلينه؟ وإلى أي مدى تريدين أن أكون محرجة؟

كان جيف أو بيتر أو جاري يقعون غالباً فريسة خداعها يواسونها لذلك فهم لا يهتمون أبداً، ومن الأمور التي تحصل عادةً أن الأطفال غالباً ما يتفوّهون بأشياء يفضّل

ألا يقولوها وكانت تبتهج، إذ تبدو في صورة المرأة المحرجة، الخجولة من حالة العوز التي تركها عليها زوجها الهارب.. لقد كانت بالطبع تريد المال لنفسها فقد أوضحت لي ذلك، فإذا حدث بالفعل أن قالوا: «حسناً لنذهب إلى المدينة ونحصل على حذاء لك» لم تكن لتعرف ما يتوجب فعله آنئذ... أحتفظ أنا بالإيصال، وأعتقد أنّها كانت تقوم بإعادته.

كنت شيئاً للاستخدام.. لقد حصل تيري وأمي على ما أراداه مني. وما يزال أحدٌ لا يلاحظ ذلك.. وليس من أحد يخرجني من تلك البيئة.. أبداً لا يمكنك أن تعرف ما الذي يأتي مع المسيء.. وليس لأنهم يريدون إبقاءك في حالة من الخوف يفعلون أحياناً أشياءً سيئة.. حقيقة.. إن ما حدث لي في مرحلة حاسمة من التّطوّر يعني أن عقلي قد تّشكّل على هذا النحو.

الآن.. مع أي موقف صعب.. لأن جسدي بات يقول هذا يكفي، يتم فعلاً إيقافه. تحضرني أشياء كثيرة كانت تحفر ذاكرتي وتدفع بها إلى الواجهة.. يكفي أن أمرّ بشخص ما في سوبر ماركت، وله رائحة معينة فهذا وحده أمر كافٍ ليجعلني أتذكّر ما مررت به، مع أنّني كنت أدخن فلم يكن باستطاعتي أبداً تحمّل شخصٍ يدخن بالقرب مني، تمرّ الموجة فوقي..

أراه في أي مكان أذهب إليه، حتى على التلفاز، في المتاجر، أي شخص يشبهه، كان يتعين عليّ أن أنظّف حمامي باستمرار ذلك لأنني اعتدت على غسل سروالي

في الحمّام.. وإذا قمت بالاستحمام يجب أن أنظّف عندها الحمام بأكمله والمغسلة والمرحاض والأرضية، حتّى يبدو الأمر وكأنني أبداً لم أكن هناك.. والموسيقى؟ لقد سلبني ذلك، أليس هذا؟ حسناً.. لقد أحببت الموسيقى وهذا محفّز صعب.. خاصة لأنّه ليس بمقدوري السيطرة على ما أسمع، ومتى أسمع، وما إذا كنت أسمع.. والأكثر صعوبة إذا ما ذهبت إلى محلات السوبر ماركت، وإذا ما كانوا يعزفون أغاني أو موسيقى قديمة، كذلك ثمّة أماكن أخرى مثلها كعيادة الطبيب العام، أو بعض الأحيان المستشفيات، فهناك سيتم تشغيل الراديو المحلي على صوت الإذاعات الداخلية، الكثير من المراكز الصحية ليست على علم بالصدمات، وليست تفكر بأمور من هذا القبيل.. ولكن عندما تتفجر أصوات السبعينيات والثمانينيات وتعيدني إلى ذلك الوقت، يغدو التركيز على أي شيء آخر من الصعوبة جداً بمكان.

10

لا أحد يلام
فيما الجميع مدانون

كان الأخصائيون الاجتماعيون يعرفون أن تيري برايس مقيم لدينا، ومع ذلك فإنهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي من شأنه حمايتي من المخاطر المحتملة، والتي يمكن أن تلحق بي أو أتعرض لها. في يوليو من العام ١٩٨٠، تقدمت كاثرين الأخصائية الاجتماعية الرئيسية المكلفة بمتابعة ملفنا بتقرير أفادت فيه أنها: « التقت تيري برايس وتعرفت إليه في منزلنا في أستون »، وببساطة شديدة أوضحت أنّها قد أخلت مسؤوليتها في متابعة قضيتنا، مرفقةً ذلك باقتراح في عدم اتخاذ أي إجراء، وفي اليوم التالي لتقريرها حصلت على الموافقة في تعيين أخصّائيّة اجتماعية ثانية لمتابعة قضيتنا.

وذلك بسبب قيام والدتي بفسخ عقدها معهم ولأكثر من مرة...

أمـيّ لـم تثبـت يومـاً علـى رأي، أو اتفـاق، أو كلام مـع الأخصائييـن الاجتماعييـن، لـذا فقـد كانـت تتراجـع عـن جميعها فـي كل مناسـبة تقريباً حتـى عندما قدمت تنازلات أساسـية. فقـد بـدا مـن الواضـح جـداً أنهـا لا توافـق علـى ذلـك، واسـتمرّت علـى هـذه الحـال لسنوات... أعتقـد أن مـا جعلنـي تحـت الخطـر المسـتمر، عـدم اتخـاذ كاثريـن فيمـا يتعلق ببرايس أيّ إجـراء وقائـي. كأنهـا بذلك مهدت الطريق لإفشـال مهمـة فريـق العمـل الاجتماعـي فـي أسـتون فـي أي تعامل مع قضيتي مستقبلاً، وفـي كل مرحلة، وبغض النظـر عـن إجـراءات العمـل الاجتماعـي فـي تلـك الفتـرة، فقـد كان هنـاك العديـد مـن العلاقـات تشـير بوضـوح إلـى الخطـر الـذي كنـت فيـه... وفـي أحسـن الأحـوال فقـد تـم التقليـل منه...

وفـي أسـوئها التقليـل منـه. وأن توقـعّ أخصائيـة اجتماعيـة ثانيـة علـى تقريـر كاثريـن فـي عـدم الالتـزام باتخـاذ ((إجـراء آخـر)) هـو فـي رأيـي – إهمـال- لمـا يفرضـه واجـب الرعايـة لأي شـخص مكلّـف بمتابعـة كل ثانيـة فـي حيـاة الشـخص المسـؤول عنـه، ولمّـا كان فريـق العمـل الاجتماعـي السـابق مـدركاً تمامـاً عـدم تعـاون أمـيّ، فقـد كان يصّـر علـى القيـام بواجباتـه فـي إجـراء زيـارات تفقديـة منتظمـة. وبتمـام الإدراك لديهـم كانـوا يَعُـون حجـم المخاطـر التـي مـن الممكن تعرّضـي لهـا مـن خـلال تركهـا لـي دون رقابـة، وهـي إنسـانة عُرفت لديهم بميلها الشديد إلى تناول جرعات زائدة...

فـي عـام ١٩٨٢، وفـي الفتـرة التـي تلـت طـلاق أمـي مـن

أبي، حاولت إنهاء حياتها، بقطع شرايين معصميها... عندما وجدتها فاقدة للوعي في الحمام، تملكني أشدّ خوف، وطلبت مساعدة جار لنا يعمل كممرض، ونقلت أمّي إلى المستشفى، فيما قام الجار بالعناية بي أنا وأخي، في الواقع لم يكن في ملفي أي سجل يذكر ذلك.. لهذا لم يقم أحد بمتابعة حمايتنا.

كان ارتيادي لمدرسة أستون تاور جونيور إيذاناً لي ببداية ممارسة الهرب من المدرسة باستمرار «كنا قد انتقلنا للتّو للعيش في أستون»، لم يذكر في ملفي أي تعاون جرى بين المدرسة والخدمات الاجتماعية كما كان عليه الحال في بينتسيلس، فقد كان مرتكب الجرائم الجنسية موجوداً ويعيش جنباً إلى جنب مع فتاة صغيرة وأمها المهملة، والدليل كان ثابتاً وساطع الوضوح...

في عام ١٩٨١، حصل تغيّر واضح في الأمور، فقد تم إصدار حكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات بحق تيري برايس، وكانت التهمة قتلاً غير متعمد، فقد قام بطعن رجل ٤٧ مرة وهو في حالة جنون هستيري. لم يكن هناك أي معلومات دقيقة حول المدة التي سيقضيها في السّجن، وهذا لم يترك لدي الشعور بالارتياح الكامل بأنّه سيكون بعيداً عني لفترة معينة من الوقت، وأنني سأكون خلالها في مأمن...

ولذلك فقد كان على أمي أن تبدأ باصطحابي معها طوال الوقت تقريباً، وسأكون بقربها عندما تذهب لرؤية رجال آخرين... ولكنني كنت كمن اعتاد على الأمر... كان

عليّ في تلك الفترة أن اعتمد على نفسي، وكان تيري هو مقدم الرعاية الرئيسي لي، هي ازدواجية مازالت ملازمة لي حتى اليوم... في بحثك عن الجانب الإنساني للأشخاص أنت بذلك تختلق لهم الأعذار.. فتصبح من خلال ذلك متسامحاً مع ما فعلوه، وتتذكّر أنّهم كانوا يهتموّن بك في بعض الأحيان... يعيش الناجون وقد تم العبث بعقولهم، إلى درجة أنّهم لا يعرفون الطريق الصحيح... إننّا نبحث باستمرار عن الخير في الناس... فما لم يكن لديك ذلك... فلم أنت إذن؟؟؟

بذهاب تيري، اضطررت لمضاعفة جهودي، وغدت مسؤولياتي أكبر.. كان عليّ الاهتمام بنفسي، والاعتناء بأخي الصغير، وتنظيف المنزل، وتحضير الطعام.. ربما كان الوقت قد حان لأتحرّك خالعةً ثوب الطفولة وأبدأ بدور الفتاة الكبيرة.. لم تكلف أمي نفسها عناء إخباري بذلك، فكان عليّ أن أكتشفه بنفسي مضطرةً، ربما لم يكن يعنيها أنّنا كنا جائعين، أو أننّا في كلّ الأحوال نعيش على فتات الآخرين...

لم تعد تتركنا كثيراً أثناء الليل كما اعتادت أن تفعل عندما كنا أطفالاً صغاراً، لكنّها كانت تفعل ذلك كثيراً أثناء النهار... أخي كان ما يزال طفلاً صغيراً، لكنّه مثلي اعتاد على الاعتناء بنفسه، كان يستأذنني في الذهاب إلى المتاجر بمفرده لشراء بعض الأشياء، وكنت أقلق عليه عند ذهابه خوفاً من أن يحدث له أي مكروه، لقد كنت أشعر وكأنّني أنا الأم...

أعرف أنه سيلتهي في اللعب مع أي من الأصدقاء الذين قد يلتقيهم في الطريق، ولم تكن لديّ السلطة لإبقائه في المنزل باستمرار، ولم يفارقني مطلقاً ذلك الشعور بالخوف بأن شيئاً ما يمكن أن يحدث، ومع ذلك فقد كنت أسمح له... لقد أرغمتني على أن أكون فتاة بالغة بهذه السرعة...

في الفترة التي كان فيها تيري سجيناً، كانت أمي تواعد العديد من الرجال، كانوا يأتون إلى منزلنا ... أنا على ثقة أنّها عاهرة.. كان عدد الرجال الذين يأتون إلى منزلنا مبالغاً فيه جداً، وعلى الرغم من أنها كانت تحصل على الكثير من المال، فهي لم تنفق منه علينا شيئاً، وكانت كثيرة الشكوى لمعاناتها من الفقر إلى الأخصائيين الاجتماعيين.. في وقت من الأوقات بدأ أحد الجيران بالحضور إلى منزلنا بانتظام.. بالتأكيد كانت تمارس الجنس معه، وبهدف الحصول على المال كانت باستخدام الحيل تتمكن من خداع الكثير من الرجال، كانت تجبرني على أن أطلب منهم أن يحضروا لي أشياء، وأن أستجدي منهم المزيد من المال، ففي إحدى المرات أحضر لي رجل آسيوي، وكان طبيباً تحت التمرين، كيساً من الحلويات، وآخر أحضر لي مجموعة من الشوكولا الدنماركية وعلبةً من البسكويت، كانت تخبرني دوماً أنّني محظوظة بدرجة كبيرة لأنها تطلب منهم باستمرار أن يحضروا ليّ أشياء جميلة..

هناك مكانان مختلفان كانت تواعد فيهما الطلاب،

الأول في هاندسوورث والآخر في ليدي وود، حيث كانت تجرني معها إليهم، وكانت تذهب إلى هناك عدّة مرات، كما كان هناك أماكن أخرى أيضاً.. لقد أحببت الرجل في ليدي وود، كان يأخذني إلى متجر الفيديو لشراء بعض الأفلام ومشاهدتها، وأيضاً يحضر لي بعض الأطعمة، كانت وسيلة لإلهائي بينما كان وأمي يفعلان ما يفعلان...

كان بإمكاني سماعها وهي تمارس الجنس، وهذا في حال أنّها لم تطردني كما فعلت في لندن، وبالإضافة فإن السكن الطلابي لم يكن يمنح خصوصية كبيرة..

وعندما كنت ألقِي نظرةً عليها، كانت تسألني: « ما الذي تنظرين إليه؟؟ ..لا تحكمي عليّ.. ولا تلوميني على شيء ما، لا تتجرئي على التفكير في كيف تبدو حياتي».

الآن.. وبعد أن أصبح تيري في السجن، كان شعوراً بالأمان والطمأنينة يحيط بي في المنزل، مع أني كنت أجهل المدة التي سيستمر فيها هذا الأمان، ولم أعد كذلك أتعلق بأمي حين تغادر المنزل.. هذا في حال لم تجرني معها، لقد كنت أغلق الباب جيداً، وأنتظر عودتها، كان ثمّة شعور بالامتنان في داخلي لأنني لم أعد أتعرض للانتهاك من قبل تيري، الامتنان للتعليل الذي أمتلكه، لحظات كنت أتمسك بها ولم أكن أعرف إلى كم من الوقت سيستمر ذلك الأمان، وذلك الشعور بالطمأنينة..

ذات مرّة أخبرتني شيئاً عن طفولتي، وقلّما فعلت، قالت أنّها لم تستطع أن تصدّق أنني فعلاً طفلتها، وفي أوّل

عهدي بالكلام قالت إنّني تفوّهت بمفردات كانت عصيّة على فهمها، كنت شديدة الرغبة في معرفة المزيد عن تلك المرحلة، والمزيد من تلك القصص، وكنت أطلب منها ذلك مراراً وتكراراً.. أخبرتني أشياء قليلة جداً، وعلى مراحل متباعدة كمن يرمي بالفتات لإسكاتي، ولكي أتركها وشأنها.. كانت تنطوي على ازدواجيّة الخير والشّر، فالوقت الذي كان من المفترض أن يكون حقي في قربها واهتمامها، كانت تصرفه في الاهتمام والعناية بأشخاص آخرين. لقد رغبت بشدة في هذه المساحات من حياتها وشخصيتها لكنّها أبداً لم تتمكّن من أن تكون ذلك الشيء الذي يمكنني الاحتفاظ به.. ربما لم تكن معنية بتكوين هذه الرابطة بي أو معي، ظل الأمر مدعاةً لتساؤلي هل هذا بسبب شيءٍ أفقده أنا.. أو أنا من أخطأ فكنت سبباً يمنعها من الاهتمام بي، فما دامت تعنى بأشخاص آخرين، فأين أنا من بينهم؟ ولماذا ليس أنا؟ وهل كنت بالنسبة لها من النوع الخاطئ من الفتيات...؟

سالي.. كانت فتاة تكبرني قليلاً، وتسكن على بعد منزلين منّا، وكانت صديقتي المقرّبة، نجلس في الحديقة، نتشارك اللعب، نصنع فطائر الطّين، ونطلق العنان لمخيّلتنا بلا حدود.. وكانت ابنة لعائلة فظيعة ومسيئة، ومنزلها الذي يفوق منزلي سوءاً، كان على مستوى آخر من القذارة، وفي حال فتحت الباب فلا يمكنك التنفس من الرائحة النتنة، كان هناك كلاب ميتة تحت الصحف، ولقد بدت والدتها كشخص مشرد بشعرها الأجعد، وكانت

تتلقى من أخيها معاملة العبيد. رغبت والدتي ببقاء سالي معنا لبعض الوقت، لقد بالغت في الاهتمام بها، أطعمتها واشترت لها الكثير من الأشياء متجاوزة الحدود في معاملتها الجيّدة لها والاعتناء بها، ذاك الاعتناء الذي ولّد لديّ شعور الغيرة والحسد، حتى بدأت أتشاجر معها. كانت ترغب في إنقاذ الجميع وتصرف نظرها عنّي.. لم يكن لدّي الكثير من أمي على أي حال.. وفجأة أصبح لديها فتاة صغيرة أخرى، لعبةٌ جديدة لتفسدها... وانتهى الأمر بفقداني الصديق الوحيد الذي كان لديّ، ففي نهاية المطاف ذهبت سالي إلى دور الحضانة..

بعيداً عن النسيان تحفر مكانها في ذاكرتي تلك اللحظات حيث كنت أجلس إلى المرآة في غرفة نومي وأبكي بحرقة، فقد كنت أفتقد بشدّة وجود شخص أفضي إليه بهذا الحزن وبتلك الهموم، كنت أشدّ ما أكون في حاجة للاهتمام، للدعم، للمساندة، لم أكن أرغب في البكاء وحدي.. أليس غريباً جداً أن أجد في تأملاتي الخاصة الطريقة الوحيدة التي من خلالها فقط يمكنني الحصول على نوع من التفاعل... أليس من الغرابة أن تفكر طفلة في التاسعة من عمرها بهذه الطّريقة. لكنّها كانت إحدى آليات التأقلم الخاصّة بي فيما يبدو.. في معظم الأوقات كنت خارج المنزل، في منازل الآخرين، أسير في الشوارع.. الآن وبعد رحيل تيري وعلى عكس ما كان الأمر عليه أثناء وجوده، حاولت ألّا أتواجد أمام أمي طوال الوقت، ولماذا أتعب نفسي في محاولة إقامة علاقة

معها ما دامت لا تعطيني شيئاً ولن تفعل.. ما تزال مخيّلتي عالمي الخاص، سيكون هناك بعض الألعاب في عيد الميلاد، وليس الكثير، ولا شيء يدوم، فقد كان كل شيء رخيصاً.. كنت أبحث عن المصاصات، وقد بحثت عنها كثيراً ولوقت طويل.. كنت أصنع منها منازل صغيرة، أرسمها، وأجد بذلك طريقة أسلّي بها نفسي..

كانت المدرسة فظيعة، وكان عليّ أن أنضج بسرعة، كنت شديدة التأثر أمام مشهد من يتعرض للإساءة أو التنمر، ولم يكن يعجب المتنمرين ذاك التحدي من قبلي الذي طالما واجهتهم به.. وإذا ما تعرّض طفلٌ صغير للضرب فلا بد سأكون هناك بالرغم من أنني تعرضت للتنمر أيضاً...

ذات يوم أرغمتني أمي على ارتداء ملابس ضيّقة للمدرسة، لم أكن أرغب في ارتدائها، وكنت أجدها غير مناسبة، فهي لمن هم أكبر مني، لكنّها ردّت بعصبية.. أنت تفعلين ما أريد.. وترتدين ما أطلب منك فقط.. ونزلت عند رغبتها، وكان لها ما طلبت، كنت أعرف مسبقاً ماذا سينتظرني من مضايقات وتنمر بمجرّد وصولي إلى المدرسة، كانت هناك عاصفة من الهتافات:

– من تظنين نفسك؟
– انظروا إلى هذه السيّدة هنا؟
– وهل تظنين نفسك أفضل منا بهذه الملابس الضيقة الفاخرة؟

وفي قرارتي .. ليس ذلك صحيحا على الإطلاق، كثيراً

ما شعرت بأنني مختلفة، ولا أشبه الآخرين، ليس فقط لأنني لم أحظ أبداً باهتمام أمي ولا بسبب الإساءة التي حدثت لي، لكن لأن مرحلة متقدمة من العمر فُرضت على طفولتي المفقودة، وأُجبرت على أن أصبح وبسرعة فتاةً كبيرة.. لكم حاولت أن أرتدي ثوب التخفي، لأخفي خلفه تحطمي وضعفي وهشاشتي في محاولة أتعبتني للإبقاء على مسافة مع الناس، وعدم السماح لهم بالاقتراب مني.. لقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً.. عندما كنت أسمع كلمات التنّمر ترن في أذنيّ لم يكن بإمكاني الوقوف بحياديّه، وكأنّ شيئاً لم يحدث، وكنت أعرف مدى صعوبة التعرض لمثل تلك الأشياء دون مساعدة من أحد، شعرت كأن ثمة إشارة أحملها، وأن بإمكان كل الناس أن يروا كم أنا متضررة وقذرة، وسيعرفون أنّني ضحيّة يمكنهم لو أرادوا الإساءة إليها...

كان لديّ بعض الأصدقاء، أطفال أصدقاء أمي، وكانت لدي سالي لفترة من الوقت وعلى عدة أبواب فقط كنت أعرف الناس ولكنّي حقاً لم أكن قريبة منهم.. على امتداد وجود تيري في السجن كانت أمي تزوره وتكتب له، ولقد اصطحبتني لزيارته في النزل بعد أن أطلق سراحه، وسمعتهم حينها يتحدثون، وقد ذكر «كاهن» ما أفادت به السجلات التي عثرت عليها:

« كانت تقول فقط: إنه مثلي الجنس» كنت أشعر أنه لم يختف بشكل نهائي، لم يخبرني أحد أنّه قتل رجلاً – لذلك لم يكن لدي شعورٌ بأن الأمر قد انتهى... كنت

أعرف أنه سيعود...

رغبت أمي في إصلاح الجميع، ولأن تيري كان من نتاج مراكز الرعاية، فقد كانت دائماً إلى جانبه، تتفهم ارتكابه كل الأشياء ... تحتويه، حتى قتله لشخص ما لم تكن ترى أنّه خطؤه.

وحين يرى الأشخاص العاديون في فعلته نتيجة لحالة جنون ذهانّي مروّع، كانت تتفهّم أفعاله كلّها وتراها على غير تلك الصورة.. لقد كان بإمكانها أن تعتني بي، فأنا أيضاً كنت شخصاً محطماً بشكل لا يصدق.. لكنها مع ذلك لم تكن ترغب في إصلاحي...

11

مرحباً بالأميرة
لقد عاد ...
وشعرت أن عالمي قد انهار

تمّ إطلاق سراح تيري وغادر النُزل، وسُمح له بالإقامة معنا والعيش مرةً أخرى إلى جانبنا حيث تمَّ تسجيل مكان سكنه بعنوان منزلنا.

كان ذلك عام ١٩٨٤، وكنت في التاسعة من عمري، كان معروفاً لدى الجميع ما هو عليه تيري، ورغم ذلك فقد تم رسميّاً إطلاق سراحه، ليعود إلى منزلنا ويعيش مع طفلين صغيرين. عدت من المدرسة مبللة تماماً، فقد كان يوماً ماطراً بشدة، مترافقاً مع أصوات عصف الرياح التي ملأت الأرجاء، لم يكن منزلنا رائعاً لكنه كان على الأقل مكاناً جافاً. فتح تيري الباب، قبل أن أدير مقبضه وقال مبتسماً: « مرحباً بالأميرة »، لم يستغرق الأمر مني

سوى نظرة واحدة إلى وجهه لأشعر أن عالمي قد انهار من جديد.. أدرت ظهري وبدأت أركض هاربةً تحت المطر، والرياح تعصف من كل جانب، كنت لأفعل أيّ شيء لأهرب منه، بدأت أجري، وشرع الألم يتفاقم ازدياداً في صدري.. كان ذلك بسبب الخوف، ولم يكن أبداً بسبب البرد أو الجري.. لقد أرعبني وجوده.. وكل ما كنت أفكر فيه هو، ها نحن مرّة أخر، عدوت حتى لم أعد قادرة على ذلك، انهارت قدماي، وسقطت على العشب في ملعب كرة القدم، وبدأت بالبكاء.. كان ملعباً فارغاً، وبسبب ذاك الجوّ الكئيب، فقد تحولت فترة الظهيرة إلى مساء مبكر، « وكانت فكرة عودة الوحش وحدها كفيلة لتكسر قلبي»...

« هيا يا ديلّا «، جاء الصوت قريباً من أذني، فيما جسدي كلّه كان منقبضاً وأنا منكمشة على نفسي هناك ورأسي يتوسد على ذراعي...

– « حان الوقت للتوقف عن التصرف بهذا الغباء، حان وقت العودة إلى المنزل»

إنه هو... فأمي أبداً لم تحمل نفسها عناء القدوم لأخذي.

– قلت له: لن أعود
– سألني مستخفاً بي: «هيا ما خطبك؟»
– صرخت به: «بسببك»

وامتزج صوتي بأصوات العاصفة الرعدية المرافقة بالبرق الفضي الذي كان يضيء من حولي المكان كله، وبدلاً من أن

تأتي أمي بنفسها لأخذي، فقد أرسلته إليّ. وعبر ضجيج الرعد صرخ بي تيري:

- « هيا ما بك؟»
- أجبته: «ما دمت موجوداً في المنزل فلن أذهب، وأنا مصممة على ذلك».
- قال: « كفاك سخفاً، لقد عدت الآن، ألا تريدين عودتي؟»
- قلت والدموع تنهمر من عيني: « لا أريدك هنا يا تيري، لا أريد أن تفعل مجدداً ما كنت تفعله بي « . كان كلامي واضحاً بالنسبة له، لكنه سألني:
- «ماذا تقصدين يا ديلّا؟»
- لا أريدك أن تقترب مني أو تلمسني، أريدك أن تتوقف عن فعل كل تلك الأشياء التي فعلتها بي، يجب أن تتوقف عن ذلك هل تسمعني؟

وكما لو كان هذا طلباً محيّراً بالفعل.

- سأل: « هل حقاً تريدينني أن أتوقف؟ حقاً
- أجبت والألم يخنقني: «نعم! نعم!»

كانت دموعي المنهمرة على وجهي تختلط بحبات المطر، وتوقّعت أن يهاجمني هناك، ولكن بعد ذلك حدّق بي وكأنما كنت مخلوقاً فضائياً، وقال: « حسناً »

ودفعني إلى المنزل وهو يجرني من ذراعي.. لم أصدق ردة فعله تلك وللحظة لم أكن أصدق أنه كان يقصد ذلك، وأنه سيتوقف أبداً، لكنه فعل ... لم يلمسني مرّة أخرى. ما دام الأمر بهذه السهولة، فلماذا لم أطلب منه التوقف من قبل؟ لماذا لم أقل ذلك منذ البداية؟ لقد كان عليّ أن

أحسب حساباً لذلك...

ما أعلمه، أنّه تراجع أمام رغبتي التي عبّرت عنها، وأنه لو استمر في فعل ذلك فإنّ احتمال إخبار الآخرين بذلك قائم حتماً. لذلك يمكنه فقط الانتقال إلى شخص آخر. لكنّه لا يزال يجلس معي. هل حقاً كان الأمر بهذه السهولة؟ أن أطلب منه ذلك هو فقط ما كان عليّ أن أفعل. وهل يعني هذا أنّه سيتوقف عن الإساءة إليّ؟ في ظاهر الأمر ربّما، لكنّه يفعل ذلك وباستمرار في رأسي وفي كل ثانية على امتداد ساعات اليوم فهو لم يتوقف عن فعل تلك الإساءة في عقلي، لقد توقف عن ملامستي في تلك الليلة وفي ما تلاها، وفي ذلك الأسبوع. لقد أوقف الاعتداء الجنسي ولم يلمسني على الإطلاق هذا ما جعلني أعيد سؤال نفسي إذا كان كلّ ما عليّ أن أفعل هو أن أطلب منه ذلك، أن أطلب فقط.. ولم أطلب، فإنّ استمراره في فعل ذلك كان بسبب خطئي. كم أنت ذكيّ يا تيري حوّلت الضحية إلى جانٍ، وجعلتني أعتقد أنّ كل ما لحق بي من أذى أنا من جلبته لنفسي، أنا السبب في الوصول إلى ما أنا عليه.

بعد عدة أسابيع على عودة تيري من السجن تعرّض منزل أمي للاقتحام، وأتذّكر أنّني في محاولةً مني لتهدئة نفسي كنت أقول: لا بأس، فالجميع يمرون بهذا، يتعرضون للاغتصاب والإيذاء والسرقة والمطلوب هو التخطي لكل ذلك. ما كنت أدرك جينها أنّ الحياة لم تكن لتسير على هذا النحو، ولماذا اعتقدت أنّ ما مررت به هو أمر قد

مرّ به الجميع. لقد كان اعتقادي ذاك إحدى الطرق التي جعلتني أتأقلم مع الأمر، لماذا اعتقدت ذلك؟ وما هي الرسائل التي تلقيتها؟

في هذه الفترة كان تيري يقوم في بعض الأحيان بمغادرة المنزل، وبامتناعه عن الإساءة إليّ توفر له الوقت لفعل ذلك. في إحدى الليالي، بينما كان من المفترض أن يقوم برعايتنا أنا وأخي كجليس للأطفال حيث قد رتبت والدتي موضوع خروجها من المنزل، قال بشكل مفاجئ: «عليّ الذهاب الآن».

أجابته أمي ساخرةً: « هكذا إذن؟ هذا يعني أن ديلّا ستبقى هنا بمفردها، لا بأس، وأضافت سيكون عليك اتخاذ الترتيبات اللازمة.

لقد أحضر أحد أصدقاءه ليجلس معي، ورحت أسأل نفسي: هل سيتصرف مثل تيري، هل سيفعل معي تلك الأشياء؟ كنت حذرة جداً. لكنّ ذلك الشاب أبعد يده عني. وفي حوالي الساعة العاشرة ليلاً قال لي: « أحتاج للذهاب إلى المتجر» ولم يعد أبداً. في الصباح كانت أمي تصرخ: « ماذا حدث بحق الجحيم الليلة الماضية؟ ماذا حدث يا تيري؟

لقد عادت ليلاً ولم تجد أحد يرعاني، ولأنّها لم تعتقد أبداً أنّ ذلك كان من مسؤوليتها مطلقاً، فقد كان خطأ تيري بشكل كامل. من الواضح أنّ ذلك الرجل ذهب فعلاً إلى المتجر لكن بقصد السرقة، وألقي القبض عليه وهو

يقتحم المكان في الوقت الذي كان يتوجب عليه أن يكون جليساً للأطفال. ربما كان ذلك ذريعةً بالنسبة إليه وإذا لم يُلق القبض عليه فبإمكانه العودة إلينا.

أكثر بكثير من الارتياح الذي كان يملؤني في وجود أمي، كان إحساسي بالارتياح التّام عندما غادرنا تيري، لقد توقفت عن مطاردتها بعد ذهابه، وما إن عاد حتى عاودت فعل ذلك، ذلك لأنّني توقعت أن يعاود أفعاله معي. فقط لو أنها فكّرت مرّة في سبب رغبتي في استبقائها إذ ربّما لم تكن الأمور ستكون كما هي، بالتأكيد سوف تتغير؟

حتى لو كانت أماً قذرة، شعرت أنّ بإمكاني التنفس إذا كانت هناك. عندما ركضت خلفها أبداً لم تعد، كانت فقط تهددني، انتظري، لم تضربني على هذا النحو لأنّني كنت أركض بسرعة كبيرة، لكنها تمسكني من شعري وتشدني حتى تمنعني من الحركة، وتهمس في أذني كم أنني فتاة سيئة.

كان تيري لا يزال هناك طوال الوقت ولقد سمعته يتحدث عن اعتداءاته على الفتيات الصغيرات، وعلى بنات أصدقائه، وكنت أشعر كما لو أنّ دوري لا بد أتٍ مرةً أخرى.

لقد أخذ مني الكثير، حاولت أن أبتعد عنه كثيراً، فلم أعد أرقص في غرفة المعيشة أبداً ولا حتى في غرفة أمي. على قدر استطاعتي كنت أقضي وقتي في الخارج،

ولـم أكـن أرغـب مطلقـاً أن يهتـم بـي، حاولـت الابتعـاد عـن أمـي، وعـن التعلق بهـا أثنـاء خروجهـا، ولـم أعـد أسـمع كثيـراً تعليقاتهـا حـول كونـي ملكـة الدرامـا، أو كونـي مشـكلة. ذلـك أنّني ابتعدت عنها وأصبحت خفيـة بالنسبة إليها. أسعدها ما فيـه الكفاية غيابي عن التواجد حولها. عندها أدركت ألّا فائـدة ممـا أفعلـه، فلتذهـب حيـث شـاءت وتبحـث عـن رجـال، وتنـام مع مـن تريـد، وهـي كمـا أعلـم مـا تـزال تفعل ذلك، دون أن أمسكها من معطفها فقط أردت الاختفاء.

مـا دام هـؤلاء النـاس ليسـوا أبـداً أبناءهـا فقـد رغبـت فـي إنقاذهـم، لـم أفهـم ولـم أسـتطع إدراك علاقـة أمّـي بتيـري ولكـن لابـد أنّهـا بذلـت قصـارى جهدهـا لتسـجل أنّ منزلنـا هـو المـكان الـذي سـيعود إليـه تيـري عنـد إطـلاق سـراحه. ليس ثمـة علاقـة حسـية بينهمـا، فهـي فـي الواقـع كانـت مـع صديقـه لفتـرة مـن الوقـت، ولكـن حتـى فـي انتفـاء هـذا العنصـر فـي علاقتهمـا، فلقـد كانـت تعلـم أنّـه قاتـل، وتعلـم أنّـه كان لديـه الكثيـر مـن الجرائـم التـي ارتكبهـا بحق الأطفـال لأنّـه كان مذنبـاً جنّسـياً، ولـم تقلـق أبـداً لمعرفتهـا أنّـه منـذ خـرج مـن السـجن قـام بقتـل رجـل بشـكل وحشـي، وفـي هـجوم محموم، ومع كل ذلك اختارت إحضاره إلى منزلها.

كنـت غاضبـةً بشـدة مـن الأخصائييـن عندمـا وجـدت تقريـراً لديهـم فـي أبريـل ١٩٨٢ صـادراً عـن ضابـط الإفـراج المشـروط وقـد جـاء فيـه « أطلـق سـراح تيـري برايـس مـن السـجن فـي ١٣ أبريـل وذهـب للعيـش مـع كـارول رايـت، أُكتشـف للتـو أنّـه كان ولمـدة ثـلاث سـنوات فـي السـجن

بتهمة القتل غير العمد، فقد طعن مثلي السجن ٤٧ مرة، كما كان قد تلقى أحكاماً سابقةً بتهمة الاعتداء المخل بالآداب على فتاة في الثانية عشرة من عمرها، على ما يبدو أثناء وجوده في الرعاية، بالإضافة إلى اعتدائه على الفتيات الصغيرات في منازلهن. لقد أراد ضابط الإفراج المشروط أن يعرف رد فعلنا تجاه هذا الرجل الذي يعيش مع كارول رايت، وعندما قلت إنّنا سنكون أكثر قلقاً، اعتزم الضابط فوراً على حث وزارة الداخلية على تغير الشروط التي سيتم بناءً عليها ووفقاً لها إطلاق السراح المشروط لـ تيري برايس، وعليه سيتعين على السيد برايس أن يعيش في نزل تحت المراقبة، وتوقع أن يتم ذلك في حلول يوم غد، كما أنّه اعتزم توعية السيدة رايت بسوابق برايس، وأنّه بناءً على اهتمامها فيما لو بدت مهتمة وشعرت أنّ هناك أي خطر قد يعرّض أطفالها للإساءة سيعيد الإحالة.

لقد كانوا على علم منذ عام ١٩٨٠ بارتكابه هذا النوع من الجرائم بحق الفتيات، لكنّهم رفضوا اتخاذ أي إجراء، وقد أخبرتهم المدرسة أنني كنت أسير في الشوارع بدلاً من العودة إلى المنزل إلّا أنهم اكتفوا بأن وضعوا ملاحظات عبر باب المنزل. هذا هو الشيء الوحيد الذي فعلوه. لقد أتيحت لهم الفرصة في ذلك الوقت لوقف الإساءة ما إن بدأت، لقد كان من الممكن أن أُخلص. ماذا لو مازالت معاناتي من ذلك الأمر مستمرة ومع نمو هذا الشخص البالغ الذي أصبحت فيه، والفكرة القائلة أن

شخصاً ما يعتقد أنّ مجرد وضع ملاحظة عبر باب المنزل كانت جهداً يكفي مقارنةً بالجهود المبذولة لإيصال ما فعلته هو أمر مروع. لم أكن أبداً في مكان آمن مثل يوم كنت في الرعاية، فقط لو أنّهم استمروا في هذا النهج من الحماية، لو أنّهم أخذوني بعيداً لكان من الصعب مواجهة شيء بمثل هذا السوء. بدلاً من ذلك فقد سُمح لكل هذا السوء بدخول منزلي وحياتي إلى الأبد.

12

احتياجات
أو ثمّة اسمُ آخر

بعد تسع سنوات امتّد خلالها زواج أمي وأبي وقع طلاقهما رسمياً في حلول شهر آذار من عام ١٩٨٢. وأفضى الأمر إلى زواج والدي من السيّدة ديبي، السيّدة فون. مّما جعلني أشعر أنّه قد أصبح لديه حياة أخرى. لم يكن مردّ ذلك أنّه لم يعد يرغب في الارتباط بنا، لكنّ الواقع أنّ الخلاف بينه وبين أمي لم يعد الأن قابلاً للإصلاح. في المناسبات النادرة، كان أبي يصطحبنا إلى منزله الرائع. كانت ديبي تجعل من هذا اليوم يوماً رائعاً بامتياز، كانت لطيفة جداً كأم حقيقيّة بالنسبة لي، كان المنزل نظيفاً جداً، وتفوح منه الروائح العطرة.

كانت تعد لنا طعاماً شهيّاً فديبي بارعة في الطهي. كنا نستقلّ الحافلة مع أبي إلى منزله، وكنت أشعر

بالحماس لرؤية ديبي، لكن كان عليّ مثلاً أن أستمع إلى جميع أسئلة أبي فيما يتعلق بأمي:

– بمن تلتقي هذه الأيام؟
– من تحضر منهم معها إلى المنزل؟
– هل كانت تمضي الليل خارجاً؟
– هل عثرت على رجل أسود؟

كانت إجاباتي سريعةً ومختصرة، ولم أكن أرغب في أيّ من هذا. لكنّني أحببتُ والدي. كان مجرّد وصولي إلى منزله يعني لي أنّني مقبلة على قضاء يوم مميّز مليء بالمرح والسعادة.

كان علينا التوّقف عند حانة في طريقنا إلى منزله من أجل الحصول على نصف لتر من الشراب. وزجاجة من البوب وعلبة من رقائق البطاطس، كنا ننتظره أنا وأخي في الخارج.

وفي وقته الخاص، كنّا نلعب بدراجاتنا المحفوظة لديهم في منزل ديبي، ونلعب مع الأطفال الأخرين، ونحصل على عشاء رائع. وقبل نهاية الزيارة كانت تحتضنني على الأريكة لمشاهدة Some Mothers Do 'Ave' Em. كانت تطعمني وتدلّلني كثيراً. كان ذلك اليوم الواحد الذي أقضيه مع ديبي كفيلاً بإفسادي بسبب كمية الدلال والاهتمام التي كنت أحظى بها.

وما أن أعود إلى منزل أمي أعي أنَّ عالماً مختلفاً بانتظاري عند دخولي، وسيلًا من الأسئلة نفسها التي سألنيها أبي في الطريق إلى هناك، ولشعوري بكميّة

المرارة الأشد التي كانت تحملها أسئلتها تبادر لي أنّني من خلال ذلك الوقت اللطيف الذي قضيته مع ديبي قد خنت أمّي.

مع محاولتها تحريضي ضد ديبي، كانت تهددني باستمرار بأنّها قد تؤذي نفسها، هذه طريقة تعاملها مع حقيقة وجود امرأة أخرى حولي. ومن أجل السماح لأمّي بالفوز في النهاية كان من الأسهل الابتعاد عن القليل من أشعة الشمس في حياتي.

لقد كان ألم العودة يفوق فرحة وجودي هنالك. لم يكن الأمر مستحقاً للاستجواب والغضب.

ذات مرة وصل الأمر إلى ذروته، وكان أبي قد تركنا عند باب المنزل على عادته حيث يوصلنا ويجري مسرعاً تجنباً لرؤيته والدتي في ذلك المساء. كان المنزل هادئاً صامتاً، لم أسمع صوت أمي أبداً، لم تكن هناك تنتظرني لتبدأ بوابل الأسئلة المعتاد.

بدأت أنادي بصوت مرتفع «أمي.. أمي، أين أنت»، خلعت معطفي، ثم قمت بخلع معطف أخي الصغير، وطلبت منه البقاء في مكانه. وبدأت أحدث نفسي ربما تركت لنا الباب مفتوحاً لأنها تعرف أنه موعد قدومنا، وربما كان عليها أيضاً أن تترك التلفاز مشغلاً فقط ليشعر الناس أن هناك أحداً داخل المنزل.

بدا الوضع هادئاً ومريباً للغاية. وما زلت أنادي، «أمي؟ أمي؟ مررت بكل غرفة في المنزل، وانتهى بي المطاف

في الحمام. حيث وجدت أمي على الأرض مغمى عليها والدماء في كل مكان.

- ماذا حدث لأمي؟» صرخ أخي الذي لحق بي. «ما كل هذا الدم؟"
- قلت له: «لا تكن سخيفاً! هذا ليس دماً «إنها صبغة شعر".
- سأل « إذن لماذا هي نائمة؟»
- أجبته: أظن أنها كانت متعبة وغير قادرة على الذهاب إلى سريرها.

لم أكن قادرة على إبعاد نظري عنها، ولكن كان عليّ أن أتصرف، أن أطلب المساعدة من أحد، لأن الأمر كان فوق إمكانياتي. قلت لأخي: دعنا نذهب إلى الفراش.» وطلبت منه أن يقوم بغسل وجهه وتنظيف أسنانه. ثم ذهبت مسرعة لأطلب المساعدة من الجيران.

كنت أعلم أنها كانت ممرضة، طرقت بابها، متوسلةً إياها للمساعدة. كل ما أعرفه هو أن أمي نُقلت إلى المستشفى لكن الشعور بالذنب لما فعلته كان ثقيلًا لدرجة أنني لم أعد إلى منزل ديبي مطلقاً. مكثت مع نان لبضعة أيام. كانت امرأة لا تمانع في إبداء رأيها بشأن أي شخص، في أي وقت، ولم يكن لديها وقت كافٍ لتقضيه مع والدتي.

«أنا لست مندهشة، لست مندهشة على الإطلاق يا ديلا، إنها متعبة كانت تبدو كأنها عظام مكوّمة والآن هذا، لا، أنا لست مندهشة على الإطلاق» قالت متمتمة.

بالإضافة لذلك، كان والدي يفكر في أنني أعرف مكانه إذا ما كنت بحاجة إليه، لكنني أردت أن يكون إلى جانبي، أردت أن يكون هناك شخص من أجلي، شخص يحتويني ويبقى بقربي، لا أن يلقي علي المسؤوليات لأذهب أنا وأبحث عنه.

لم يكن والدي شخصاً يستطيع تحمل المسؤولية أو الالتزام بأي شيء. استمر زواجه بديبي لمدة عشر سنوات، انتهى الأمر بينهم بسبب غياب أبي المتكرر لأيام وأسابيع متتالية، فقد كانت قلقة عليه للغاية بشكل مستمر. قالت إنه لم يقم بضربها أبداً، رغم كل ما ادعته أمي عنه.

لقد ترك امرأة جميلة ولطيفة، كم تمنيت لو كان وجودها في حياتي أكثر من ذلك بكثير. بالرغم من حبي الشديد لوالدي إلا أنه كان أنانياً دائماً.

كان الأخصّائيّون الاجتماعيون لا يزالون يكتبون تقارير عن أوضاعنا، ويقولون إن أمي كانت قلقة باستمرار من أن عليها إيجارًا متأخّرًا ولا يمكنها دفع فواتير الخدمات. مما أعرفه ومما رأيته كان ذلك خدعة متعمدة منها. كانت تحاول التلاعب بهم، لأنها كانت تملك المال. كانت تذهب إلى الخدمات الاجتماعية لأنها تعلم أن بإمكانهم توصيلها بالمؤسسات الخيرية.

أتذكر أننا ذات مرة ذهبنا إلى إحدى هذه الجمعيات في هاندسوورث، حيث كان علينا الصعود إلى مستودع

كبير في الطابق العلوي ويمكنها اختيار ما تحتاجه. اعتقدت أن ذلك كان رائعاً وحصلت ذات مرة على زوج من أحذية. كانت تكره هذه الطريقة في التجهيز، لأنها كانت تريد الحصول على المال، وليس الأشياء.

أوضح لها الأخصائيون الاجتماعيون أثناء زيارتهم لنا في المنزل، أنه في بعض الأوقات يحق لها الحصول على مساعدات نقدية. وعندما كانوا يغادرون المنزل كانت ترقص فرحاً في جميع أنحاء الغرفة؟ لقد كانوا قلقين بشأن ذلك أكثر من قلقهم بشأن ما إذا كنت في أمان، وكانوا يجهلون حقيقة أنها تملك المال.

المرات الوحيدة الأخرى التي رأيت فيها أمي سعيدة كانت عندما تكون مع أصدقائها، عندما كان تيري في السجن أو النزل، كانت تأخذني معها في بعض الأحيان، وأكثر الأوقات كانت تتركني في المنزل.

تلقيت مكالمة هاتفية من إحدى النساء الأخريات قائلة إنّه يجب أن أقابل أمي في أسفل التل وأدفعها لأعلى لأنها كانت ثملة جدًا بحيث لا تستطيع السير. كنت كائنا صغيراً يخرج في الظلام لأجدها واقعة في حالة من الفوضى، حيث اضطرّ إمّا إلى محاولة جرّها إلى أعلى التل أو دفعها من الخلف.

على ما أعتقد كانت سعيدة بما يكفي بوجود الموسيقى والمال والرجال والشرب. كل ما تحدثت عنه كان الرجال ومدى جاذبيتها، كانت حياتها تدور حول كم أنها امرأة

مرغوبة، وتجذب انتباه الرجال، وأي رجل كان.

كانت تثيرني دائماً من خلال الحديث المستمر عن الجنس. هذه هي الطريقة التي أتذكرها بها، في حالة تناول أدوية شديدة أو في حالة سكر أو في السرير مع رجل أو خارجا للبحث عن رجل. كانت غير مهتمة تمامًا بأن تكون أماً إلا إذا كانت تتحدث معي عن الجنس، كما لو كنت أفضل رفيق لها بدلاً من كوني ابنتها الصغيرة.

عاد تيري ليمكث معنا بضعة أسابيع فقط، لكن خروجه في الأصل من المنزل لم يحدث فرقاً كبيراً لأنه كان موجوداً لا يزال في حياتنا. نظراً لأن أمي كانت على علاقة بأحد أصدقائه، فقد كان ذلك سبباً للقاءاتهم ببعض، حتى أنها كانت تأخذني لزيارته في الاستديو الذي يعيش فيه.

كان لدي خوف دائم من أنه قد يبدأ بالإساءة لي مرة أخرى في أي وقت. لكن تيري سرعان ما وجد صديقة له بعد إطلاق سراحه، وكانت حاملاً.

يبدو لي أنه من غير المعقول أن يكون ذلك مسموحًا به، ألم يخبرها أحد؟ ربما كانت على ما يرام مع كونه قاتلًا مُدانًا، لكنها رفضت أيضًا حقيقة أنه كان يمارس الجنس مع الأطفال، أو لم يتم إخبارها مطلقًا؟ سرعان ما انتقلا إلى بيت صغير وفره المجلس، الذي قرّر أنه يجب أن يتمّ دعمه في الحصول على هذا السكن ويجب أن يكون هناك توعية له بأنه سيصبح أبًا.

رؤية صديقته الحامل جعلت شيئًا ما يتسارع في ذهني، كنت أعلم أن الطفل يمكن أن يكون في خطر من تيري، كنت أعرف أن ما حدث هو خطأ.

سيكون أمرًا مرعبًا أن يولد طفل في عائلته ولم أستطع فهم سبب حدوث ذلك. ما زلت لا أملك المفردات أو الصوت واللغة لأفسر ما فعله تيري بي، لكنني لم أكن نائمة، كنت خائفة طوال الوقت وشعرت أن أمي خانتني لأنني ما زلت مجبرة على العيش في عالم فيه تيري. كان يتصرّف بشكل طبيعي للغاية، كما لو أنّه لم يحدث شيء على الإطلاق. لقد كان منغمسا في علاقته وكان متحمساً لقدوم الطفل، وهذا ما يقلقني. شعرت بالرعب لأنه كان متحمساً لأسباب لم أكن أرغب في التفكير فيها. واتخذت جميع الزيارات نفس الشكل دردشة ثم الشرب طوال النهار والليل. كان الاستديو الخاص به صغيراً جداً، عبارة عن أريكة في غرفة المعيشة، ومطبخ صغير، وحمام وغرفة نوم واحدة. دائماً هناك صوت موسيقى صاخبة تنبعث من الراديو وضباب كثيف من الدخان يغطي كل شبر من المكان. وعادة ما تتم رشوتي لمشاهدة شريط فيديو حصلت عليه أمي في وقت سابق من المتجر، والذي كنت أشاهده مراراً وتكراراً.

لسبب ما، أحبت أمي البقاء هناك ذات ليلة عندما تأخر الوقت، وقررت أننا سنبقى هناك. ذهب تيري وصديقته إلى غرفتهما، بينما كنت مستلقية على الأريكة مع أمي. كان صديق تيري يتسكع في الجوار، ويسكب

لنفسه الشراب، وفجأة، أصبح هناك فوق أمي.

- كان بإمكاني سماع أمي تقول، «لا أستطيع، إنها مستيقظة».
- قال صديق تيري: «لا، إنها تغفو بسرعة».
- قالت: «حسنًا، قد تستيقظ.»
- قال لها: «سيكون ذلك سريعاً، لن تسمع شيئاً، لن تلاحظ، توقفي عن القلق».

بينما كانت أمي تمارس الجنس بجواري، حاولت أن أركز على الاستماع إلى أغاني جورج مايكل المنبعثة من الراديو، وأقوم بتكرارها مرتين في رأسي. ما زلت أفعل ذلك كوسيلة للانفصال والتأقلم. بالطبع، اعتقدت أنه قد يبدأ بي.

تجمدت في مكاني وتظاهرت بالنوم، لحظة مغادرته بمجرد انتهائه كانت ساحقة. أن تكون كطفل في وضع كهذا، وأن تضطر إلى التظاهر بأنه ليس لديك أي فكرة عن أن والدتك تمارس الجنس مع رجل غريب على بعد بوصات منك، فهذا يعنيك إلى الأبد. لامست أجسادهما جانبي، وتحرك جسدي على الأريكة وهم يتصارعان بحب. كان مقززاً.

في صباح اليوم التالي، تصرفت أمي كما لو كان كل شيء طبيعياً تماماً. أفترض أنه كان كذلك.

كما قلت سابقاً، كنت أشعر دائماً أن لدي علامة واضحة تدل على أنني بضاعة معطوبة، كما لو كانت جبهتي قد تم وصمها ويمكن لأي رجل أن يرى أنني

تعرضت للاعتداء. لكنني ما زلت بحاجة ماسة إلى الاهتمام. وأبسط عمل لطيف أو أي مجاملة تجعلني أعتقد أن الشخص الذي قدمها كان رائعاً وأنه سيكون منقذي، طالما تصرفت بالطريقة التي يريدونها. عندما بدأ أحد أساتذتي، السيد باركر، في محادثتي بأشياء لطيفة، كنت أحلق فوق القمر.

– كان يقول: «أنت فتاة صغيرة جميلة جداً يا ديلا».
– «تملكين ابتسامة ساحرة.»
– «أنت تضيئين يومي دائماً.»
– «انظروا إلى هذا الوجه الجميل!»

في كل مرة كان يمر فيها من أمامي، يتوقف ويقول شيئاً لطيفاً. لقد استمتعت بذلك. تخيل مدرساً يفكر في أنني مهمّة؟ عندما طلب مني الحضور إلى غرفته أثناء الاستراحة أو البقاء بعد المدرسة، لم أفكر في ذلك.

قال لي: «أريد أن ألتقط لك بعض الصور»، «أرغب أن يكون لدي صورة لذلك الوجه المبتسم حتى أتأمله في غيابك!» وقد فعلت. ذهبت إلى غرفته، وأعتقدت أنني كنت «محظوظة» لأنه لم يطلب مني أبداً خلع ملابسي، أعلم أن هذا خطأ. لا ينبغي لأحد أن يشعر بأنه محظوظ لأنه لم يتعرض للإيذاء (مرة أخرى)، لدي صور من تلك الأيام يذكرونني بجميع الأوضاع التي كان يريد مني أن أقوم بها لالتقاط الصور. أفرد شعري على كتفي. ذرعاي خلف رأسي. جميع اللقطات التي كنت أعلم أنه يحبها.

كان يخبرني أنني أملك وجهاً ملائماً للتصوير، وأنَّه

سيصنع مني عارضة رائعة. حتى أنه اعتاد أن يرسل لي بطاقات بريدية عندما يذهب في عطلة. توقفت اللقاءات بشكل مفاجئ، ربما اكتشف أحدهم ذلك، أو ربما وجد فتاة صغيرة يحبها أكثر. عندما توقف، كان لدي شعور بخيبة الأمل، لقد جعلني أشعر بأنني مميزة والآن انتهى كل هذا.

ليس هناك شك في ذهني الآن أنه كان يعتني بي، وأنه قام بتدريسي. حتى أنه أعطاني حقيقة نسخاً من الصور تجعلني أعتقد أنه يريد أن يبدو الأمر كما لو كان يعنيني، وأنني كنت على استعداد للتجاوب معه، إذا حدث أي شيء.

13

لا مفر

ما زلت لا أملك الكلمات لما حدث، من خلال مشاهدتي للفيلم الذي عُرض علينا لأشخاص عراة في حوض السباحة. كنت في السّنة الأولى من المدرسة الثّانوية ولم تكن الثّقافة الجنسّية من قبل تلك الفترة تدرس في المدارس. وكان الأمر كلّه يتعلق من خلال الفيلم بالجهاز التناسلي، والتعليق الصوتي كان يتناول التغيرات التي تطرأ على الجسد في سن البلوغ. في حوض السباحة، موضوع الفيلم، كان ثمّة اثنان رجل مسن وفتاة شابة، وأعاد ذكرى تجربتي مع تيري، وأنّها كانت شيئاً طبيعياً، لكنّ الفجوة العمرية بين الرجل والفتاة جعلتني أشعر أنّ ليس هناك أي خطأ فيما حدث، في تلك السنة ولسبب ما، قررت أمي مراسلة صديق قديم لها، هاري، عرفته يوم كانت في الرعاية.

كان هـاري يعيش فـي ويلـز، وهـذا يعنـي أنّني لا بد سـأجر معهـا لمقابلتـه، لتعلـن أنّـه كان حبـاً حقيقيـاً، وأنّنـا سـننتقل إلـى خليـج كالويـن لنكـون معـه. طلبـت أمـي مـن شـقيقتها آنـى الانتقـال للعيـش فـي منزلنـا، ففـي حـال لـم تنجـح الأمـور مـع هـاري، تبقـى محتفظـة بعقـد الإيجـار.

كانـت واحـدة مـن أفضـل التجـارب التـي مـررت بهـا علـى الإطـلاق، وانقلبـت حياتـي رأسـاً علـى عقـب. كان هـاري شـخصاً رائعـاً ولطيفـاً، ولقـد أحببتـه جـداً، حتـى عائلتـه فقـد امتـازت باللطـف والمـودة. وكان والـداه يصحبانـنـي معهـم لعـدة أيـام مـن أجـل التنـزه، كان المنـزل حيـث انتقلنـا واحـداً مـن الممتلـكات الفيكتوريـة القديمـة ذوات النوافـذ الكبيـرة والغـرف الضخمـة، الطابـق العلـوي كان قـد حـول إلـى عـدة شـقق، وفـي إحداهـا سـكنت جيليـان، فتـاة مـن ليفيربـول، وأصبحـت صديقـةً جيـدة لـي فـي الأشـهر القليلـة التـي عشـتها هنـاك. كان البحـر والمنتزهـات والمنـزل حقيقيّـةً لكنّهـا كان بمثابـة حلـم لـي.

لـم أحصـل يومـاً مـن قبـل علـى مثـل هـذه الحيـاة الرائعـة. وقـد تخللتهـا نفحـات مـن الهـواء النقـي. كنـت مـع جيليـان فـي المدرسـة الثانويـة وأدركـت حينهـا معنـى الحيـاة الطبيعيـة، مـا عنـى لـي أنّ بمقـدوري أن أكـون نفسـي، لـم يكـن هنـاك أحـد يعرفنـي. كان هـاري فـي كل ليلـة يحضـر لنـا عشـاءً عائليـاً كبيـراً، وأمـي تعمـل فـي بيـت لكبـار السـن، ممـا أتـاح لـي فرصـة للتظاهـر بـأن هـذه هـي حياتـي الآن.

كنـت محطمـة ومحبطـة أثنـاء عودتنـا إلـى برمينغهـام، قـد

كانت تلك الأشهر القليلة التي مرت، الوقت الأجمل على الإطلاق في كل ما انطوت عليه طفولتي أو عالمي الطفلي. لقد كانت أطول فترة أعيشها إلى جانب رجل كان بالفعل جيداً. لكن أميّ كعادتها قد أفسدت الأمر، حتى مع والد هاري الذي كان يصطحبني للتنزه طوال اليوم، لم أكن مضطرة لمسايرته للحفاظ على سلامتي فيما أنا معه، فلقد أحبنّي لما كنت عليه واستمتع بقضاء الوقت معي، ولم يكن لعائلته أي جانب سيء.

بعد عودتنا إلى برمينغهام، علمت أن السيدة جيل وهي والدة صديقتي روزي قد أبلغت الشرطة أنّ شريكها قد أساء إلى ابنتها، وبما أنّني صديقتها فقد جاءت الشرطة إلى منزلنا لاستجوابي، لكنّ الطريقة التي طرحوا فيها أسئلتهم كانت مروعة إلى درجة جعلتني أدرك تماماً ما الذي كنت سأوجهه في حال إبلاغي عن أيّ ممّا كان. لقد قالوا عنها إنّها فتاة لعوب، وقد تكون هي التي قامت بإغوائه والإيقاع به.

ولقد تم إسقاط القضية لأنها كانت مجرد ادّعاء لروزي ضده، وعرفت أنّني لن أقول شيئاً أبداً ما دامت هذه طريقتهم في معالجة الأمر ومواجهته. لقد كان أسلوبهم في مواجهة القضية والتعامل معها لحظةً لن أنساها ما حييت وكأنّ الأمر كله كان مرتبطاً بالأسلوب، فلو أنّهم تعاملوا مع القضية بطريقة مختلفة فلربما كنت سأقوم بالإبلاغ عما حدث ليّ مع صديق العائلة أو حتى مع تيري، لكنّ الذي فعلوه هو أنّهم قد أوصدوا فعليّاً كلّ

الأبواب. فيما كانوا أيضاً يلمحون إلى أنها لم تكن تحبه وكانت تسبب المتاعب، ولأنّها لم تكن تحبه فما حدث قد حدث برضاها ورغبتها.

بعد ذلك الوقت الممتع الذي أمضيته في ويلز بلا هموم ولا مشاكل، وجدت نفسي سرعان ما عدت لمواجهتها من خلال واقع مليء بنا، ذاك الواقع الذي يرفض تصديق الأطفال رغم قولهم الحقيقة. حيث كان الرجال الطيبون منهم أيضاً لديهم قصصهم عن فتيات صغيرات قذرات يغوين الرجال.

كنت أبلغ آنذاك اثنتي عشرة عاماً وكانت كل هذه الرسائل تتجمع في رأسي. كنت أعرف مسبقاً ألاّ جدوى من التحدث علانية، وأنّني أبداً لن يصدقني أحد، وسأكون مجرد فتاة صغيرةً وقحةً، فلم أقحم نفسي في المشاكل.

كان قد مرّ عام على إطلاق سراح تيري، لماذا لم أتحدث في ذلك الوقت ولِمَ تركت الأمر يطول؟ لقد كان ابتعاد حادثة الاعتداء في الزمن يزيدني اعتقاداً بأن تصديق الناس لي سيكون ضعيفاً، لكنّ الشكوى التي تقدمت بها روزي رسّخت في ذهني حجم الخطأ الفادح الذي ارتكبه تيري، وللمرة الأولى أدركت كم كان الأمر سيئاً.

في كل موقعٍ حولي كان ثمّة رسائل تذكرني في منطقة نيو تاوون حين كنت أذهب مع أصدقائي كان هناك رجل

يقوم بالتعري، حيث كان يعرض جسده بطريقة مقززة مرتدياً زي مايكل جاكسون في أغنيته «ثريلر»، الأمر الذي كان من المفترض ألّا يثير لدى الفتيات أكثر من ضحكات السخرية، دون أيّ اهتمام. لكن بالنسبة للرجال، فإن مضايقاتهم لم تقف عند هذا الحد، وهذا ما كنت أؤكده لنفسي. فالكثيرون منهم يفعلون أشياء أخرى أيضاً، وليس على النساء تجاهها سوى القبول، بوسع الرجال أن يفعلوا كل ما يحلو لهم، كلّ ما يريدون وليس الجنس الطريقة الوحيدة فقط، ونقطة انتهى.

الأمر الذي يذهلني تذكره فعلاً هو ما كانت تفعله جدتي لحماية أبنائها، في كل مرةً تجعلهم فيها يفلتون من العقاب، لأنّهم كانوا أولادها. كانت تساعدهم في السرقة، امتلاك الأسلحة، التغطية عليهم عند مداهمات الشرطة، إعادة كل المسروقات.

كل هذا ليس بذي بال، فهذه هي الثقافة التي كان على الناس قبولها. بالتزامن مع عودتنا من ويلز وأثناء ذلك، كان تيري قد خرج من حياتنا وكأنّه قد اختفى، ولم يتم اصطحابي لرؤيته مرّةً أخرى. كانت أمي بادية السعادة بشدة لأنّها قد حصلت أخيراً على رجل أسود البشرة، صديقٌ جديد، رجلٌ نيجيري، ولم تعد تهتم بـ تيري أو بأيّ ممن يرتبطون بها. كان هارون يخبر الجميع أنه أمير، وقد اعتقد أنه أفضل من الجميع، وكان إعلان أنه من عائلة غنية للغاية ومحترمة قد أكسبه احترام وتبجيل الآخرين له. وكانت أمي تتصرف بنفس طريقته.

كان هـارون أصغـر مـن أمـي بكثيـر، وكان الأمـر محببـاً بالنسـبة إليهـا، وتخبـر الجميـع أنـه مهووس بهـا. ولـم يغـب عـن ذهـن أحـد أن التأشـيرة وحدهـا كانـت تقـف وراء هـذه العلاقـة، الحقيقـة التـي كانـت أمـي تتعمـد أن تكـون عميـاء في مواجهتها من خلال تلك العلاقة.

فـي غضـون أسـابيع مـن لقائهمـا انتقـل هـارون للعيـش معنـا، وفـي لمـح البصـر تمـت إقامـة مراسـم الزفـاف وتـم تسـجيله لـدى كاتـب العـدل عـام ١٩٨٦، ليتبعـه الحفـل فـي منـزل خالـي نيفـل، الـذي تـم تبنيـه. كانـت الخالـة جوجـو صديقـة خالـي الأسـيوية، قـد اندمجـت مـع والدتـي وشـريكها الجديـد وجهـزت لهمـا كل ترتيبـات الـزواج، حيـث كان عـدد المدعويـن كبيـراً. كان خالـي نيفـل مختلفـاً عـن غيـره مـن رجـال عائلتنـا، وقـد أحببتـه كثيـراً. علـى أنغـام الموسـيقا الصاخبـة، كان الجميـع يتراقصـون ببهجـةٍ وسـعادة، وكان مبعـث ضيقـي صداقـة خالـي ووالدتـي. لقـد كانـت مركـز الاهتمـام فـي تلـك الليلـة، وهـذا مـا سـعت إليـه دومـاً، استقطاب مشـاعر الجميـع. وممـن جعلهـا تنفجـر بالثقـة مـن خـلال وجـود الكثيريـن مـن أصدقـاء هـارون النيجيرييـن، اعتقادهـا أنّ جميعهـم معجبـون بهـا وأن هـارون هـو صاحـب الحظ من بينهم، وقد حظيَ بها.

فـي تلـك الفتـرة كانـت أمـي تبـدو ألطـف قليـلاً معـي مـن ذي قبـل، لكـن المـرّوع فعـلاً كان هـارون، إذ سـرعان مـا بـدأ يضـع القوانيـن، وكان يحاسـبني علـى مـا أرتكـب مـن أخطـاء، ويعتقـد أن دور النسـاء دائمـاً هـو أن يفعلنَ كمـا يطلـب منهـنَّ،

وأنّ عليّ أن أقوم بالكثير من الأعمال المنزلية. وألّا أتغيب عن المنزل بعد أوقات محدّدة، وأن أفعل كلّ ما يطلب مني. فمن كان يظن نفسه حتى يعطيها الحق في أن يقرر ما يترتب عليَّ فعله. لقد تمردت عليه، فكنت أسجل غيابي عن البيت قدر إمكاني، ولقد تجادلت مع أمي كثيراً حول فكرة تخويله لنفسه بمنحها كل هذه الحقوق، لكن نار الشهوة قد أعمتها. وأنفقت أيضاً كلّ أموالها عليه. مرةً أحببت أن أجري بعض التغيرات في غرفتي، كأن أشتري غطاء لحاف منقوش، وبعض الستائر الحريرية الفاخرة، وكانت أمي قد وعدتني بتحقيق ذلك، وقد كانت في مزاح يسمح، وقلما حدث هذا. لكن ما حدث أنّه بعد ذلك قرّر هارون أنّني قد ارتكبت خطأً، ولم أتمكن من تذكره حتى الساعة، لذا فبدلاً من ذلك قامت بإنفاق المال عليه. مما أعاد إليّ ذكريات تيري ولعبة ألفيس تلك التي لم تأتي أبداً.

لقد كانت أمي تغدق بكرم شديد على الآخرين، ترمي أموالها عليهم. لكنها ماتزال تخبر الأخصائيين الاجتماعين أنها لا تملك شيئاً. بانتقال جدتي للسكن بالقرب منا، صرت أقضي في رفقتها وقتاً طويلاً، وفي رفقة خالي تومي الذي مازال يعيش في المنزل إلى جوارها.

كان تومي يكبرني بخمس سنوات فقط، وبدأت بالتسكع معه ومع أصدقائه، كان أحدهم يدعى جاسون، وكان بداية المرحلة المروّعة التالية من حياتي.

كان ثمّة ما يجذبني نحو الأطفال الأكبر سناً مني،

وليس لأنهم كانوا حقاً أطفالاً. شعرت بأنني أكبُر معهم، وقد سمحوا لي أن أدخن، على الأقل لم يتم تجاهلي، إذ كنت في المنزل، كان لدي مكان أهرب إليه، وعندما بدأت الخروج مع جاسون كنت ما بين الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري. كثيراً ما كنت أخرج مع خالي تومي وأصدقائه بما فيهم جاسون. في البداية كان لطيفاً، وكنا نمضي معاً وقتاً طويلاً خارج المنزل، وفي حديقة ساتون، ونسبح في البحيرات، ونعود بعدها إلى المنزل في الحافلة متسخين، لكننا سعداء ومسرورون. ويمتلئ المكان بضحكاتنا، لكن ذلك لم يستمرَّ إلاّ إلى حين. ولم يغادرني أبداً ذاك الشعور أنّ بمقدور الناس رؤيتي من الداخل تماماً، وأنّ من السهل إدراكهم أنّني فتاةٌ بلا جدوى.

في الأحيان التي كان فيها خالي تومي يأتي ليقوم برعايتنا أنا وأخي، كان يأتي جاسون برفقته، ولم يكن الفرق في السن يتضح بشدة. على قناة MTV كنا نرقص جميعاً حول غرفة المعيشة، كان عمري يومها بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، وبدأ كل شيء من جديد. مازالت في ذاكرتي عصابة الرأس بألوانها المزهرة والتي كان يطلب مني جاسون أن أزين بها شعري حين كنت أرقص، كان يقول لي: أنني بذلك أبدو أكبر عمراً. هي عملية استمالة وكانت تبدأ من جديد، فأنا أحظى بالاهتمام ويعرف بالضبط ما كان يفعل، كما أنه كان يحب أن أصفف شعري بطريقة معينة أيضاً.

كان مع تومي لبعض الوقت، ثم عندما كان عمري

حوالي ١٢ أو ١٣ عاماً، قبلني للمرة الأولى. كانت أغنية فرانكي يذهب إلى هوليوود، «The Power of Love» قد صدرت مؤخراً، وأنا أتذكر تلك الأغنية تذاع من التلفاز. كان ذلك في ليلة رأس السنة الجديدة. كان جيسون لطيفًا معي في تلك المرحلة. قال لي: «لطالما أحببتك يا ديلَّا، أنت جميلة جدًا»، وأنا أعجبت بالفكرة جداً.

لقد أحسست أن الأمور طبيعية، فقد كان موجوداً في حياتي منذ زمن طويل. كما أن فكرة الاعتداء الجسدي ستكون مزحة. لقد كان يمسكني هو وتومي من يديّ وقدميّ ويؤرجحاني، ثم بعد ذلك يرميانني على الحائط. وتكون النتيجة كدمات على ساقي وظهري.

كنا نذهب للسباحة وتلك الكدمات كانت تغطي جسدي. حتى خالي كان يضحك من مظهري، بينما أعتقد الآن أن جاسون كان ينظر إلى أبعد من ذلك، كان يتخطى حدوده ليرى ما تحت ملابس السباحة. لم يكن لدي أي شيء، لقد تم انتهاك جسدي وعذريتي.

كان لدى جاسون شقيقتان وكنا نهتم بأبنائهم، وهذا هو المكان الذي يحدث فيه الكثير من الجنس، عندما كان الأطفال في السرير. كان عمري ١٣ عاماً وكان يبلغ من العمر ١٩ عاماً تقريباً.

المرة الأولى التي حدث فيها ذلك كانت في منزل جدتي. حيث كانت جدتي بالجوار لاستطلاع الجريمة التي ارتكبها جارها المجاور حيث قام بخنق زوجته لأنها

كانت على علاقة مع أحد الجيران وأراد أن يبدأ حياة جديدة معها. قتلها وأخفى جثتها في كوخه الخارجي. قامت الشرطة والطب الشرعي بالإجراءات اللازمة، وأغلقوا المنزل بعد الكشف عن الجريمة، لكن بالنسبة لأعمامي، كانت هذه مجرد فرصة أخرى. لم يكن لديهم أخلاق، ليسرقوا المنزل. لقد سرقوا السرير الذي قُتلت فيه المرأة المسكينة، بالإضافة إلى سرقة المزيد من الأشياء، وأعطوها لجدتي.

كان الباب مجاوراً لحديقة جدتي، لذلك كان على العم تومي فقط تمريره فوق السياج الصغير الذي يفصل الحدائق. وربما تكون قد ساعدته حتى، فهي من أخبرني أنه عليَّ أن أتذكر أن هؤلاء الأولاد لا يستطيعون فعل أي شيء خاطئ (من وجهة نظرها)، بما في ذلك الاحتفاظ بسرير امرأة ميتة في المنزل، والسرير الذي خُنقت فيه بالفعل. في المرة الأولى كنت أمارس الجنس على هذا السرير.

كنت مرعوبة أكثر لأنني كنت أعرف تاريخ السرير أكثر مما كان يفعله جيسون بي. كنت أفكر، إنه يريد ذلك وليس للمرأة أي رأي بذلك، لذا من الأفضل أن ينهي الأمر وتنتهي منه. أنت تقول ذلك وتتحدث عنه مع أصدقائك، وكلهم يقولون نفس الشيء. لقد تساءلت عما إذا كنت سأنزف في المرة الأولى لأنني نظرت إليها على أنها المرة الأولى لي. كان عليّ التفكير هكذا، فقد كانت الحقيقة مروعة للغاية.

تساءلت عن الألم الذي سأمر به، بينما كنت الغي في دماغي ما حدث لي سابقاً. لازلت أذكر سقوط العديد من العملات المعدنية في الجيب الخلفي من بنطالي الجينز على السرير. عندما انتهى، نهضت من السرير وفكرت، يا الله، هناك دماء في كل مكان! على سرير امرأة ميتة! كان مجرد شكل العملات في الظلام، لأنها سقطت في كل مكان. هل كان هناك جزء مني يعتقد أنني عذراء؟ قرأت شيئًا مؤخرًا كان له معنى.

غالباً ما تسألك الاستمارات الطبية متى أصبحت نشطًا جنسيًا لأول مرة، ولكن بالنسبة لشخص مثلي لديه تاريخي، ماذا سأضع؟ هل كان ذلك عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، أم عندما كنت مجرد فتاة صغيرة.

لم يكن جاسون شخصًا قد ترغب في اكتشاف الجانب الخطأ منه. كان مزاجه فظيعًا، لكنني شعرت بأنني كبرت، كنت على علاقة. كان تومي مع صديقته بريندا، وأردت أن أكون في هذه العصابة الصغيرة المقربة، رباعية من اثنين من الأزواج في حالة حب بجنون. كان عمرهم جميعًا حوالي ١٩ عامًا وكنت ما زلت صغيرًا جدًا. استمر الجنس متى أراد جاسون وكلما كانت هناك فرصة. لم يمض وقت طويل حتى بدأ العنف. لقد ضربني، كنت مغطاة بالكدمات من الرأس إلى أخمص القدمين ولم يسأل أحد من أين أتت هذه الكدمات. عندما كنا عند أخته بدأ بضربي بدون سبب ولن يتردد في ضربي أمام أي أحد. ذات مرة، كنا في طريقنا عبر حديقة وبدأ بصفعي خارج بيتها

الصغير وهي تتطلع لترى ما إذا كنا في طريقنا. قال إنني أغضبه، وأنني كنت غبية، لكن كل شيء كان مختلقًا. أي شيء فعلته كان خطأ. لم أكن أعرف أبدًا ما إذا كنت حصلت على جاسون القذر، أم جاسون اللطيف، ولكن نظراً لأنني كنت بحاجة إلى الحصول على أمر قضائي ضده في النهاية، كان جاسون القذر أكثر وضوحاً.

14

هذه حياتك

دامت علاقتي مع جاسون لمدة عام تقريباً عندما عرفت أنني حامل، وفي صباح أحد الأيام شعرت بالدوار والغثيان، سألت نفسي «هل يعقل أن تكون هذه دلالات الحمل»، خاصةً أن الدورة الشهرية فاتتني من مدة. كانت هناك عيادات اختبار للحمل يمكنك الدخول إليها بدون موعد، مع عينة بول ولا حاجة لتحديد موعد. لابد أنني قد علمت عن هذه العيادات من خلال الفتيات الأكبر سناً، لأن بريندا كانت حاملاً في ذلك الوقت. عندما أخبروني أن النتيجة كانت إيجابية، اعتقدت أنّ وضعي سيكون أسوأ مع أمي.

لكن ردة فعلها كانت جيدة لم تبدي انزعاجاً أبداً، على العكس كانت مسترخية جداً أثناء تلقيها الخبر، وهذا أمر غريب، لماذا لم يزعجها ذلك؟ وبدأت أفكر في حياتي المستقبلية مع جاسون، وهل قصة حملي تعني أني

سأكون معه إلى الأبد الآن. في فترة حملي كنت أظنه كل حياتي، إلا أنه كان يخونني.. نعم كان يخونني أمام عيني.

في ذلك الوقت، تعرفت على صديقة تدعى كيلي تعيش بالقرب من منزل جدتي. كانت من عائلة إيرلندية وكان منزلها مكاناً رائعاً. كان والداها، جيل ونيك، أشخاصاً طيبين ولطيفيين. كانت جيل تحب لعبة البينغو مثل جدتي، كما تحب أن تقوم كيلي بتصفيف شعرها قبل ذهابها. ربما كان هذا التصرف شيئاً صغيراً ولكنه كان يعني لي الكثير، تمنيت لو كانت لي حياة كهذه. أصبحت كيلي صديقتي المفضلة، ومعظم وقتي كنت أقضيه معها وفي منزل جدتي، كانت بيئة مختلفة تماماً عن بيئتي، فلديهم قواعد يلتزمون بها، كانا بالفعل أبوين مثاليين، على النقيض مِنْ أبويّ.

اضطررت إلى الانتقال من مدرستي الثانوية في برمنغهام، بسبب تعرضي الشديد للتنمر من قبل الطلاب، والتحقت بمدرسة كيلي الكاثوليكية، على الرغم من أنني لم أكن كاثوليكية. كانت المدرسة أجمل بكثير من مدرستي القديمة. كنت أذهب أنا وكيلي سويةً إلى المدرسة، لذلك كنت أذهب إلى منزلها كل صباح وانتظرها حتى تغسل وتجفف شعرها الجميل المموج.

في أحد الأيام، خرجت من المنزل لأذهب إلى المدرسة، ولكنني كنت أشعر ببعض التشنجات وعدم الارتياح، ومع ذلك لم أبالِ، ولكن عند ركوبنا الحافلة أنا وكيلي بدأت تلك التشنجات تشتد وتشتد. أمسكت كيلي

بذراعي وساعدتني على العودة إلى المنزل. كنت أتشبث بها بينما كنت على وشك الوقوع على الباب وهي تحاول أن تجلسني على الأريكة.

صرختُ، «يا إلهي، إنني أنزف!»

لم يكن مر على حملي سوى ثمانية أسابيع فقط، كنت أتألم بشدة إلى درجة أنني شعرت أنه لو كان هذا إجهاضاً لكان ألمه أخف من ذلك. اتصلت أمي بالإسعاف وتم نقلي إلى المستشفى، لم يوجه أحد أي سؤال ليّ، كل الأسئلة كانت موجهة إلى أمي التي بدت عليها علامات الرعب والخوف. وذلك ما أثار الخوف بيّ كان الحمل خارج الرحم، وتم نقلي إلى المستشفى في الوقت المناسب، لأنه كان من المحتمل أن تنفجر قناة فالوب، الأمر الذي سيعرضني للموت. لم يتساءل أحد عن سبب حمل فتاة تبلغ من العمر ١٤ عاماً ولم يشرح لي أحد ما الذي حدث لي.

أخبر الأطباء أمي أنني قد أحتاج إلى إزالة قناة فالوب، الشيء الذي سيتسبب لي بعدم التمكن من الإنجاب. كنت أسمع كل هذا يحدث، أفكر، ما هذا بحق الجحيم؟ لم يعتقد أحد أنه يجب التحدث إليّ بشكل مباشر.

لقد أجروا ليّ عملية إجهاض، وأثناء العملية وجدوا أكياساً على المبيضين، قاموا بإزالتها عن طريق تنظير البطن (والذي كان عبارة عن عمل ثقب بحجم المفتاح في بطني)، كما قاموا بعملية التمدد والكشط، لإزالة أي

نسيج بقي للجنين. في اليوم التالي تم إرسالي إلى المنزل، ولم يشرح لي أحد كم سيكون الألم بعد ذلك. ولم أكن قادرة على المشي.

كنت أبلغ من العمر ١٤ عاماً، وسمعت للتّو أنني لم أعد قادرة على إنجاب أطفال. مرة أخرى، جسدي لم يكن ملكي، فقد قرر الآخرون ما سيحدث له. وقعت أمي نيابةً عني على جميع الاستمارات لأنني كنت قاصراً، وتحدث الجميع عني كما لو لم أكن هناك.

- ما هي التداعيات النفسية التي ستلحق بيّ؟
- لست متأكدة من أنني قد قمت بمعالجتها في أي وقت مضى!!!
- ولست متأكدة من أنني أستطيع القيام بذلك!!!
- لقد أدركت معنى الانفصال الآن.

بعض الناس يملكون أكثر من شخصية للتعامل مع الأحداث والمتاعب التي تواجههم. وها أنا الآن لدي مجموعة كبيرة من شخصيات «ديلا»، فهناك العاطفية والمنغلقة، والمسؤولة، استخدم الشخصية التي أريدها حسب الحالة التي أود مواجهتها أو تجاوزها. أصبحت شخصياتي المتعددة ظلاً ليّ ألجأ إليهم كإجراء وقائي أدافع به عن نفسي.

كان فقدان طفل مجرد شيء آخر حدث لي. أخذتني أمي إلى الأطباء للحصول على حقنة ديبو لمنع الحمل، لأن هذا كان خياراً سهلاً بالنسبة لها، وقد تم اتخاذ قرار بينها وبين الطبيب العام: لإعطائي هذه الحقن لتمنع

الحمل لمدة ثلاثة أشهر.

لم تكن هناك أسئلة حول كوني نشطة جنسياً، ولم يتم إعادتي مطلقاً للحصول على الحقنة الثانية. لم تسألني أمي أبداً عن سبب إقامة علاقة مع رجل أكبر مني، ولم تتساءل أبداً عن كيفية تصرف جاسون معي. جاسون الذي لم يكن موجوداً إلى جانبي بعد إجهاضي، لقد كان شخصاً سيئاً للغاية.

في أحد المرات بينما كنت في المطبخ ذات يوم، هجم عليّ وأمسكني من حنجرتي، ودفعني إلى الحائط. بصعوبة تمكنت من الإفلات منه وركضت نحو الطابق العلوي. كنت أصرخ بأعلى صوتي: «ابعدوه عني!»

لحسن الحظ كانت أمي في المنزل، وعند سماعها الصوت أسرعت نحوي، ثم صرخت فيه: «ماذا تظن أنك تفعل؟» «ابتعد عنها!» كنت منهارة أبكي من أعماق قلبي، وبينما كان يصرخ في وجهي، قال: «أنت مقرفة بالفعل، هل تعرفين ذلك؟ لست كوالدتك - إنها مناسبة، سأنام معها».

في تلك اللحظة تغير موقف أمي. لقد كنت أتعرض للضرب، لقد حاول خنقي، لكنها كانت واقفة عند السلم مترنحة لأن صديقي قال إنه سيمارس الجنس معها. كنت في حالة ذهول، لقد تعرضت للتو للعنف أمامها، لكنها لم تكترث، كانت سعادتها برغبة الرجال فيها تفوق كل شيء. على الرغم من أنها كانت مع هارون وكان هذا كل ما

كانت تسعى للحصول عليه، لكن هاجسها لم يتوقف أبداً في البحث عن الرجال تأكيداً لكونها مرغوبة لدى الجميع.

بعد كل ذلك عادت حياتي لما كانت عليه، عدت لعلاقتي مع جاسون، ولم يكن هنالك رعاية ومتابعة للحمل خارج الرحم، وعادت حياتي إلى طبيعتها. عدت إلى مدرستي الكاثوليكية بسرعة كبيرة، رغم أنني لم أكن مستعدة لها. حتى في تلك السن المبكرة، ١٤ عاماً، بدا هاجس الأمومة يتخبط في رأسي. كنت أرغب في ذلك الطفل. كل ما كنت أتخيله هو شخص يمكنني أن أحبه ويمكنه أن يحبني، شخص يمكن أن يجعل حياتي أفضل، ولكن تم انتزاعه مني.

في اليوم الأول من عودتي إلى المدرسة، كنت أجلس في مقعدي، وفجأة أثناء الدرس خطر ببالي كل ما مررت به، وبدأت أجهش في البكاء. قال أستاذي «ليس بإمكانك البكاء في صفي وإزعاج الطلاب». «إذا كان هناك شيء يزعجك، اذهبي لرؤية أحد فريق الرعاية.»

كان جميع مرشدي الطلاب من القساوسة. عندما خرجت من الفصل كنت مترددة في مقابلة المجموعة المخصصة لفريقي السنويّ، لقد اتخذت قراراً: سأخبر شخصًا ما. سأخبر هذا الكاهن بما فعله تيري بي، وكيف شعرت ولماذا لم أستطع التوقف عن البكاء.

جلس القس خلف مكتبه وأنا منهارة، بالكاد كنت قد جلست حتى خرجت عن صمتي أخيراً... خرجت الكلمات

من قلبي كطوفان لا يمكن إيقافه.. أخيراً أخرجت كل الألم الذي بداخلي... ثم تنهدت وتوقفت عن الكلام لالتقاط أنفاسي.

سألني: «لماذا تقولين هذه الأشياء يا ديلا؟» «لا يمكنك التحدث بها معي أو مع أي شخص آخر بهذه الطريقة على الإطلاق. إنك تتفوهين بكلمات بغيضة ومثيرة للاشمئزاز... هذا ليس الوقت أو المكان المناسبين للحديث عن ذلك، ويجب أن تفكري في أفعالك. هذه أشياء شيطانية، كلمات سيئة. عليك المغادرة الآن وعدم ذكر هذا مرة أخرى.

كل ما كنت أفكر فيه هو أنني لن أستطيع التحدث إلى أي شخص، هذا كله خطئي. كان بالغاً وكان كاهناً أيضاً. بالتأكيد، يمكنه المساعدة؟ بالتأكيد، سيكون عليه التزام أخلاقي لفعل شيء من أجلي؟ عدت إلى الصف، وما زالت الدموع تملأ مقلتيّ. حاولت ألا أدع المعلم ينتبه لذلك. كانت كيلي لطيفة دائماً، لكنني لم أخبرها أبداً عما مررت به، كانت تعتقد أنني أبكي على الطفل الذي فقدته.

لم أعد أريد أن أكون مع جيسون بعد الآن. فعلت كل ما في وسعي لتجنبه، كنت أذهب إلى غير تلك الأماكن التي اعتاد أن يراني بها. ولكن لم ينفع معه أي شيء، ووصلت إلى مرحلة لم أستطع فيها حتى مغادرة المنزل.

أصبح يجلس أمام منزلي، وينتظر لحظة خروجي من المنزل لينهال عليّ بالشتائم والكلام الجارح. في نهاية

المطاف، الشيء الوحيد الذي فعلته أمي من أجلي هو إصدار أمر قضائي ضد جاسون بعدم التعرض لي في أي مكان.

ورغم ذلك لم يتوقف عن الترصد بي ومراقبتي، وهذا ما جعل شعور الخوف والرعب لا يفارقانني، حتى وصل بي الحال إلى عدم مغادرة المنزل بمفردي. كان صديق شقيق جدتي لديه ابن من علاقة سابقة، يدعى روبرت. تبرع ليكون مرافقي المسؤول عن حمايتي، كفارس بدرعه اللامع. كان يقول لي:

«إلى أي مكان تريدين أن تذهبي إليه يا ديلا، أخبريني فقط، وتأكدي من أن ذلك اللقيط لن يتعرض لك، اتفقنا؟»

كان روبرت يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، ولديه عمله، اهتم بي ورعاني لمدة ستة أشهر، كنا نتسكع معاً. يصطحبني معه إلى الأندية، ويدفع عني مقابل كل شيء، لقد منحني بعضاً من الحياة الطبيعية، حسبما اعتقدت، على الرغم من أنه لا ينبغي أن يكون هناك أي شيء طبيعي بين فتاة بعمر الرابعة عشرة عاماً وشاب بالغ بعمر العشرين. لم يمض كثيرٌ حتى وجدت نفسي على علاقة مع روبرت.

تغيرت معاملة زوج أمي هارون بعد حادثة فقداني الطفل، من ذلك الشخص الذي يتحكم بالمرأة ويعطي الأوامر عن عملها في المنزل، إلى ذلك الشخص اللطيف المثالي. كانت أمي تعمل في منزل لرعاية الأطفال في

نهاية الشارع حيث يوجد منزلنا (في محاولة لإنقاذ أي شخص سواي، كالعادة) وكان هارون يعد لي وجبات شهية، ويتحدث معي، ويخبرني عن الموسيقى التي أحبها. فجأةً أصبحتُ الشخص الراشد في منزلنا وكان يخبرني أنني فتاة ذكية، وكم هو مستمتع بالحديث معي.

لقد غيّر صياغة أسلوبه في طلب الأشياء مني. فأنا لم أعد أعامل كالعبدة في المنزل، كان يطلب أي شيء بصيغة السؤال، هل بإمكانك «المساعدة» في الأعمال المنزلية، والترتيب، وغسل الأطباق؟؟؟ لقد عاملني على قدر المساواة.

في إحدى الليالي، ذهبت إلى غرفتي لأخلد إلى النوم، وبعد لحظات دخل غرفتي ليقول لي ليلة سعيدة كما كان يفعل دائماً عندما تكون أمي في العمل. نظر إليّ بنظرة لم أرغب في رؤيتها مطلقاً وقال لي: «أنا فقط أريد تقبيلك يا ديلا».

لف ذراعه على ظهري، وطار عقلي مباشرة إلى الأفق، ليس مرة أخرى، أنا لن أفعل هذا مرة أخرى. تجمدت للحظة قبل أن أقول له: لا، لا، لا، لا! ذهب هارون إلى غرفته الخاصة، ولكن الخوف لم يذهب باقٍ في داخلي، وتساءلت هل بدأ الأمر من جديد يا ترى؟ في اليوم التالي، أخبرت روبرت بما حدث، وشجعني كثيراً لإخبار أمي. لم يمض وقت طويل حين كنا جالسين في غرفة المعيشة نتابع برنامجاً عن الاعتداء الجنسي. لقد قالت: «لو حدث ذلك لأحدنا، لكنت قتلت من فعل ذلك.»

قولها ذلك جعلني أشعر أنها قد تأخذ كلامي محمل الجد. كنت حاملاً مرة أخرى من روبرت، اكتشفت ذلك للتو. ولم أكن أرغب في ولادة الطفل في هذه الفوضى. كان الأمر خطيراً بالنسبة لي، كنت بحاجة للتحدث معها حول ما كان يفعله هارون.

– قلت لها «أريد أن أتحدث معك عن شيء ما».
– «هيا إذن، تكلمي.»
– «لا، ليس هنا، سألتقي بك في منزل جدتي هذا المساء.»
– « هيا يا ملكة الدراما، أخبريني ما الأمر...»

لكنني كنت متمسكة بما قلت لن أستطع فعل ذلك في المكان الذي يعيش فيه هارون.

كانت جدتي تدعمني عندما أخبرتها بما يحدث. اعتقدت أن ذلك حدث لأنه لم يطلب منها أحد أن تفعل أي شيء، ولم تكن مضطرة للدفاع عن «أولادها».

انفجرت قائلة: «تلك وصمة عار، كنت أعلم أنه شخصٌ سيّئ». أخبرنا أمك بذلك. لكنه يليق بأمك اللعينة. عليها أن تعرف يا ديلا، عليها أن تطرده « .

عندما دخلت أمي، أخبرتها أنني لست مرتاحة لوجودي في المنزل مع هارون أثناء عملها ليلاً. إنه يجعلني أشعر أنه ليس على ما يرام. أريد فقط أن أخبرك أنه حاول تقبيلي « . لقد صُدمت وفي نفس الوقت تقريباً، أخبرها أصدقاؤها أنه كان يحاول التقرب منهم وأنه ليس جديراً بالثقة. كنت موجودة في العديد من المرات عندما

أخبرها أصدقاؤها بذلك، لقد رفضت كل ما قيل، وقالت إنهم يشعرون بالغيرة من أن لديها هذا الرجل المذهل.

كنت أعرف ردها عليهم، لذلك اعتقدت أنها لن تصدقني لأنني سمعت بالفعل ردودها على أصدقائها. لقد فوجئت حقًا ببردة فعلها، ربما لأن روبرت وجدتي كانا هناك.

لقد بكت وبدأت تعتذر «أنا آسفة جدا، لم أكن أدرك أن أياً من هذا كان يحدث. سأعود إلى المنزل الآن، وأطلب منه أن يحزم حقائبه ويخرج». لقد شعرت بالارتياح بشكل لا يصدق. لم أكن أتوقع أن تسير الأمور بالطريقة التي جرت عليها. ربما هذه المرة ستكون بجانبي.

15

بصيص أمل في الظلمة

في الليلة التي أخبرت فيها أمي عن تصرفات زوجها، وردة فعلها تجاه تصرفاته ولد لدي بعض الأمل. تملكتني الرغبة في إخبارها عن تيري. لم أكن أحلم بفعل ذلك عندما كنت طفلة، إلا أنني الآن أستطيع إخبارها وربما بمقدورها إصلاح الأمر، وربما تكون هذه بداية جديدة. طلبت من هارون مغادرة المنزل، الأمر الذي جعلني أتنفس الصعداء لقد تم تصديقي فعلاً. اتصلت أمي بالخدمات الاجتماعية في اليوم التالي وأخبرتهم بما جرى.

أعتقد لأنني أخبرتها بذلك أمام الناس، فأحست أنه ليس لديها خيار سوى أن تفعل شيئاً حيال ذلك. طلب مسؤولو الخدمات الاجتماعية إجراء مقابلات معنا بشكل منفصل دخلت أنا وأمي لمقابلتهم، وبعد الانتهاء معنا

قابلوا هارون في وقت لاحق.

أفاد التقرير الذي صدر بعد عدة أسابيع من تاريخ إجراء المقابلة أن:

" أعربت موظفة الخدمات الاجتماعية عن قلقها على ديلا رايت، بعد الشكوى التي قدمتها والدتها عن محاولة زوجها التقرب من ديلّا. ونتيجةً لذلك طلبت والدتها من شريكها حزم أمتعته ومغادرة المنزل على الفور، وهذا ما حدث قبل أسبوعين أو ثلاثة. وفي الفترة الحالية تعيش ديلّا بأمان مع والدتها.

وبالعودة إلى الوراء للنظر بالأحداث التي مرت بها ديلّا مؤخراً، ولا تزال تلك الأحداث تؤثر عليها:

"كانت ديلا حاملاً في مارس الماضي من صديقها، الذي بدأ يسيء معاملتها لفظياً وبدنياً. نتيجة لذلك أجهضت. وأثناء وجودهم في المستشفى، اكتشف الطبيب المشرف عليها وجود أكياس على المِبْيَضَيْن، تم إجراء عملية جراحية لإزالتهم.

عند عودتها إلى المدرسة، أمضت الحصة تجهش بالبكاء الأمر الذي جعل المعلم يطلب منها الذهاب إلى المسؤول الاجتماعي في المدرسة لطرح مشكلتها، لأنها كانت تعطل على زملائها فهم الدرس. لم يتم التجاوب معها وأخبرها المسؤول الاجتماعي أنها كانت تضيع وقتهم. نتيجة لذلك، رفضت العودة إلى المدرسة.

طالب صديق السيدة رايت السابق بالمال وقد هددها

في حال عدم إعطائه.

حصلت الأم على أمرٍ قضائيّ ضد صديق ديلا السابق لمنعه من دخول المنزل وعدم التعرض لها في الطرقات. أصبحت ديلا تتلقى التدريس في المنزل. لم ترغب السيدة رايت في تدخل العمل الاجتماعي لأنها تعتقد أننا قد نأخذ ابنتها ونضعها تحت الرعاية.

صرحت ديلاّ أن زوج والدتها بدأ بالتقرب منها بطريقة غير لائقة في يونيو / يوليو، وأن هذه الحوادث تحدث دائماً عندما تكون والدتها خارج المنزل. عندما أبلغت ديلا السيدة رايت عن الموقف، قامت بطرد هارون (زوج أمها) من المنزل.

كل الأشياء التي ذُكرت في التقرير تبدو داعمة لي، ولكن للأسف كان ذلك على الورق فقط، فالواقع كان عكس ذلك، لقد خلصوا إلى نتيجة أن سلوك هارون معي كان "عاطفة أبوية". أدركت الآن لماذا أخبرتهم أمي أنني ربما كنت أقوم باختلاق الأمر لأنني كنت مستاءة من فقدان الطفل، ولكني لم أكن أبداً. وعندما تحدث إليهم هارون، قال إنه كان يحاول فقط أن يكون أباً، وأنني قد أسأت فهم ما كان يفعله. قالت الخدمات الاجتماعية إننا بحاجة إلى علاج أسري.

قلت لهم: " من المستحيل أن أذهب إلى هناك".

كنت أحاول أن أكون شجاعة وأخبر أمي عن تيري، ولكني تراجعت عن ذلك بعد ما حدث. لم تصرح أمي

أنها لم تصدقني، ولكن الأجواء التي تسود بيننا اختلفت بعد ذلك. أتذكر الخروج، والعودة، وما زلت لا أعرف ما إذا كنت في أمان.

صعدت إلى غرفة المعيشة في الطابق العلوي، وتفاجأت برؤية هارون واقفاً هناك حاملاً منشفته.

سألتها: بحق الجحيم؟ ماذا يفعل هنا؟ راودني سؤال: "ما الذي تفعله بإعادته إلى المنزل؟""

قالت أمي: لقد تحدثنا عن ذلك يا ديلّا، وأنت فهمته بشكل خاطئ. لم يكن الأمر كما كنت تظنينه".

قلت لها "لا .. لا أستطيع العيش معه".

بذلك، غادرت المنزل وأنا حامل في سن الخامسة عشرة. كانت الخدمات الاجتماعية تدرك كل هذا جيداً، ولكن لم تكن هناك متابعة من قبلهم. انتقلت للعيش مع روبرت في منزل والديه لبعض الوقت. وعدت إلى المدرسة. في البداية كانت العلاقة معه جيدة. لم يكن شخصاً رائعاً، ولا مثالياً، ولكنه كان مقبولاً، وعندما حصلنا على شقة للعيش وحدنا بدأ يتصرف بسوء معي، أبقاه والداه تحت طوعهم على ما أعتقد.

كانت مدرستي بالقرب من المنزل، ولكن عندما بدأ بطني بالانتفاخ وعلامات الحمل بدت واضحة جداً عليّ، تم إرسالي إلى مدرسة للطالبات الحوامل في إرينجتون. رافقني روبرت وزوجة والده، ومكثنا هناك لمدة أسبوعين ثم تجادلوا حول شيء سخيف، وطلبت منا الخروج.

أصبحت الآن فتاة مشردة بلا مأوى وكذلك حاملا. ماذا سنفعل بحق الجحيم؟

قال لنا عمي، "أن لديه شقة وبإمكاننا المجيء والإقامة فيها" ولم يكن لدينا خيار سوى الذهاب إلى هناك. ثم اضطررت للذهاب إلى إدارة الإسكان وتقديم طلب التشرد. كان هناك شخص من الخدمات الاجتماعية يعطيني استمارات لاستكمالها ببياناتي الشخصية، ولاحظت أنه يجب أن يكون عمرك أكثر من 16 عاماً – لم أكن أعرف ما الذي كنت أفعله بحق الجحيم.

لذلك غيرت تاريخ ميلادي في الاستمارة، إلاّ أن الرجل الذي يجري معي مقابلة، أدرك أنني قمت بتزوير تاريخ ميلادي. صرخ في وجهي وسط مكتب دائرة الإسكان. "هل تدركين أنك ستتعرضين للمحاكمة الآن؟ أجبته بصوت مرتفع: نعم فعلت ذلك، لكن لم يكن لدي خيار آخر: "ماذا تريد مني أن أفعل؟" أجابه مسؤول الخدمات الاجتماعية الذي ساعدني في استكمال الاستمارة، "بأن ظروفها استثنائية؟ فهي حامل ومشردة، ليس ذنبها أنها في الخامسة عشرة من عمرها. يمكنك أن ترى لماذا قامت بتزوير تاريخ ميلادها".

لحسن الحظ، لقد أعطوني شقة، وعندما انتقلت إليها مع روبرت بدأ يسيء التعامل معي. ففي كل مرة كنا نتجادل فيها حول موضوع ما، كان يتدلى من نافذة الشقة، ويقول إنه سوف يلقي بنفسه على الأرض. وأحياناً يقوم بوضع حزام حول رقبته ويقول إنه سيشنق نفسه، لقد كان مختلاً عقلياً.

كانت لديه الرغبة في الانضمام إلى البحرية، قبل أن ألتقي به، والآن بدأت الفكرة تراوده من جديد.

قال لي صراحةً: "أنا لست مستعدًا لأن أكون أباً، سألتحق بالبحرية وسيكون عليك فقط ولادة هذا الطفل بمفردك." لقد حملني المسؤولية لوحدي. كنا معاً لمدة 11 شهرا واستمرت الانتهاكات طوال الوقت. أردت أن أفعل كل ما في وسعي لأوفر لطفلي منزلًا مستقرًا، لذا فقد تحملت كل شيء.

تمّت إقامة حفلة خطبتنا بعد انتقالنا إلى تلك الشقة، كنت حينها أبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، كانت حفلة يلعب الأطفال فيها دور الكبار. حضر والدي الحفل، وظننت أنه سيصاب بالجنون عندما يرى بطني الكبير.

قال: " من الواضح أنه لن يكن لديَّ أي من هذا إلا بسبب فتاة لعينة في سن 15، أليس كذلك؟" أحضر ديبي معه. كنت صغيرة جداً لأتحمل مسؤولية الكبار التي لم أكن أعرف ماذا أفعل بها.

كنت خائفة، ولكن عندما ذهبت إلى تلك المدرسة في إرينجتون، كانت جميع الفتيات في نفس الوضع. لقد تعلمنا كيف نصنع لحاف الأطفال ونقوم بأشياء لطيفة لأطفالنا. لقد عاملونا كبشر وليس كأخطاء.

طوال فترة الحمل، لم يقدم لي روبرت أي دعم أو رعاية. أتذكر ذهابي في إحدى المرات إلى عيادة نسائية وأثناء الفحص حدث شيء غير مطمئن، لم يستطيعوا

الإحساس بحركة الطفل، فطُلب مني الذهاب إلى المستشفى على الفور.

اتصلت به وهو في عمله في المصنع، وأخبرته أن هناك شيئاً ما ليس على ما يرام، لم أعد أشعر بحركة الطفل، لم يكترث للأمر مطلقاً. ذهبت إلى المستشفى وحدي والحمد لله كان الطفل بخير. هكذا كانت طبيعة علاقته معي.

تعتبر ولادتي للورا واحدة من أفضل وأسوأ التجارب التي مررت بها، كانت ولادة طبيعية تعرضت للتمزق والخياطة، وهو أمر فظيع. كانت القابلات رائعات ومتلهفات لمساعدتي. هناك قابلة بقيت على الرغم من انتهاء مناوبتها، كانت تقول لي أثناء ولادتي:

" إن زوجي وأطفالي بانتظاري، عليّ أن أجهزهم للذهاب إلى المدرسة، لكنني لن أتركك حتى تلدي... هيا ديلا ساعدينا على إخراج هذه الطفلة". أدعو الله أن يباركها حتى يومنا هذا.

ما زلت أذكر تلك اللحظة... لحظة ولادتي بلورا، كنت أنظر إلى السقف، ثم رأيت الدماء تخرج مني.

يا إلهي، ما الذي يحدث عندما تلد الأنثى؟ من أين يأتي كل هذا الدم؟

كان روبرت هناك، لكن لم يكن لوجوده أي أثر يذكر، أخبرته القابلة أنني على وشك الولادة، وأنني بحاجة إلى بعض الدعم والتشجيع، لكنه لم يكن يعرف كيف ومن أين

يبدأ.

كانت الانقباضات والتقلصات تأتي بطريقة مفاجئة، ولم تكن محتملة على الإطلاق، لم أستطع التحكم بجسدي، ولادتي بلورا كانت صعبة جداً مقارنةً بولاداتي التي تلتها. ربما لأنني كنت صغيرة وساذجة في تلك الفترة.

منذ لحظة ولادتها كانت لورا هي النور في ظلمة عالمي. حبها ملأ قلبي عندما رأيتها لأول مرة، كل التحجر الذي كان يملأ قلبي أزاحته لورا وزرعت مكانه حباً وحناناً. وبرغم الحب إلا أن شعور الخوف والقلق كانا يلازمانني لأنني ولدت بفتاة. كيف بإمكاني أن أحميها من تلك الوحوش الموجودة في عائلتي؟ كيف سأحفظ هذه الجوهرة الثمينة بأمان؟

بعد ولادتي لها طلبوا مني أن أحممها، لكني لم أستطع فعل ذلك. لقد كانت مسؤولية كبيرة تفوق قدراتي. كنت أفكر دائماً في كيف بحق الجحيم سأجعل هذا الطفل يصل إلى مرحلة البلوغ بأمان؟ لم أستطع حماية نفسي عندما كنت صغيرة، كيف يمكنني حمايتها؟

كان هناك كل هؤلاء الأشرار في العالم، كيف لي أن أبقيها بعيدة عنهم؟ في الواقع، كانت القابلات يستخدمن لورا كوسيلة إيضاح للأمهات الأخريات لتعليمهنَّ كيفية قيام الأم بتحميم طفلها، إضافةً إلى بعض الأشياء التي لم أستطع القيام بها لأنني كنت خائفة. كنت لا أزال تحت

تأثير الصدمة.. المسؤولية الكبيرة التي وضعت على عاتقي. لازلت لا أصدق أنني أصبحت أمّاً لطفلة.

كانت لورا طفلة جميلة وهادئة، كنت أخاف عليها كثيراً إلى درجة أنني لا أسمح لأحد أن يحملها، لا أسمح أن تبقى مع أحد بمفردها، أريدها لنفسي فقط، حتّى أنني في أحد المرات التي حملتها أمي، طلبت منها أن تعيدها إلى مكانها على الفور.

في إحدى المرات الأولى التي أخرجت فيها لورا للتنزه، تولت أمي زمام الأمور. أرادت أن تدفع العربة وأبعدتني عن طريقها، أرادت تولي الأمر كما لو كانت لورا طفلتها. أرادت أن تكون الجدة المثالية لأنها كانت كما تعلمون أماً سيئة. لقد كانت تقلل من قدراتي ومعرفتي دائماً، حيث كانت تخبرني بشكل مستمر ما هي الطريقة الصحيحة لأداء المهام، وأعتقد أنه يمكننا القول، أنه لا يحق لها التكلم عن طريقة تربية الأطفال لأنها لم تكن جيدة في ذلك، أليس كذلك؟

بعد مضي عدة أيام على إحضار لورا إلى المنزل، جاءت أمي مع جميع أصدقائها. وما أن بدؤوا بحمل لورا وتمريرها لبعضهم وطبع القبلات على وجهها ورأسها، بدأت أشعر بالغثيان. لم أكن أريد حضور هؤلاء الناس، لكن أمي قررت، كما لو كانت طفلتها. كان الأمر بالنسبة لي، يشبه الحالة عندما يلمس الناس جرواً أو أي حيوان صغير أخر وتصبح الرائحة مختلفة بالنسبة للأم. كان الجميع يضعون أيديهم عليها ولم أشعر بأن ذلك مناسب لغريزة الأم الخاصة بي. لذلك لم أستطع التعامل مع لورا.

16

طفلتيّ

من المدهش أنني لم أعانِ من اكتئاب ما بعد الولادة. بعد حوالي شهر من ولادتي للورا، ذهبنا جميعاً إلى النادي للاحتفال بعيد ميلاد روبرت الواحد والعشرين، حيث أمضينا وقتاً ممتعاً ومسلياً، وبعد الانتهاء من الاحتفال عدنا إلى شقتنا، وما إن وصلنا إلى الشقة دخلت أنا وروبرت إلى غرفتنا لنخلد إلى النوم بعد هذا اليوم المتعب. كان ابن عمي برنارد يعيش معنا في الشقة لأنه لا يملك أي مأوى، وأثناء الليل استيقظت من نومي عند شعوري بلمسة يد أحدهم على فخذي.

تجمدت أطرافي عندما رأيت برنارد ... لازلت أذكر تلك الليلة، وكأن شريط ذكرياتي المؤلم بدأ يلوح أمامي من جديد، وقلت في نفسي: "ماذا يحدث هنا بحق السماء؟". ...... حاولت أن أسيطر على ردة فعلي لذلك

استدرت بهدوء وأنا مستلقية ووضعت ذراعي حول روبرت. وبتلك اللحظة غادر برنارد الغرفة. يفترض أن يكون منزلي وفراشي هو المكان الوحيد في العالم الذي أحظى فيه بالأمن والأمان إلى جانب شريكي.

استيقظت في اليوم التالي وشعور الغثيان يسيطر عليّ، كنت بحاجة للخروج من المنزل، بحاجة لاستنشاق الهواء، أسئلة كثيرة راودتني.. إذا كانت لديه الجرأة الكافية لفعل مثل ذلك، مع وجود روبرت على بعد سنتيمترات مني، فما الذي سيجرؤ على فعله بعد ذلك؟

لقد كان عليّ أن أخرج من المنزل، وتركت أمي تعتني بالطفلة، ومن حسن الحظ أنها لم تكن هناك عندما تحرش بي ابن عمي ربما كنت فقدت صوابي. ولن أعود إلى الشقة طالما هو هناك، كان يخرج ويدخل كما يحلو له ويتصرف كما لو كانت الشقة ملكاً له.

عندما غادرت منزل والدتي في الخامسة عشرة من عمري كانت أمي تعيش مع هارون ومن ثم انتقلت إلى بيته لتعيش معه. في فترة حملي، عندما كنت أرغب برؤيتها هي وأخي كان عليّ أن أتقبل وجوده معنا لأن البيت بيته، ولم يحدث ذلك كثيراً إذ كنت أقابلها في أماكن أخرى.. وبعد ولادتي للورا، حدثت مشاكل كثيرة بين أمي وهارون، الأمر الذي أخرجها عن طورها. عندما علمت أني سأصبح أماً كان لديها حمل وهمي، غابت عن الأنظار لأيام عديدة وعادت بدون أن تعطي أي تفسيرات لتصرفاتها، وبدأت الأمور تتجه نحو الأسوأ في تلك المرحلة.

ذهبت إلى إدارة الإسكان وأخبروها بأن بإمكانها الحصول على شقة مكونة من أربع غرف، إذا أخبرتهم بأني أحتاج للسكن معها. ولولا ما حدث لي مع ابن عمي ماكنت لأسكن معها أبدا، لكن الأمور تغيرت وكنت بحاجة لأن أبتعد عن ذلك الحقير.

أخبرتها: " نعم سأسكن معك يا أمي"...

كان ذلك أمراً كبيراً فقد أُسيئت معاملتي سابقاً تحت أنظارها وخذلتني لسنين عديدة غير أني كنت آمل على الدوام أنها ستتغير، كل ما أحتاجه هو العيش في بيئة ملائمة، وظروف جيدة، وأن أحصل على الأم المناسبة. تمسكت بذلك الأمل دوماً وحتى عندما حاولت أن تتولى أمور لورا، وإخباري بأنني لا أقوم بالفعل الصحيح. لطالما كان لدي هذا الأمل، ولكن لن أتمكن من رؤية الخيارات الأخرى إلا بعد الخروج من هذا الواقع. مازلت شابة في مقتبل العمر، وأرغب في روابط عائلية، لربما كان عليّ أن أنفصل عن العائلة لأدرك كم كانت الأمور سيئة.

قبل عيد الميلاد، انتقلت أنا وروبرت ولورا للعيش مع والدتي، كنت أعمل في أحد النوادي الليلة في بيرمنغهام، وكنت حاملا حينها، كنت أجمع كؤوس الشراب الفارغة، وبعد ازدياد حجم بطني وصعوبة الانحناء في العمل، تم نقلي إلى حجرة استلام المعاطف.

وقبل بضعة أيام من عيد الميلاد في عام 1989، خرجنا قبل ذهابي للعمل لاحتساء الشراب احتفالاً بعيد

ميلاد جدتي، بالغ روبرت بالشراب كثيراً إلى درجة أنه ذهب إلى الحمام ليتقيّأ، وبدأ الجميع بالتستر عليه وعدم إخبار المسؤول عن النادي بمكان وجوده. أوقفت له سيارة أجرة وطلبت من السائق إيصاله إلى العنوان المحدد،

كان لا يقوى على المشي على الإطلاق، وأنا عدت لأكمل مناوبتي في العمل. كانت أمي ترعى لورا، أنهيتُ عملي عند الساعة الثالثة صباحاً، وعندما وصلت إلى المنزل لم تكن أمي موجودة لقد خرجت من المنزل وتركت لورا برعاية أخي الصغير.

وعندما اقتربت من البيت كان هناك نور غريب يشع منه، وبدأت ضربات قلبي تتسارع كلما اقتربت أكثر من البيت فالشعاع لم يكن نوراً بل كانت ألسنة اللهب ترتفع من كل مكان، وغيوم الدخان تتعالى من المبنى، وكل ما خطر لي هو وجود ابنتي في البيت. وكانت فرقة الإطفاء والإنقاذ مضربة عن العمل في تلك الفترة وكان هناك عدد كبير من سيارات الإطفاء العسكرية متوقفة في الشارع، كان الباب مفتوحا هرولت إلى المكان عبر الدخان الكثيف ولكنني لم أستطع صعود الدرج، بدأت أبكي بحرقة ... كلهم في المنزل: روبرت وأخي وأمي وطفلتي لورا ....

وما حدث هو أن أمي خرجت من البيت وتركت لورا في رعاية أخي البالغ من العمر أربعة عشرة عاماً، شعر بالجوع وقرر أن يحضر شيئاً لتناوله، واختار أن يعد

البطاطا المقلية، وعلى ما يبدو أنه خلد إلى النوم في غرفة المعيشة وهو ينتظر نضوج البطاطا، ومن حسن الحظ أنه أغلق باب الصالون ولأنّه كان منزلاً حديث البناء فقد كانت كل الأبواب مصنوعة من مواد مقاومة للحريق. لورا كانت معه والدخان لم يكن كثيفاً هناك. روبرت كان ما يزال تحت تأثير الشراب، لذا لم يشعر بشيء لأنه كان غارقاً في نومه، لكنه سقط عن الفراش في لحظة ما على ما يبدو عندما بدأ الدخان بالانتشار في أرجاء المنزل وذلك ما أنقذ حياته.

وعندما أخرجتهم فرقة الإنقاذ كان وجه أخي مغطى بالسواد وكذلك روبرت، تحول المنزل إلى حطام ...... وكان الناس في حالة هرج ومرج......

وأما ابنتي لورا فكانت سالمة يحملها أحد رجال الإنقاذ. وحتى اليوم أتساءل ماذا لو التهمت النار القوية السريعة طفلتي ... فكل ماكنت أملكه كان مرتبطاً بتلك الطفلة الصغيرة، من ضمن جميع الحشود الموجودة، أنا الوحيدة التي كنت خائفة عليها ومهتمة بسلامتها، وعندما وجدتها بين ذراعي رجل الإنقاذ بدأت دموعي تنهمر أكثر، وأخذت أضرب رأسي ضربا بالحائط. كان اللون الأسود يغطي ملابسها ووجها وبشرتها، لكنها والحمد للّه بقيت سالمة.

عمّت الأرجاء حالة من الفوضى والذعر، تم نقلي مع لورا وروبرت إلى المستشفى في سيارة الإسعاف، ونقلوا أخي في سيارة إسعاف أخرى. بدأ روبرت باستعادة وعيه،

وعندما رأى لورا بين أحضاني وبحالة يرثى لها لم يعرف ماذا يفعل، احتضنتها بشدة وهذا كل ما استطعت أن أقدمه لها، كنت تحت تأثير صدمة نفسية، وعندما وصلنا المستشفى بدأت أستوعب الأمور. لا أحد يعلم أين كانت أمي خلال تلك المعمعة ولم أحاول البحث عنها.

وضعونا في غرف متجاورة، وتم وضع الأكسجين للورا، وأنا ألاحق الأطباء بنفس السؤال "هل ستكون ابنتي على ما يرام؟ " وأجابني الطبيب "نعم لحسن الحظ، إنها على ما يرام"

حاول أخي المراهق المزاح حول كل ما حدث لكن روبرت صفعه وأسكته.

ولو لم يكن في بيتي الجديد أبواب مضادة للحريق لفقدت طفلتي، كان الإحساس بالذنب لأنني تركتها ينهش قلبي، كنت أتوقع أن تقوم أمي برعايتها أثناء غيابي، ولكن هذا خطئي، تلك مسؤوليتي ولن يتحملها أحد غيري.

كان المنزل بحاجة إلى ترميم من جديد، لذلك انتقلنا للعيش مع جدتي، لم أكن أملك أية ملابس لطفلتي فكل ملابسها احترقت، كان عليّ البدء من جديد، لم أشعر بالراحة أو الاستمتاع أبداً، كنت في حالة توتر وقلق مستمر لمجرد شعوري بأن لورا كانت في خطر، وأن الحريق كان على وشك التهامها. لذلك كنت أحيطها بحمايتي طوال الوقت، لن أدع أي مكروه يصيبها مرة أخرى.

أصبحت علاقتي بروبرت متوترة جداً ولم نعد على وفاق. مكثنا مع جدتي بضع أسابيع، ثم عدنا إلى الإقامة مع أمي، كانت تعلم أننا نتجادل كثيراً وكان ذلك يمتعها.

عندما بلغت لورا الشهرين من عمرها، طلبت مني برندا صديقة خالي تومي الذهاب معها إلى الديسكو المقام في أحد البارات المحلية، أجبتها أنني: " لا أرغب بالذهاب إلى تلك الأماكن، فلم يمض وقت كاف على ولادتي بعد"، ردت عليّ: " ما زلت في السادسة عشرة من العمر.. وعليك الاستمتاع بحياتك ..."، وتمكنت أخيراً من إقناعي بالذهاب معها. وكان المكان في الحقيقة هو الحانة التي كانت والدتي تتردد عليها لكونها قريبة من المنزل الذي كنا نعيش فيه عندما كنت طفلة.

قضيت وقت ممتعاً برفقة برندا، تبادلنا النكات وعلت ضحكتنا، قامت والدتي برعاية لورا أثناء غيابي، الأمر الذي من المفترض أن يقوم به روبرت، إلاّ أنها لم تكن راضية، لذلك أصرت عليه أن يأخذها إلى الحانة التي ذهبنا إليها، وتركت لورا برعاية شقيقي مرة أخرى.

اقتحم روبرت المكان، وبدأ يتجه نحوي وهو يصرخ، كنت مستعدة لمواجهته، ولكن مالم أكن مستعدة له هو رؤية أمي تمشي خلفه. قلت له: "روبرت ... سأغادر المكان عندما أكون جاهزة ... بعد قليل ..."، ولم أعلم ماذا كانت أمي قد أخبرته، لكنه جن جنونه وحاول سحبي بالقوة من المكان. "عليك العودة إلى البيت الآن" قالت أمي بخبث " إياك أن تتحديني"

“ما هي مشكلتك يا كارول ...“ توجهت برندا بسؤالها لوالدتي،“ أنت تسببين المتاعب، وتجعلين الأمور تسوء أكثر، من الذي آذاك؟“ وفي ومضة عين صفعت أمي برندا على وجهها.

صرخت في وجه أمي ” كيف تجرئين على فعل ذلك ... وكيف تجرئين على الحضور إلى هنا، وافتعال هذا الحدث المهين؟ أنا لن أترك المكان وعليك المغادرة فوراً”.

تركت والدتي وروبرت المكان وهما يتلفظان بشتى أنواع الشّتائم والإهانات، وحاولت أنا بدوري الاستمتاع بوقتي مع برندا، جلسنا لوحدنا نتسامر دون أن نتسبب بإزعاج أحد.

هدأ روع روبرت لكنّ أمي استمرت في حشو رأسه: ” بأنَّ المكان مليء بتجار المخدرات والقوادين“. ويبدو أنّها استمرت في تحريضه فعاد إلينا ولكن مع أخي هذه المرة، وبدأ يقول لي: ” لا ينبغي لك وليس من حقّك أن تكوني هنا، فلديك طفلة رضيعة تنتظرك في البيت ... ويجب أن تخجلي من نفسك“، وجرني إلى خارج الحانة وأنا أصرخ ” لست ذاهبة من هنا.. اتركني وشأني ...أنا فقط أتسامر مع برندا ... ما الذي يخطر في بالك؟ اتركني وشأني بحق السماء ...“، فكان جوابه ” اخرسي!!!

ستفعلين ما أمليه عليك ... وعليك الخروج من هذه الحانة اللعينة ...“ وأصبح عنيفاً معي، كان يجرني بقوة

في الطريق وأنا ما زلت أقاومه إلى أن حدث أمر ما، أظن أنه لكمني بقوة فسقطت على الأرض وركلني على وجهي فنفر الدم من أنفي. كان عليّ الذهاب إلى قسم الطوارئ لإجراء صورة أشعة وإخبار الطبيب بما حصل. وقد كنت في منتهى الصراحة إذ أخبرت الطبيب أن " شريكي ركلني على وجهي، لقد كنت مع صديقتي في الحانة وقد أخرجني منها بطريقة مهينة جداً، وبدأ ينهال عليّ باللكمات والركلات في الشارع" وكان تعليقهم الوحيد "سوف نتأكد من ذلك لاحقا ..."، ولم يستدعوا الشرطة ولم يسألوني إن كنت أرغب في متابعة الأمر ورفع دعوى قضائية ضده.

أدركت أمي تماماً أن هناك مشاكل بيني وبين روبرت، وكانت هي السبب وراء معظمها. لم أكن أدرك قدرتها على التلاعب بالآخرين، ولكنها طبيعة أمي وتلك كانت حالة عائلتي وكنت أنا في قلب تلك الفقاعة.

حاولت التركيز على توفير بيئة مناسبة لطفلتي لورا، حاولت إيجاد عمل لأوفر لها كل ما تحتاجه، كنت أسعى لبناء عائلة متماسكة. وعلى الرغم من أن علاقتي بروبرت كانت متوترة إلا أني اعتقدت أن بإمكاني بناء هذه العائلة، إذا سعيت لذلك دون كلل أو ملل. حاولت إيجاد عمل في سوق المجوهرات في بيرمنغهام، وتلك المحاولة لا تغادر ذاكرتي لأن صاحب المتجر قال لي "ماذا تفعلين عزيزتي؛ أنت ما زلت يافعة ولديك طفلة ؟؟؟". فأجبته " أرغب في تأمين جميع احتياجات طفلتي وأحتاج إلى عمل حقاً"،

فقال لي "عودي إلى بيتك واعتني بطفلتك"...

ولكني كنت مصممة على إيجاد عمل لتأمين جميع احتياجات طفلتي لورا وحصلت على عمل في مصنع لصنع الأغطية الكهربائية. وبقيت هناك لفترة قصيرة وكلام تاجر المجوهرات لا يفارق ذاكرتي، لقد كان محقا ... فكل ما رغبت فيه هو أن أكون مع لورا دوما ... أردت أن أعطيها كل شيء، وأردت حمايتها من كل سوء وأنا الوحيدة القادرة على كل ذلك أيضا. ولذلك عدت إلى طفلتي وتخيلت أنني لو استطعت أن أبقى معها حتى دخولها المدرسة سأكون بالنسبة لها الأم المثالية، الشخصية الأكثر تأثيراً عليها، أردت أن أكون الأم التي تحبها.

غير أن أمي استمرت في محاولاتها للسيطرة على لورا وكنت أسأل نفسي دومًا هل سأكون مثل أمي في حب السيطرة، وبالتأكيد لن أكون كذلك ولكن الخوف من ذلك لم يفارقني.

كما استمرت تؤجج الخلاف بيني وبين روبرت وانتهى الأمر بهما إلى حدوث شجار كبير في البيت، وكان لدينا في البيت بار صغير في زاوية الصالون سقفه من جذوع الشجر القاسي وبشكل ما بدأت أمي تكسر البار وهي تصرخ على روبرت " عليه أن يغادر هذا البيت ...". وكان جوابي لها "حسنا ... إذا غادر هو البيت فأنا سأفعل كذلك ..." وهذا ما حدث ...

17

مركز الاهتمام

حصلنا على شقة لثلاثتنا أنا وروبرت ولورا، تقع بالقرب من ملعب فيلا في أستون. كانت في برج سكني في الطابق 13 تطل على ملعب كرة القدم، وكان ذلك ممتعاً خلال فترة المباريات، حيث كنت أحضر المباراة من الشرفة، لكنني سرعان ما أصبحت معزولة عن العالم في ذلك العلو الشاهق مع طفلتي. كانت لورا جميلة وسعيدة. وكنت فخورة بنفسي أني استطعت حمايتها والاعتناء بها فذلك إنجاز كبير بالنسبة لأم في عمري. وعندما أصبحت لورا أكثر اعتمادًا على نفسها شعرت برغبة شديدة في إنجاب طفل آخر. فلقد استمتعت بتجربة الأمومة الأولى مع لورا ورغبت في إثبات أني أستطيع العناية بها وبأي طفل آخر أنجبه. فقد كان في الأمومة نوع من الإنجاز المهم منحني مكاناً مميزاً في

هذا العالم. وتلك كانت أول مرة أشعر فيها بذلك الشعور ورغبت في فعلها ثانية: أن ألد مولودا آخر أعشقه وأحافظ عليه وأرعاه.

وهكذا حصل، حملت بمولود جديد يوم عيد ميلاد لورا الأول وكان عمري 17 سنة. سيكون عندي طفلان وأنا ما زلت في سن المراهقة. وما زلت في بيئة يعتقد الناس فيها أن انتهاك الأطفال وسوء معاملتهم (كما حدث لي) أمر مقبول ولا أحدَ قام بفعل أي شيئاً حول الموضوع، واعتقدت أنا أيضاً أن تلك هي الحياة في هذا العالم. كنت سجينة في شقتي، أعاني الكثير من المشاكل مع روبرت، ولم أعرف أن هناك سبيلاً للخروج من ذلك الوضع.

وكنت أتصور أنه لو أنّ لدي روابط عائلية متينة لكان كل شيء على ما يرام، وذلك هو كل ما كنت أرغب فيه. وكان كل ما يعنيني في الأمر هو التأكد من حصول الأطفال على حياة أفضل من الحياة التي عشتها، لقد كنت في منتهى السذاجة عندما فكرت في ذلك. فعلاقتي مع روبرت كانت سيئة تماماً، لكني كنت أنظر إلى الحياة من خلال نظارات وردية معتقدة أن الزواج سوف سيصلح الأمور جميعها. وتلك كانت خطيئتي الكبرى، كنت أدفع ثمن الاعتداء الذي تعرضت إليه عندما كنت طفلة، الكثير من الناس لا يعلمون أن أي أحد تعرض لذلك فهو، يدفع ثمن تلك الإساءة طوال حياته باتخاذ القرارات الخاطئة، مع الاعتقاد دوماً بأنه يمكنه إصلاح ما أفسده الدهر.

اكتشفت أني حامل بابني جيمس في شهر سبتمبر عام 1990. كنا قد خططنا لذلك وكنت سعيدة به لكن روبرت لم يكن كذلك. وأبقيت لورا إلى جانبي مع إصراري على سلامتها طوال الوقت، متأهبة لأي شخص يبدي اهتماماً بها. وكنا قد انتقلنا من بيت والدتي إلى الشقة في ذلك الوقت مما يعني أن والدتي لم يعد لها سلطة كبيرة علينا، بقدر ما كانت ترغب به.

كنت أزورها أحياناً خلال النهار، وخاصة بعد عودة والدي لها عندما كنت حاملاً بجيمس. فقد مرت سنوات على غيابه، ولكنه عاد في هذه الفترة إلى والدتي وكان يزورني في منزلي أحياناً.

وقد أعاد تجديد علاقته مع أمي بعد كل تلك السنين التي غابها ولم أجد في ذلك أي معنى على الإطلاق، فقد كانت لهما جولات من الخصام والوئام في علاقتهما ولجآ إلى المحاكم من أجل حق حضانتي وكلا منهما تزوج زيجات أخرى وقد تخاصما وتبادلا الصراخ والشتائم مرات ومرات ما يجعل تحقيقهما للوئام والسعادة مع بعضهما أمراً مستحيلاً.

كان حملي لابني جيمس مريحاً وكان عليّ أن أذهب إلى موعد الطبيب بنفسي، وأدركت أن عليّ أن أواجه الأمور وحدي دون طلب العون من أحد وهكذا فعلت.

بعد ولادتي للورا كانت مدرسة المراهقات الحوامل في موقع أجبرت فيه على المشي لمسافة طويلة وركوب

حافلتين اثنتين ولذلك ذهبت إلى هناك مع لورا مرة واحدة فقط.. وقد شعرت بعزلة شديدة خلال حملي بابني جيمس فلم يهتم أحد بحضوري أو غيابي عن المدرسة ولم يتم التواصل معي لتبرير غيابي.

لم أعاني بولادتي بجيمس، فلقد كانت سهلة وبسيطة، وعندما أخبروني أن المولود ذكرٌ شعرت بارتياح كبير وبكيت. لم أكن أدرك عندها أن الذكور ممكن أن يتعرضوا للاعتداء أيضاً، وشكرت اللّٰه أن مولودي هذه المرة سيكون على ما يرام.

هذه المرة عانيت من إكتاب ما بعد الولادة، ولعل ذلك كان بسبب عزلتي في شقتنا ولعدم رضا روبرت عن الحمل وعدم دعمه لي. وبعد ولادتي أخذ إجازة من عمله لبضعة أيام ويوم عودته إلى العمل طلبت منه البقاء ومساعدتي لكنه لم يصغ إليّ ونزل إلى سيارته للذهاب إلى العمل، بينما كنت أخبط على نافذة الشقة بعنف لأجلب انتباهه، وأنا في الطابق الثالث عشر، وبالطبع لم يسمعني وتحطم زجاج النافذة من شدة النقر عليها.

فعاد روبرت وراح يصرخ في وجهي:

قائلا: "ماذا حل بك بحق الجحيم؟ لم هشمت زجاج النافذة؟ هل جننت؟ "

فأجبته: "أحتاج لبعض المساعدة يا روبرت فأنا مرهقة وأخبرتك ذلك لكنك لم تستمع إلي"

فصاح: " بحق السماء ... سأسعى للحصول على

المساعدة لكِ".

أخبر أمي بما حصل وهي بدورها اتصلت بالخدمات الاجتماعية لمراقبتي. مما زاد الأمور تعقيداً لشعوري بأني مراقبة وعليّ التصرف كما لو أن الأمور على ما يرام للتخلص منهم. وكان لدي رغبة طاغِية ألا أكون مثل أمي. وكان شعوري بمراقبة الخدمات الاجتماعية لي يشعرني أنني في طريقي إلى أكثر وضع أكره الوصول إليه في حياتي.

كانت حياتي قاسية في تلك الفترة إذ كنت سجينة البيت طوال اليوم مع لورا التي بدأت المشي وطفلٍ حديث الولادة، ذلك بسبب تعطل المصعد في المبنى (الأمر الذي يتكرر دائماً) وعدم تمكني من الذهاب إلى المتجر لشراء الحاجيات. إحساس الوحدة في هذا السن ومع طفلين، إحساس قاسٍ جداً ويفوق قدرة تحملي.

ومن حسن الحظ وعلى الرغم من عدم رضاي على تدخل الخدمات الاجتماعية في حياتي كانوا يحسنون التعامل معي. فقد ألحقوا لورا بالحضانة ما يعني أنه كان عليّ أن أستيقظ كل يوم وارتدي ملابسي، لأوصلها إلى هناك. كنت أقضي وقتي لوحدي مع جيمس أثناء غيابها.

كان لدينا جهاز تلفاز مأجور (يتطلّب وضع نقود لمشاهدته) وكان روبرت يتلاعب بصندوق النقود ويضع الجنيه نفسه فيه مرة تلو المرة، وكان علي أنا أن أتعامل مع محصل نقود التلفاز حتى لا يأتي ويتأفف في وجهي:

- "مـاذا يحـدث هنـا؟ ...هـل اسـتعملت التلفـاز لدقائـق فقـط؟ ...فـلا يوجـد فـي صنـدوق التحصيـل إلا جنيـه واحـد فقـط منـذ التحصيـل الماضـي.. هـل تظنينني أحمقا؟ ..."
- وكان جوابي لـه وهـو غاضب "ليس لـدي وقت لمشاهدة التلفـاز لفتـرات طويلـة مـع وجـود طفليـن صغيريـن يحتاجان عنايتي المستمرة ..."

كما كان روبـرت يتلاعـب بعـداد الكهربـاء أيضـاً، فقـد استعمل علبة سجائر مقطعة لإبطاء عداد الكهرباء. ولم أكـن راضيـة عـن أفعالـه هـذه، إذ أنّني كنـتُ مـن يواجـه التبعات وكنت أشتري قطع النقود المعدنية للقيام بعملية التزويـر ولكـن فـي أحـد الأيـام فاجأنـي محصـل الكهربـاء للكشف على العداد لأنهم شكوا في أمرنا على ما يبدو. وبادرني بالقول بنظرة قاسية "إن شخصاً ما يتلاعب بهذا العـداد"، وكان جوابـي حاضـراً كالعـادة "لا أدري مـا تتكلـم عنـه يا سيد ..." وبدا أن حظنـا قد نفذ فـي هـذا الأمـر، «سـوف أخبـر رئيسـي بالموضـوع» وأردف قائـلاً وقد تملكنـي الخـوف «لـن تعاقبـوا علـى ذلـك، ولكـن عليكـم دفـع جميـع تكاليف الكهرباء التي تستعملونها»

وانتهـى بنـا الأمـر إلـى دفـع فاتـورة كهربـاء كبيـرة جـداً، واسـتشـاط روبـرت غضبـاً وراح يلومنـي علـى عـدم قـول الإجابـات المناسـبة لمحصـل الكهربـاء بـدلاً مـن الإقـرار بسرقة الكهرباء.

وقـد أصبـح منشـغلاً جـداً بالأمـور الصغيـرة التافهـة

وساوره الشعور بأن الناس حوله يتربصون به، وحتى عندما كان يشاهد مباريات كرة القدم من نافذة المنزل التي تقام في ملعب أستون فيلا، كان يلقي نظرة من النافذة للتأكد من أن أحداً لا ينظر إلينا.

كان هناك أولاد صغار يعرضون على مشجعيّ فرق المباراة حراسة سياراتهم أثناء وجودهم في المباراة، ولكن في الواقع كانوا يسرقون ما في السيارات بعد مغادرة أصحابها إلى داخل الملعب، وأصبح روبرت منشغلاً بمتابعة هؤلاء الأطفال حتى أتصل بالشرطة وأخبرهم بما يحدث، وإذ بهم يأتون إلى الملعب ويقبضون على أولئك الصغار. وبطريقة ما عرف الأولاد أن روبرت هو من أخبر عنهم، فغطوا بابنا بالرسوم المسيئة وهددونا، وكنت أنا فقط من أدفع الثمن لأني كنت أسيرة الشقة معظم الأوقات.

كنت غاضبة جداً من روبرت لوضعنا في مثل تلك الحالة الخطرة التي سببت لي مزيداً من القلق وأفقدتني الرغبة في الخروج من المنزل لشراء الحاجيات. كرهت المواجهة مع أي شخص يهدد بالاعتداء على أمان عيشنا. وعندما كتب الأولاد الغاضبين كلمة 'grass' (وتلك كلمة تدل على شخص، عادة ما يكون مجرماً، أو يخبر الشرطة عن مجرمين آخرين) على باب شقتنا نصحتنا والدة روبرت بترك الشقة والانتقال إلى مكان آخر، فأجبتها بسخرية « لماذا لم تذهبي أنت إلى الشّرطة وتقولين أنّ رجلاً يهدد حياتك؟ وتقولين بأنه حاول اغتصابك؟ ...»

فكان ردها « لماذا بحق السماء أختلق قصة كهذه ومن أين أتيت بمثل هذه القصة؟ هل لديك أية فكرة عما يحدث ومن اختلق قصة تافهة مثل هذه؟ ...»

حادثة الاعتداء التي عانيت منها في طفولتي ما تزال حية في مخيلتي، وبالرغم من محاولاتي الكثيرة في دفنها وتخطيها، إلاّ أنني لم أستطيع، كنت أظن أن بإمكاني تجاوزها وإبقائها مدفونة إلى الأبد.

وبدأت الحياة تتثاقل عليّ أكثر، لم أجد السعادة سوى مع طفليَّ لورا وجيمس، وباقي الأوقات كنت إما فارغة الذهن أو في ومضات الماضي الأليم، فذكريات ما فعله بي المجرم تيري مؤلمةٌ جداً، في عام ١٩٩٤، عندما بلغت سن الحادية والعشرين طلبت المساعدة من الخدمات الاجتماعية فقدموا ليّ ثلاث جلسات استشارية فقط بناءً على إحالة من المدعي العام، ولم تكن تلك الجلسات ذات قيمة لأنها لم تكن تعالج حالة التدهور العقلي التي كنت فيها.

وقد نصحني الخبير النفسي في جلسات العلاج أن أكتب رسالةً إلى والدتي لأوضح لها الإحباط الذي أعاني منه، وقد اقترحوا ذلك لأنني غاضبةٌ جداً منها، وقد أصبحت أماً، وهي لم تهتم بحمايتي. ولم أستطع استيعاب إهمالها لي بتصورها أنني مراهقةٌ لعوب بدلاً من أن تحاول فهم سلوكي وما يحصل لي. وتأملت بحنان طفليّ لورا وجيمس لم أكن قادرة عن إبعاد نظري عنهما، وتعجبت أن أمي لم تضعني في أولويات اهتمامها خلال

فترة مراهقتي.

كتبت الرسالة وأعدت كتابتها مرات ومرات لأن أحاسيس كثيرة كانت تتملكني طوال سنوات من كبت العواطف وإخفاء الحقائق التي لم أصرح بها سابقاً.

كان عيد ميلاد والدتي الأربعون على الأبواب وتلك مناسبةٌ جيدةٌ لمناولتها الرسالة بعدما استجمعت القوة والجرأة اللازمة لذلك. ترددت كثيراً في الأمر ولكني في النهاية عقدت العزم على أخذ الرسالة معي إلى احتفال عيد ميلادها، والتصرف هناك حسب الموقف.

ولا أذكر ما حدث ليلة الاحتفال بعيد ميلاد أمي وربما منحني الشراب الشجاعة، بالإضافة إلى منظر الرجل الراقص العاري الذي استضافته والدتي (والذي أثار اشمئزازي) أعطاني الشجاعة لإعطائها الرسالة قائلةً لها بهدوء: « أمي ... أريدك أن تقرئي هذه الرسالة» بعد أن أخذتها جانباً، وسلمتها ظرف الرسالة التي سردت لها فيها كل شيء وجميع الانتهاكات التي تعرضت لها في حياتي.

«هل هو كرت تهنئة بعيد ميلادي؟ ..» قالت بنوع من الاستخفاف. فقلت لها: «أريدك يا أمي أن تجلسي بمفردك وتقرئي الرسالة بعمق وتفكري فيما كتبت فيها».

ذهبت أمي إلى غرفة أخرى وبعد دقائق عادت وهي تصرخ وتهذي. كان والدا روبرت وأبي وخالتي آنا (التي كنت على صلة وثيقة بها) هناك. رمت أمي الرسالة إلى جدتي دون أن تسألني إن كنت أريد أحداً غيرها أن يقرأ

الرسالة، وراحت توجه إصبع الاتهام في وجهي وتصرخ «ما هذا الهراء عمّ تتحدثين ... ماذا تقولين؟ ...» . غضبت جدتي مني جداً عندما قرأت الرسالة، ووصفتني بأنّني كنت طفلة مشاكسة ترغب في لفت الانتباه إليها.

في الواقع كنت آخر شخص يبحث عن اهتمام الناس به، وجدتي لم تكن مقتنعة بذلك وكذلك كانت خالتي. فغادرت المكان لعدم قدرتي على التعامل مع أولئك النساء الثلاثة اللواتي كنت أحترمهن كثيراً، وكنت أتوقع وقوفهن إلى جانبي وحمايتي، وإذا بهن عكس ذلك، وحتى والدتي صاحت «أنا حميتك من الناس الذين أعرف نواياهم ...»، وكنّ جميعا غير آبهات بمعاناتي ولا واحدة منهن قالت: « دعينا نساعدك.. ماذا نستطيع أن نفعل لمساعدتك؟ هل تريدين حضور رجال الشرطة؟» لم يفعلن ذلك بل كانت ردة فعلهنَّ دعونا ننسى الأمر ونتجاوزه.

تلك الليلة كانت محزنة تماماً وأعادتني إلى عزلتي، فإذا لم يصدقني أقرب الناس إليّ فمن لي غيرهنّ ليصدقني ويدعمني!!! ولم أكن أفكر أبداً في تدخل رجال الشرطة وكل ما رغبت فيه هو اهتمام عائلتي بأحزاني، لقد أصبحت الآن في موقف أسوأ من قبل. والدي لم يتكلم كثيراً لكنه كان منزعجاً مما حدث والتزم الصمت حيال الموقف. وهكذا أصبحت وحيدةً مرةً أخرى.

18

حياةٌ جديدة في منزلٍ جديد

ساءت علاقتي مع روبرت مع تقدم أطفالي في العمر، فهو لم يدرك مدى تأثير تصرفاته عليّ، أصبحنا نتجادل كثيراً لأتفه الأمور. وانتقلنا للعيش في منزل آخر في منطقة هايغيت في مدينة بيرمنغهام، بالقرب من مركز المدينة. كان البيت لا بأس به، يوجد فيه حديقة صغيرة، تعرفت على الجيران كانوا لطفاء وودودين، حتى روضة الأطفال كانت تقع في الشارع المقابل للمدخل الخلفي للبناء. لم تكن المنطقة في الواقع الأفضل للسكن، مقارنة بالمنطقة السابقة، لكن هناك جيران حولي بدلاً من أن أكون منعزلة لوحدي طوال اليوم. كان زوج أم روبرت يعيش في نفس المنطقة، وكانت الأمور عموماً أفضل مما سبق. لذلك شعرت أنها ربما بداية حياة جديدة في منزل جديد. ولكن الأمور ساءت عندما أقام روبرت علاقة غرامية مع جارة زوج أمه. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل

كنا أيضاً قريبين من شارع تشيدر المشهور بمنازل الدعارة وبائعات الهوى، وكنا في بعض الليالي نخرج مع أحد أصدقاء روبرت إلى حانة قريبة، وكان "الرجل" يقول دوماً "إنه غير مرتاح لهذا المكان وأنه سيعود إلى بيته"، وكان روبرت يتبرع بمرافقته إلى بيته للتأكد من سلامته، لكن تبين لي أنهما كانا يذهبان إلى منازل الدعارة، وفي إحدى الليالي أحضر رجال الشرطة روبرت إلى المنزل، لأنه كان يقود السيارة وهو مخمور، ولكنه ادعى غير ذلك، وأنه كان فقط جالساً خارج الحانة بانتظار صاحبه. وتبين أنه كان كاذباً إذ أنه كان يمارس الجنس مع إحدى العاهرات من دون حماية، في الوقت الذي كان يمارس الجنس معي مما يعرضني لجميع أنواع الأمراض التي تحملها العاهرة.

لقد كنت ملكه من وجهة نظره وله مطلق الحرية في أن يفعل بي ما يشاء، فقد غدا يكلمني بوقاحة شديدة، فكان يقول لي: "إن العلاقة الحميمة معك ليس فيها أي متعة ... اركب سريعاً وترجل سريعاً". وعلى الرغم من أني أصبحت أماً لطفلين، إلا أنني لا أزال ساذجة، فقد استكنت للأمور جميعها بما في ذلك علاقات روبرت غير الشرعية وممارسته الجنس مع العاهرات. وكان يدعي أن كل ما يقال هو كذب في كذب وكنت أتقبل ذلك لأنني كنت أسعى لتكوين عائلة مثالية، ولم أرغب في إثارة المشاكل.

وفوق كل ذلك، كانت أخواته الثلاثة يعشن معنا على الدوام، أي لم تكن هناك فرصة لنكون وحدنا. ولقد كانت

أخواته في سن المراهقة، وأيضاً لم تكن علاقتهنَّ بوالدتهنَّ جيدة. ولم أرغب في ترك إحداهن تذهب إلى إحدى بيوت الرعاية الاجتماعية، فاحتضنتهن جميعاً كأم رغم كوني ما زلت في سن المراهقة.

في تلك الفترة، بدأت أرغب في تطوير نفسي، لذلك اتبعت دورة تعليمية في المنزل في علوم الحاسوب، كما أنّني رغبت في تغيير سكني للابتعاد عن عشيقة روبرت. وبنفس الأمل الذي كنت أعطيه لنفسي بأن الأمور ستتحسن يوماً ما، رغبت أن أكون قريبة من أمي. وهذا ما كان، وعندما انتقلنا إلى منطقة كينغ ستاندنغ، التحقت ببرنامج (NVQ III) وهو برنامج موجه للأشخاص الذين يرغبون في العمل الإداري في مؤسسات القطاع العام أو الخاص، وحصلت على شهادة في إدارة الأعمال.

كما تابعت ملحق الدورة المسمى "مدراء المستقبل"، ولقد اجتزت امتحانه بنجاح، وتم إقامةُ حفل في ملعب فيلا لتكريم الناجحين في المحلق التعليمي، مع التأكيد أن جميع من نجحوا سينعمون بمستقبلٍ زاهرٍ. وقد قدمت نائبة البرلمان كلير شورت الجوائز للفائزين، وكنت فخورة جداً بذلك الإنجاز.

ولكن روبرت كان يشعر بالملل والغيظ طوال الوقت مما جعلنا نترك المكان باكراً قبل انتهاء الحفل. ولم أعلم حينها أنه كان هناك بعض الباحثين عن موظفين يعرضون فرص عمل للناجحين، وقد فاتتني تلك الفرصة وأصبت بالإحباط مرةً أخرى.

كانت أخوات روبرت ما زلن يقمن معنا، وواصلت أنا العمل على تلك الدورة التعليمية بدوام كامل، ولكن عندما أعود إلى البيت لا أجد مكاناً للجلوس بسبب الفوضى العارمة التي تسببها أخواته. وكان روبرت في معظم أيام الجمعة يقابلني بعد انتهائي من عملي، ونذهب سوياً إلى احتساء شراب في بيرمنغهام، وكل ما كان يفعله هو مغازلة الفتيات، بينما أنا جالسة بمفردي، لا يستطيع المرء إنكار ما يراه بأم العين مهما بلغت سذاجته.

ورغم كلِّ ما يحدث حولي كنت محافظةً على هدوئي، معتقدةً أنه إذا ارتبط روبرت معي بالزواج فربما في النهاية ستكون الأمور على ما يرام.

وخلال الفترة التي كنت فيها أطلب من روبرت الزواج مني وتحديد موعد العرس، راح روبرت يغيب عن البيت طوال الليل. كان له صديق حميم في الخدمة العسكرية، وقد عاد إلى المنطقة لرؤية روبرت فكانا مع بعضهما طوال الليل، بينما كنت أنا قلقة على روبرت وكنت أتصل بالمستشفيات وبمراكز الشرطة أحياناً بحثاً عنه ويعود هو في الصباح ويدّعي حصول مشكلة معه، وأن الشرطة أخذته إلى مركز آخر غير الذي اتصلت به، وكان ذلك منتهى التفاهة.

وكنت أسأل روبرت أن يطلب من أخواته الانضباط والمحافظة على ترتيب البيت ونظافته، وهو ما كان يثير سخطه في كل مرة أذكره بذلك. حتى أنه في إحدى الليالي قذفني بكأس في يده شجت رأسي وتناثر الدم

في كل المكان.

كان لدي موعد مع صالون تزيين الشعر، لأحظى بتجربة تصفيف شعر العرائس بعد أيام، لذا كان عليهم أن يقصوا خصلاً من شعري بسبب الجرح. كان عليّ أن أتحمل المتاعب وأتجاوزها، لأن جميع ترتيبات العرس قد تمت والجميع كان بانتظاره.

تتحمل الكثير من النساء العنف المنزلي خلال فترة الزواج، لكنني بالإضافة لذلك كان عليّ أن أتعامل مع الاعتداء الذي تعرضت له في طفولتي. فقد تعرضت للانتهاك والإساءة في مرحلة مبكرة من حياتي، وكان الناس حولي يفعلون بي ما يشاؤون وعندما يظهرون شيئا من العطف والحنان كنت أتأثّر بذلك وأسامح. وبقيت على تلك الحال، فقد كان روبرت قاسياً جداً في بعض الحالات، وكنت أقرر تركه ولكن عندما يُظهر لي قليلاً من اللطف أغير رأيي وأبقى معه. رغم أنه يلقي اللوم عليّ في معاملته لي قائلاً عبارته المعتادة: "أنت تستحقين ذلك ...انظري إلى نفسك ... أنت تعيشين في حالة فوضى ...". كنت أشعر أن بإمكاني الوثوق به ومصارحته بما يدور في خَلدي، ولكن سرعان ما يعود إلى معاملته السيئة، التي تشعرني بأنني أتعرض لطعنة خنجر في جسدي. كنت أقول لنفسي أحياناً ربما كان على حق فقد فقدت احترام الذات بتحملي تلك الإهانات.

كان يقول بسخرية "سوف تصبحين مفرطة الوزن مثل أمك ..." ويردف " فاذا أصبحت كذلك عندها سأهرب

منك بالتأكيد". ولكني كنت نحيفةً دوماً، إلا أن وزني ازداد قليلاً أثناء الحمل. فقد أصبحت نهمة أشتهي الأكل دوماً لاعتقادي بأنه سيتخلى عني إن ازداد وزني. وهكذا أمضيت سنة كاملة أُكثر فيها الأكل من كل أنواع المأكولات النشوية لزيادة الوزن - البسكويت، الخبز وكل ما يقع في يدي. وكنت أخطط لكل وجبة أتناولها - فبعد ذهاب لورا إلى الحضانة وانتهائي من الاهتمام بجيمس، كنت أصنع وجبة سريعة وسهلة "عجة البيض مع الخضار من تلك الوجبات الجاهزة في علب. وكنت أتلذذ بها لكونها وجبتي في طفولتي، وكنت أضيف بعض الشوكولاتة والبسكويت وشيئاً من السلطة لأثبت أني أستطيع أن آكل مقدار ما أرغب من الطعام دون التقيد بأوامر أحد، رغم أني كنت أنوي أن أتقيأها في النهاية.

وكنت أشعر بأن العيش في منازل مختلفة هي عناوين مختلفة لمراحل حياتي، يمكنني إيجاد ذاتي من جديد في كل بيت جديد. وفي عام 1997، انتقلنا من جديد إلى منزلٍ آخر. وفي كل مرة نغير منزلنا تراودني أحلامي مرة أخرى بأن مصاعبي كانت بسبب البيت أو المنطقة ويثبت الواقع أن التغيير هو بداية مرحلة انتهاك أخرى.

بعد زواجي من روبرت بقليل اشترينا بيتاً جديداً، لكنه كان على الطرف الأخر من الطريق بالقرب من منزل أخوات روبرت. فلم تكن بدايةً جديدةً فعلاً، وكرهت البيت من البداية، فجميع المشاكل كانت هناك أيضاً، روبرت لم يتغير وأخواته ما زلن بالقرب مني.

البداية الجديدة التي حدثت هي أنني أصبحت حاملاً في ذلك البيت، قمت بترتيب البيت وتنظيفه لاستقبال المولود الجديد، لكنني مرضت مرضاً شديداً في تلك المرحلة إلى درجة أني كنت طريحة الفراش معظم الأوقات. وكانت الولادة عسيرة وأجهضت، وتبين أني ما زلت حاملاً فربما كنت حاملاً بتوأم لكن الآخر أيضاً توفي مع الآسف.

ثم حملت مرة أخرى ومرة أخرى أجهضت. وروبرت لم يكن ليبدي أي اهتمام بما يحدث لي، راكضٌ وراء متعه فقط.

في سبتمبر 1997، انتقلت إلى وظيفة جديدة مع شركة نيشنوايد كيبلز، وذلك بعد زواجنا بقليل. يوم زفافي كان من المفترض أن يكون أفضل يوم في حياتي، ولكنه كان أبعد ما يكون عن ذلك. اجتمعت أمي ووالدي وأخي وأخوات روبرت وبعض الأصدقاء للاحتفال بذلك. وكان حفلاً فخماً في فندق فاخر في مدينة بيرمنغهام، لكن الحفل كان سيئاً للغاية. لقد كان مناسبة للتباهي وليس تعبيراً عما كنت أشعر به من إحباط بعد الجرح في رأسي بسبب الكأس الذي رماني به روبرت حينها. ووصل روبرت إلى المكان بعدي وحين رأى تصفيف شعري قال باستخفاف: "إنني أبدو كما لو أن أحدا جرني عبر السياج من ظهري".

ليست الكلمات التي تودين أن تسمعيها من زوجك عند مذبح الكنيسة، لقد كان من الأشخاص الذين يسخرون

من كل شيء، ونادراً ما كان بإمكانك تبادل محادثة جادة معه. وكان عليّ أن أتجاوز تصرفه هذا أيضاً رغم أن عباراته جرحتني في العمق.

وبعد الحفل، التقطنا بعض الصور الجماعية واتجهنا إلى المكان المخصص لنا، وكانت السجادة الحمراء بانتظارنا وشعرت أن بإمكاني أن أستريح في ذلك اليوم وأتمتع به، لكن ما حدث هو غير ذلك. فعندما بدأت أغنية رقصة العروسين اختفى روبرت من المكان، وبعد البحث عنه وجدوه في حمام السيدات يدردش مع النساء ضيوف الحفل، وتلك كانت منتهى الإهانة لي.

ومضت تلك الليلة وكنت تواقة للذهاب إلى الفراش. وعندما استيقظت في الصباح لم أستطع تمالك نفسي من البكاء، فقد شعرت بأني ارتكبت أكبر خطيئة في حياتي.

كنت أعمل مع صديقة طفولتي كيلي لدى شركة نيشنوايد كيبلز، وكان من الممتع أيضاً العمل مع زميلات أخريات. فقد كن ثلة من النساء اللطيفات الداعمات، وساعدنني على إدراك أن معاملة روبرت لي لم تكن صحيحة. وكنت أرى ذلك في رد فعلهن ونحن واقفات إلى جانب آلة صنع القهوة نتبادل الأحاديث وقت الاستراحة.

" لماذا عليك أن تتحملي كل تلك الإهانات وسوء المعاملة؟" تساءلت إحداهن، وأشعل سؤالها ضوءاً جديداً في إدراكي لم أعهده من قبل. وأوضح أموراً كثيرةً لي

وتبينت أن وضعي مع روبرت لم يكن طبيعياً.

وأدركت أن وضعي مع روبرت لم يكن مناسباً لطفليَّ أيضاً، ومن الأفضل أن لا يكونا هناك في مثل تلك العلاقة المتوترة مع روبرت.

وفي إحدى الليالي، خرجت مع صديقة لي في العمل إلى الحانة. وكانت علاقتي مع روبرت في قمة التوتر عندها فهو لم يساعدني في أي من حالات الإجهاض التي مررت بها وكنت متأكدة من كونه مع نساء أخريات في كل أوقات غيابه عن البيت، وفقدت الأمل في حلمي الوردي حول الزواج السعيد، واليوم أتلقى النصح السليم بعدم التسامح مع كل ذلك. وتلك الليلة قدم روبرت إلى المكان لسبب ما، وكنت أرقص وأقضي وقتاً ممتعاً جداً مع صديقتي. ولما رآني على تلك الحال جن جنونه، وجرني إلى خارج النادي ورماني على قارعة الطريق قائلا: " عندما قابلتك أول مرة انتشلتك من قارعة الطريق وعلى قارعة الطريق سأتركك".

وكان حراس النادي قد شاهدوا (وأناس آخرون أيضاً) ما فعله بي. فأقبلوا إليّ وتأكدوا من سلامتي، ثم أخذوا روبرت إلى الزاوية وضربوه، كان ذلك جيداً، فكانت تلك ربما أول مرة ينال جزاء أفعاله. ركبت سيارة أجرة وقررت الذهاب إلى أمي فقد كان روبرت قد دفعني بقوة بالغة إلى الأرض، مما مزق فقرات ظهري السفلى ربما، وكنت متألمة جداً إلى درجة أني لم أستطع المشي. وأخذتني أمي إلى مركز للعناية الصحية وبعدها بقيت عندها لعدة

أيام لأستجمع ذاتي المبعثرة، وتواردت في ذهني أسئلة كثيرة: أين أنا في حياتي؟ وماذا سأفعل بعد الآن؟ ... عدت إلى بيتي وأخذت طفليَّ، وتركت البيت مصممة على الاستمرار في حياتي لوحدي دون الاعتماد على أحد وعلى البقاء قوية في مواجهة مشاكل الحياة.

انفصلت عن روبرت بعد 18 شهراً من الزواج فقط، وكنت السبب في امتداد تلك الفترة إذ كنت أرى نفسي كقطعة من القذارة عالقة على حذائه، متسامحةً مع كل ما يفعله بي.

وعدت إلى بيت طفولتي مع أمي وأبي بعد أن تشاركا في شراء منزل في منطقة ويست بروموويش. كلاهما كانا يعملان ويبدو أن علاقتهما ببعض كانت على ما يرام. وكان في البيت غرفتا نوم فقط، لذلك استأجرت منزلاً خاصاً بي وبأطفالي بالقرب منهما.

عندما انفصلت عن روبرت كنت أعمل في قسم المبيعات في الشركة التي كان لها 250 فرعاً في جميع أنحاء البلد، وكان الزبائن يتصلون بي لطلب المبيعات على الدوام مما مكنني من التعرف على بعضهم حق المعرفة، وكانوا يحدثونني عن مشاكلهم الشخصية، وكنت أدردش مع الكثيرين منهم ممن ارتحت إليهم، وكان أحدهم فيل من مدينة مانشستر، وكان لطيفاً جداً معي وأخبرته قصة حياتي وسرعان ما نشأت علاقة غرامية بيننا، كان ذلك عام 1999، وكان عمري عندها 26 سنة.

لقد بقيت مع روبرت 11 سنة، وبالنظر إلى الماضي أدركت أني أقع في الغرام سريعاً. ووجدت نفسي مغرمه في علاقة لم أقرر بعد الولوج فيها مع فيل، وكان هو على ما يبدو من نوع الرجال الذين يبحثون عن نساء سريعات التعلّق مثلي. وجميع الرجال في حياتي كانوا من نوع محبي التسلط إلى درجة "النرجسية". كنت أتساءل هل أنا أنجذب إلى مثل هؤلاء أم هم من ينجذبون إلي!

كان وجود فيل بعيداً في مانشستر مناسباً جداً بالنسبة لي. فكنت أراه عندما يذهب طفلاي إلى والدهما في نهاية الأسبوع بحيث تبقى أسرتي بعيدة عن علاقتي بصديقي الجديد فيل. وكان رأسي مليئاً بأعباء يكاد ينفجر منها. لكني ما زلت أعتقد بأنها بدايةٌ جديدةٌ، وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

بينما كان طفلاي يقضيان عطلة نهاية الأسبوع برفقة والدهما، يأتي فيل ليصطحبني إلى مانشستر. وشعرت أن بإمكاني تنفس هواء مختلف بعض الشيء. لقد كان فيل من ألطف الرجال الذين تعرفت عليهم، ولم أعتقد أنه كان نرجسياً. ربما لأنني تعرفت عليه من خلال مكالمة هاتفية لا من خلال مقابلةٍ شخصية، وذلك كان أفضل إذ أني تعرفت على شخصيته من خلال سماع صوته قبل الالتقاء به.

كنت أقضي يومي نهاية الأسبوع في مانشستر، لكن عندما أعود إلى مسكني كنت أتساءل عما إذا كانت العلاقة معه تستحق ذلك العناء في الذهاب إلى مانشستر

والعودة منها. كنت أشعر بالراحة مع فيل، ولكن سرعان ما رجعت إلى الواقع وإلى الحياة الطبيعية، وأدركت أن هذه العلاقة أكبر مما أتحمل، وأنها غير مناسبة، لذلك قطعت العلاقة ورغبت أن نكون أصدقاء فقط. وتلك كانت أول مرة في حياتي تمر فيها علاقتي برجل بسلام.

كنت أعيش لوحدي مع طفليّ في المنزل الجديد، وروبرت كان يتردد علينا باستمرار ويفتعل المشاهد الدرامية في كل مرة. وأيام الآحاد كنت أخرج مع والدي لنحضر عزف الفرق الموسيقية في الحدائق، وذلك الشيء كان يسعدني، وكانت أمي تبقى في المنزل لتعد عشاء يوم الأحد وللعناية بطفليّ أثناء غيابنا. لقد كنت مندهشة من الأمر فقد كانت الجدة المثالية لطفليّ بينما كانت الأم الأسوأ بالنسبة لي.

لقد كانت تقرأ القصص لهما وتأخذهما معها أثناء العطل وتفعل أشياء محببة كثيرة لهما. ولم يكن لديهما ذكريات سيئة عنها أثناء ترعرعهما على الإطلاق.

وهكذا شعرت بأني في حاجة إلى أمي بعد الخصام الشديد الذي حصل بيننا. وفي الحقيقة كنت دائماً أشعر بذلك. أحتاج إلى أم وحتى لو لم يكن لديها ما تعطيه لي. وبقي هذا الشعور يتملكني حتى في هذه المرحلة من حياتي فكنت جاهزة لتذوق السم إن قدمته لي.

ندمت كثيراً لترك طفليّ مع روبرت بعد إجهاضي الثاني لأنه استغل الموقف لإقناعهما بأني تخليت عنهما،

وكان ذلك صعباً جداً على لورا. بينما كنت في الواقع محطمة جراء خيانته الزوجية وجراء التقليل من قيمتي، وعدم دعمه لي خلال الإجهاض، وكنت بالكاد قادرة على العناية بنفسي فكان عليّ أن أستريح بضعة أيام، لأستعيد نشاطي وأقرر ما سأفعله، وكيف يمكنني إيجاد منزل جديد، ورسم خطة للعيش بمفردي مع أطفالي فقط.

وعندما عاد أبي وأمي للعيش سوياً عام 1991، شعرت بأن لدي أسرة طبيعيّة للمرة الأولى. فقد كان لطفليّ جدة وجد مثل باقي الأطفال، وكان أبي وأمي رائعين مع لورا وجيمس. وبدا كما لو أن أمي أتيحت لها فرصة ثانية لتكون شخصية أفضل مما كانت عليه عندما كنت صغيرة. وقد انتقلا للعيش في منطقة ويست بروميتش حيث تعمل أمّي واستقرا هناك. وأصبحت أثق بها في موضوع العناية بطفليّ، حتى أنّني سمحت لهما بالذهاب معها خلال العطلة إلى منطقة بوتلين.

وذلك ما كنت أرغب فيه وأحتاجه من أمي، أن تكون مهتمة بيّ وبعائلتي. أو على الأقل بطفليّ لأنها لم تكن كذلك معي في طفولتي.

وكنت أتمتع بلحظات من الارتياح عندما كنت أخرج مع والدي أيام الآحاد أيضاً. وذلك كان كافياً لجعلي أستمر في حياتي الطبيعية رغم حملي لمسؤولية طفلين وحدي، ومحاولة القيام بعمل يجلب لي بعض المال، وأنا شبه مفلسة وروبرت يسبب لي المشاكل، إلا أن خروجي مع والدي أيام الآحاد كان مصدر راحة لي.

كان لأبي صديق اسمه بيت يرافقنا أيضاً في نزهتنا، وقد انسجمت تماماً معه، ولكن بعلاقة غير جسدية، إلى حدود يوم من الأيام التي عاد فيها والدي إلى البيت باكراً وقال: " لقد تحملت ما فيه الكفاية وسأخلد إلى النوم باكراً الليلة" فقال لي بيت: "ابقي وتناولي شراباً معي "، وكذلك فعلت وقد دخل في عالمي تلك الليلة حيث بقينا نتحدث في أمور مختلفة تافهة طوال الليل. وكان ذلك ممتعاً. اتفقت مع بيت على مقابلة أخرى لكن والدي كان ممانعاً فقررنا اللقاء دون أن نخبره بذلك، ونرى كيف ستسير الأمور.

في ذلك الأسبوع تلقيت مكالمة هاتفية من والدتي وهي تصرخ وتردد باكية: "لقد أصيب بطلق ناري" وكنت أسألها " ما الخبر بحق السماء؟" محاولة فهم ما يجري لكنها كانت بحالة هيستيرية، وسألت "هل والدي أصيب بطلق ناري؟ أين وكيف؟" و أمي لا تزال تصرخ وتجهش بالبكاء، إلى أن استطاعت نطق عبارة مفهومة " يا للمسيح .. عزيزتي ... إنه بيت من أصيب بالطلق الناري وليس أبوك ...".

لقد كان من الصعب عليّ استيعاب ذلك كان أبي وبيت شبيهين بالممثلين الكوميديين (Laurel and Hardy)، والدي كان قصيراً وممتلئا بينما كان بيت نحيفاً وطويلاً (حوالي مترين).

ويبدو أن أبي وبيت كانا يمشيان في الطريق المؤدي إلى البيت بعد ذهابهما إلى الحانة في الليلة الماضية، وكان هناك

بعض الشباب "المتسكعين"، واصطدم أحدهم بوالدي فصاح بهم "بيت "ماذا تفعلون يا أشقياء، يا لقلة الأدب!" فأطلق أحد الأشقياء النار على "بيت". ظن والدي عندما سمع الطلقة أن هناك ألعاب نارية حولهم، لكنه كان مسدساً في يد أحد الأشقياء الذي أطلق النار على بيت.

وتطورت الأمور بسرعة مع "بيت" كما في الأفلام وكانت الأمور ملخبطة لفترة وجيزة. وقبل أن نقرر تطوير صداقتنا إلى علاقة غرامية أصبحت أنا وبيت في فصل جديد. ذهبت لزيارته مرات عديدة في المستشفى، وبعد خروجه منها شاءت الأقدار أن أكون أنا من يعتني به. ومرة أخرى لم يكن ارتباطي به خياري بل هيأته ليّ الظروف.

وبالطبع جرى تدخل الشرطة في موضوع إطلاق النار على "بيت" وكلفوا أحد عناصرهم كضابط اتصال معنا وكان يزورنا باستمرار.

واقترحت الشرطة عندما تبينت أن الفاعلين هم عصابة من مدينة لندن، أن يترك منزله في ويست بروم لأن العصابة عرفت بمكان سكنه، وهو يحتاج إلى حماية الشرطة على الدوام، وقد رأى وجوههم، ويستطيع الإدلاء والتعريف بهم لدى الشرطة فلن يتركونه.

كان ذلك سبباً يحول دون إتاحة الفرصة لتقرير ما إذا كنت أريد الارتباط بالرجل. وقد كان علينا أن نترك المكان جميعاً، وفي منتهى الفوضى بالنسبة للطفلين. في ذلك الوقت بلغت لورا قد بلغت الحادية عشرة من عمرها،

وجيمس بلغ العشر سنوات، وصار محتمٌ علينا أن نترك المكان، وننتقل بيت جديد ورجل جديد في حياتهما. كان وقع ذلك كبيراً وسيئاً جداً على الطفلين. وخاصةً لورا.

لم أكن مهتمة بحياتي الشخصية وعلاقتي بالرجل، فقد تعرفت عليه من خلال خروجه للتنزه معنا أنا ووالدي، ولم أشاركه الفراش. وكنت فقط أتردد على المستشفى لزيارته والاطمئنان عليه، وتعرفي على أسرته جرني على التصميم لمساعدته في تجاوز الحدث المروع. وغدت أمور ترميم شؤوني في المتأخر من اهتماماتي، الانتقال إلى سكن جديد دون معرفة أحد والتواصل مع المدارس من أجل الأطفال. ومرة أخرى، صدق أو لا تصدق، كانت بدايةً جديدة.

19

عالقة في دوامة من المشاكل

بعد ستة أشهر من حادثة بيت اكتشفت شخصيته الحقيقية، فتبين أنه مدمن ومقامر. عائلته كانت تعرف ذلك لكنها أخفته عني، كما في رواية "الحفاظ على المظاهر" للكاتب (Hyacinth Bucker)"، كل شيء كان رائعاً في المظهر ولكن عندما تنظر خلف الستارة ترى المصائب. بيت كان من النوع الذي لا يتحمل المسؤولية في كل أفعاله. وأعتقد أن أسرته كانت سعيدة بأني توليت العناية به بدلاً منهم.

حرص بيت على ضبط سلوك طفليَّ على الطريقة التقليديّة في التربية، معاقبتهما جسدياً أحياناً والصراخ في وجههما ولم يكن ضبطهما ممكناً، فكنت في مواجهة دائمة معه.

وهدأت الأمور نوعاً ما حولي بعد أن أصبح لروبرت

صديقة جديدة يافعة، ولكن بيت كان يضايقه بشكل غير مباشر، فلم يسمح له بإيقاف سيارته في مدخل الكراج عندما كان يأتي لأخذ الطفلين. وكان يحضر العشاء لي وله فقط دون الطفلين. وكنت أسأله وأنا أنظر إلى شريحة اللحم التي حضرها لي "ماذا سيأكل الطفلان؟" ويجيب "لا أدري، ولا يهمني".

وخلال هذه الأشهر الستة مع بيت أدركت أن عليّ إنهاء هذه العلاقة به، وذهبت إلى محامية وأوضحت لها ما يجري فقالت " إنها حالة عنف عائلي واضحة يا عزيزتي"، وسألتني "هل يعتدى عليك بالضرب؟" فقلت "لا لم يفعل ولم يحاول ذلك"، فأردفت "ليس الأمر فقط بالاعتداء الجسدي، انظري إلى الطريقة التي يحاول بها السيطرة على طفليك". وأخبرتني أنه لا يدرك أنه مخمور من كثرة الشراب الذي يبتلعه، فهو على ما يبدو لي سكير حقيقيّ ويقامر بجميع نقود وموارد الأسرة.

لقد تجول "بيت" في المنطقة وبنى علاقات تجارية مع كثير من الزبائن، لكنه ينفق كل قرش مما يجني على الفور، وذلك انتهاك اقتصادي لموارد العائلة، "أتفهمين ذلك؟"، ولقد كانت على حق ووضعت الأمور في نصابها. وعندما كنت أتصل بروبرت هاتفياً بشأن الطفلين كان يأخذ سماعة الهاتف من يدي ويهدد روبرت " إذا اقتربت من هذا البيت سأنتظرك هناك مع مطرقة لكسر جمجمتك". ونصحتني المحامية " عليك الخروج من منزل بيت، فلا نستطيع الحصول على أمر قضائي

بمغادرة بيت وأنا مقيمة معه.

ذهبت إلى البيت واتصلت بأسرة بيت وأخبرتهم بأن عليهم أن يأخذوه إليهم فلم يعد باستطاعتي تحمل أفعاله. أما والدتي فقالت " إن طفليك بحاجة إلى الانضباط، إن بيت أفضل ما جرى لك في حياتك فلا تفسدي الأمر، فهو عنده وظيفة تعتاشون منها ومنزل يحميك من التشرد، ويجب أن تقدري ما عندك يا عزيزتي". يبدو ألا أحد كان يصغي إليّ وإلى ما أعانيه مع بيت.

وفي الأيام التي تلت تردد عليّ والدا "بيت" يبكيان ويستجديانني أن أبقيه معي، وشعرت مرة أخرى أن لا أحد يصغي إليّ وأن احتياجاتي الإنسانية كانت آخر اهتماماتهم. وفي تلك المرحلة شعرت أن حتى طفلتي لورا كرهتني، فقد كانت تصحو من نومها في الليل و"تخبط" على باب غرفة نومي، وكانت مشاكسة في التعامل معي، وتلك إشارة لي أني فقدت السيطرة على جميع أمور حياتي، ولن أستطيع تصحيح أي منها.

وذهبت إلى إدارة الخدمات الاجتماعية طالبة مساعدتهم في التعامل مع ابنتي لكنهم تجاهلوا الموضوع وكذلك فعلت مدرستها.

وفي حالة الإحباط التي كنت امر بها قمت بجمع كل الأدوية التي كنت أتناولها. فقد كنت أتناول حبوبًا لمساعدتي على الإقلاع عن التدخين لكنها سببت لي الكوابيس، فتوقفت عن تناولها. وكان لدي الكثير من تلك

الحبوب من شتى الأنواع. فجمعتها كلها وكذلك الدواء المضاد للاكتئاب (الذي لم يمض على استعمالي له أكثر من أسابيع قليلة) وأيضاً كل المسكنات التي أتناولها.

وفي إحدى الليالي تجمّعت المشاكل كلها في رأسي: عائلة "بيت" تترجاني أن أحتفظ به، أمي تبلغني أنني محظوظة بعلاقتي معه، ابنتي قرة عيني أصبحت تكرهني. فما كان مني إلا أن حبست نفسي في الحمام مع زجاجة الفودكا وابتلعت جميع تلك الحبوب. ولم أتذكر ممّا حدث بعدها إلا أني في المستشفى لبضعة أيام.

وبسبب ما عانيته في طفولتي، رغبت في حماية طفليَّ منذ ولادتهما، لكني دُفعت إلى هذه الحال بدون إرادتي. وقد يكون من الأفضل للجميع وجودي في مثل هذه الحال. سيذهب الطفلان إلى روبرت وذلك أمر جيد، ولا أحد سوف يفتقد وجودي وستزول الآلام والمعاناة عني.

وربما يعتقد البعض أن ذلك نوع من الأنانية، غير أن الإنسان يصل أحياناً إلى حالة من الإرهاق والتعب، والإحساس أنه يتحمل أعباء تفوق قدرته على التحمل، خاصةً دون وجود مساعدة من أحد، وكل ما يرغب فيه عندها أن يتوقف كل شيء، لا يرغب في الحياة ولا يرغب في الموت، فقط يريد أن يرتاح.

وبالعودة إلى شريط ذكرياتي الماضية، لم أجد سوى الأشياء السيئة التي حصلت لي عندها قلت لنفسي " إذا كانت هذه هي الحياة فأنا لا أرغب فيها، والأفضل لي أن

أموت. وإذا كانت هذه هي حال السنين القادمة فلا أرغب في عيشها".

وجدني بيت ولورا في الحمام على تلك الحال، ولا أعلم تفاصيل ما حدث بعدها، وأكثر شيء آلمني هو أن صغيرتي لورا رأت أمها على تلك الحالة المشينة، وكان ذلك أسوأ شيء في حياتي. ومنذ علمت أن لورا كانت في الحمام حاضرة ورأتني على تلك الحال، عاهدت نفسي ألا أفعل ذلك مرة أخرى، وحافظت على ذلك العهد رغم صعوبته.

وفي التفاصيل يبدو أنهم وجدوني في الصباح، مغمىً عليَّ، فأسرعوا في نقلي إلى المستشفى حيث استعدت وعيي بعد ثلاثة أيام. وكان وجودي في حالة فقدان للذاكرة شيءُ مخيف، لم أتذكر ما حدث لي، ومن كان حولي، وهل عانوا من أجلي، بينما أنا مستلقية في الفراش بين الموت والحياة، لمدة ثلاثة أيام كاملة.

وربما كانت محاولتي الانتحار أسوأ وأفضل شيء فعلته. فبعدها تلقيت عوناً من مدرسة الطفلين، وزارني مندوبو الخدمات الاجتماعية، وحصلت على الدعم والاهتمام أخيراً من جميع من حولي، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك لولا محاولة الانتحار.

عدت إلى بيتي بعد ثلاثة أيام، ولأول مرة وقف الناس إلى جانبي. "بيت" وأسرته كانوا لطفاء معي جداً. ومن العجب أن حادثة مؤلمة كتلك قد حفّزت الأشخاص الذين

قصدتهم من قبل للمساعدة فخذلوني.

أرسلوني إليّ طبيبا نفسيّا لتقييم حالتي لكن الطبيب كان في عالم آخر. أوضحت له كل شيء وكيف وصلت إلى تلك الحالة من الإحباط ومحاولة الانتحار، فنظر إليّ وكأنه لم يستوعب كلمة واحدة مما قلته له، وكان فقط يردد "ستكونين على لائحة العلاج النفسي لمدة عشر سنوات." وانتهى وقتي معه بعد حوالي ساعةٍ من الزمن. وكل ما كنت أريده منه هو تفهم وضعي النفسي والإقرار به، وكأنني بذلك كنت أطلب المستحيل. وللأسف نسي الناس ما حل بي وعادوا إلى ما كانوا عليه من قبل من عدم الاكتراث. بعد خروجي من المستشفى، كانوا يتوقعون مني العودة إلى ما كنت عليه معهم، رغم أني كنت ممتنة أن لورا حصلت على المساعدة التي كانت تنشدها.

وتوقف بيت عن الذهاب إلى المحاكم بشأن الأطفال وكان عليه أن يذهب مع روبرت إلى جلسات حوار عائلية. جلسات كان يفترض أن تكون للورا ولنا جميعاً لنتفهم ما كانت العائلة تمر به من صعوبات، لكن "بيت" جعل الجلسات جميعها تدور حوله فقط. وكان لذلك أثره على طفلي جيمس أيضاً، لكن الصبيان يواجهون الأمور بطريقة مختلفة على ما يبدو فلم يكن يصرح بمشاعره مثلما كانت تفعل لورا.

لقد تبين أني أقمت علاقة جسدية مع "بيت" نتج عنها أنني حامل. ولم يكن لدي في الواقع فرصة لتقرير ما إذا كنت أرغب في ذلك. وما كانت لدي خطة للأيام

القادمة، فحملت بطفلي الثالث تشارلس، وكانت ولادته في شهر أكتوبر 2002، بعد سنة من محاولتي الانتحار. وكانت ولادته عسيرة هذه المرة وسببت لي ما يعرف باضطرابات ما بعد الصدمة (PTSD). لقد تم سحب المولود من رحمي سحباً، وذلك ما ساهم على ما أعتقد كثيرا بهذه الصدمة. وجاء فريق آخر لمساعدتي في مرحلة الطلق وشعرت بالصدمة من عملية إخراج المولود من جسدي التي انتهت بالفشل، وكان الإحساس بأن أحدا يستبيح جسدي أعادني إلى سنوات اغتصاب تيري، الذي استباح عذريتي.

أرسلوني إلى البيت وطلبوا مني العودة في اليوم التالي لإجراء محاولة أخرى لإخراج المولود. وعندما لم تنجح تلك المحاولة أيضاً ورغب فريق التوليد في إجراء محاولات أخرى، قلت لهم « تحملت ما فيه الكفاية، لا أريدكم أن تفعلوا بي ذلك مرة أخرى».

ومن حسن الحظ أن تقلصات الطلق بدأت بعد ذلك بقليل. وبسبب التبول كان عليّ تحريض المخاض، ولم يكن ذلك طبيعياً مثل ما حدث في الولادات السابقة. ففي بداية المخاض يكون الجسد صاحب السيطرة، ولكن حالما يبدأ تحريض المخاض تتلاشى سيطرة الجسد، ولم يخبرني أحد بأن تطور المخاض أشبه ما يكون بإقلاع السيارة من السكون إلى 100 ميل في الساعة.

ونقلت إلى حجرة الولادة عند الرابعة فجراً، ووصلوني بشاشة مراقبة كي يستطيعوا التحكم بتقلصات الولادة،

لقد كان الأمر بشعاً جداً فقد سلبوني جميع السيطرة على جسدي. وشعرت أني منفصلة تماماً عما حولي، فلم أستطع التواصل مع من كان هناك في الغرفة، ولم أستطع التعبير عما كان يحدث لي. وكنت أسترجع لحظات اغتصاب تيري لي وهو يقول: " أنت تستحقين ذلك أيتها العاهرة الصغيرة".

كنت في وضع يفترض أن يكون من أجمل لحظات حياتي، إنجاب حياة جديدة إلى هذا العالم، لكني كنت منغمسة في ذكريات الماضي دون مقدرة على كشف ذلك لأحد حولي.

وبعد ولادتي لتشارلز، لم أستعد وعيي إلا بعد نصف ساعة، ولم أدرك أنه قد وُلِد. وفي تجربتي هذه فكرت أنه كان يجب على القابلات وأطباء التوليد أن يتدربوا على التعامل مع الصدمة التي تتعرض لها المرأة الحامل عند الولادة. ولو أن أحداً من فريق التوليد كان مدرباً على ذلك لكان لاحظ أني في ضياع وأني لا أتجاوب معهم، وأني لم أدرك أني قد وضعت مولوداً. ولم أتذكر أني حملت المولود الجديد كما هي العادة، وكما فعل الآخرون حولي، فقد كنت فاقدة الوعي تماماً، ولا أدرك ما يجري حولي.

ولم أختبر في حياتي كلها حالة مماثلة من اللاوعي والرجوع إلى ذكريات الماضي. ولربما محاولتي الانتحار قد جعلتني أكثر قساوةً، وفتحت جروحاً كبيرة لم أستطع تجاهلها. فكل شيء أصبح طاغياً على أحاسيسي بسهولة

وسرعة.

لقد اعتدت على دفن الأحزان وإغلاق الأبواب في وجه المشاكل من حولي، لكن محاولتي الانتحار كانت حدثاً مخيفاً تطايرت فيه أبواب رزانتي وعقلانيتي، وكنت غير قادرة على دفن مشاكلي. وبدأت أدرك كيف أن الامتهان وسوء المعاملة التي تعرضت لها في السابق تؤثر على علاقتي مع عائلتي. وكنت أرى ما تعانيه ابنتي لورا من مشاهدتها لما يحدث، وشعرت أنه طالما بقي أطفالي بسلام بإمكاني أنا دفع ثمن ذلك.

وعدت إلى الحياة المعتادة مفعمة بالعزيمة على حماية مولودي الجديد "تشارلز"، وذلك طبيعي بالنسبة لمعظم الأمهات، ولكن الأمر في حالتي كان صعباً. وكنت أعتقد أنني إذا استطعت رعاية أطفالي وحمايتهم حتى سن 18 أكون قد قمت بواجبي كأم. ولكن ذلك كان اعتقاداً ساذجاً خاصةً بالنسبة لتربية البنات، فالخوف عليهنَّ يمتد مدى الحياة. وحيثما ينظر الإنسان يرى أن هناك خطاراً على البنات لوجود رجال كثيرين حولهنَّ يبغون إيذاءهنَّ. فالمرأة لا يمكنها أن تسترخي مطلقاً وتفكر بأنها في مأمن من الاعتداء عليها. وأعلم أن هناك من يقول بأن ذلك ينطبق على الرجال أيضاً، ففي كل يوم هناك مئات من الجرائم ضحاياها من الرجال، فهم أيضاً يمكن أن يكونوا ضحايا العنف والاعتداء وأنا أقرّ بذلك، ولكن لدينا وباءٌ مستفحلٌ في مجتمعنا من العنف ضد المرأة والفتيات وكراهيتهنَّ، وأنا كأم أجد ذلك الخوف على

بناتي يجفف الدم في عروقي.

كما يتملكني الخوف الشديد أن تتكرر حالة الضياع التي عانيتها وقت المخاض. وذلك جزء يسير من ذكرياتي المؤلمة، فماذا لو عادت الذكريات الأليمة مجتمعةً؟ فعندها لن أستطيع التعامل معها، ولن أكون هناك لحماية أطفالي. ورغم سوء الأحوال المحيطة بي كنت أشعر أن الأسوأ لم يأت بعد. وبقيت أصارعُ ذلك الشعور بسبب وجود ذكريات مريرة لم أتعامل معها بعد. وقد كان صراعاً مستمراً بين الذات التي أريدها، والذات التي كنت عليها في الماضي.

كان من المفترض أن أعود إلى العمل بعد ولادة تشارلز، لكنني لم أكن قادرة على ذلك. ففقدت جميع الدعم المعنوي الذي كنت أتلقاه من زميلاتي اللاتي توطّدت علاقاتي بهن في العمل لأنني لم أعد إلى العمل مطلقاً، وكان لذلك أثر كبير في نفسي.

لقد كان هناك شيء مميز في المجتمع النسائي فهو يوفر للمرأة دعماً معنوياً فريداً حيث تتشارك النّساء في تبادل الحديث عن مشاكلهن بشكل صريح ومنفتح تماماً، ويدرك المرء ما هو الصحيح وما هو الخطأ.

وعندما ولد طفلي "تشارلز" كنت معه لوحدنا فقط، لأن لورا وجيمس أصبحا في سن يمكنهما تدبر أمورهما بنفسيهما، وكان من المفروض أن يكون الاعتناء بطفل واحد أسهل، لكن ذكريات الماضي المهينة لم تكن

لتفارقني رغم محاولاتي الحثيثة لدفنها، ولم يفارقني الخوف البتة، ولا الخشية من انهيار كل ما بنيت.

و بدأت الضغوط الحياتية بالتناقص قليلاً، حيث بدأت أعمال بيت بالتحسن، وربحت والدتي جائزة اليانصيب الكبرى بالاشتراك مع مجموعة أشخاص آخرين، وكانت قيمة الجائزة 1.9 مليون جنيه استرليني، وقد وهبتني 10 آلاف منها (مع أنها ادعت أنها أعطتني أكثر من ذلك بكثير). وذهبنا في رحلة سياحية إلى تركيا مع أمي وأبي يوم عيد الميلاد الثاني لتشارلز، لكني لم أستمتع بها لأن رأسي كان مليئاً بالهواجس والذكريات. ونظراً لأن أعمال بيت بدأت بالانتعاش، قمنا برحلات سياحية أخرى: فأخذنا الأطفال إلى شلالات نيغارا وهناك استأجرنا بيتاً بعيداً عن الناس له أقواس خشبية ضخمة يشبه تلك البيوت في قصص الخيال.

عدنا إلى منزلنا بعد سفرة طويلة أنعشتني بعض الشيء، لكننا سريعاً ما وقعنا في مشاكل عائلية كبيرة، ففي تلك السنة انفصلت أمي عن أبي وانتقلت إلى تركيا، وذلك سبّب صدمة كبيرة لوالدي ولنا جميعاً. فقد كان أحد رابحي اليانصيب مع أمي يشارك رجلاً تركياً في ملكية مقهى هناك، وقبل ذهابنا إلى تركيا ذهبت والدتي لرؤية ذلك الصديق وعندما سافرنا، كانت على ما يبدو تزرع بذور مغامرة جديدة، فقد كانت مشتتة الذهن معظم الأوقات ولم تكن تشاركنا أحاديثنا البتة.

وفي أحد الأيام باغت والدي أحد أصدقاؤه بقوله "لم

أكن أعلم أنك ترغب في بيع بيتك يا آرثر"، وأبي لم يكن على علم بذلك أيضاً فقد ظهر إعلان البيع في واجهة أحد المكاتب العقارية دون علمه.

فيما كانت أمي قد ذهبت في إجازة إلى تركيا لوحدها، وعادت سريعاً، وبدأت باتخاذ بعض الإجراءات الضرورية، فسارعت إلى وضع البيت في سوق البيع بعد أن تعرفت على أحد الأشخاص هناك. وتراءى لوالدي أن أمي كانت على علاقة غرامية مع أحد الأشخاص في منطقة ويست بورم قبل أن تغادر إلى تركيا، لكنها أقسمت وبكل ثقة، أن ذلك غير صحيح، ولكنها، كانت على علاقة برجل على بعد آلاف الأميال في تركيا على ما يبدو.

وعندما أصبح تشارلز في الرابعة من عمره ثابرنا على السفرات الترفيهية كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فذهبنا إلى أستراليا ونيوزيلاندا. وكنت أتنفس الصعداء عندما تقلع الطائرة كما لو كنت تركت ورائي جميع همومي وأحزاني، ولكن عندما تحط الطائرة في المطار عند عودتنا تعود إليَّ مخاوفي وذكريات الصدمات التي حلت بي من قبل.

كما اشترينا بيتاً في مجمعٍ سكنيّ، وفي تلك الفترة كانت نسبة الفائدة للقروض البنكية عالية جداً، فحصل "بيت" على قرض بمردود 125%، قرض خطر جداً، لكن بيت كان مقامراً في طبيعته فكان يخاطر دوماً.

ولم تكن علاقتي مع بيت في أحسن حال، لكن سفرات

الإجازات كانت ترمم الفجوات بيننا. وأظهرت الفترة التي قضيناها في نيوزيلاندا كم كانت علاقتنا محطمة. فقد كان يتذمر من لورا وجيمس ويصفهما بأنهما عديمي الأخلاق، وأنهما لا يقدران ما يفعله من أجلهما، وكان يتوقع أن يظهرا له بعض الامتنان. وكنا نتجادل كثيراً، وفي النهاية قررنا الانفصال عن بعضنا. وعندما رجعنا من تلك السفرة تبينت أني كنت حاملاً بابنتي إيليا.

وتحطم كل شيء بعد ذلك، فخلال ولادة إيليا، مررت بنفس تجربة ولادة تشالرز، ولم تكن تجربة المخاض فقط هذه المرة، بل كانت فترة الحمل بأكملها. فمررت بحالات من استرجاع الذكريات المؤلمة وحالات الضياع (الانفصام عن الواقع).

ومرة أخرى خضعت إلى مخاض تحريضي في يوليو 2006، ومرة أخرى شعرت بأن الآخرين هم من يسيطرون على جسدي. وعندما بدأت الدفع لإخراج المولود، انفتحت زاوية ستارة غرفة الولادة وانسلت والدة بيت إلى داخل الغرفة. عندها كنت غائبة كلياً عن الشعور بجسدي، ولكنها كانت من اللحظات الأكثر خصوصيةً بالنسبة لي ومع ذلك انتهكت الوقحة والدة بيت تلك الخصوصية مرةً أخرى.

وقد مرت فترة طويلة بعض الشيء لعودتي إلى الحياة المعتادة بعد ولادة إيليا، وعندما عدت إلى البيت كانت هناك مصيبةٌ أخرى في انتظاري. فلم أستطع النوم وكنت أبكي معظم الوقت ولم تكن لذكريات الماضي المؤلمة أن

تفارقني. وعادت إليّ فكرة الانتحار في فترة عيد الميلاد حيث كنت أرى مغتصبي تيري، وكنت أشعر بكل الآلام التي حلت بي وقتها، كان استحضار الحالة كاملاً بالنسبة لي، ولم أستطع إيقاف استرجاع تلك الذكريات، وفقدت الرغبة تماماً في البقاء على قيد الحياة. ولم تكن فقط "ذكريات" ما تعرضت له من اعتداء في طفولتي، فاليوم عليّ أن أعيش التجارب المريرة فعلاً مرة أخرى كفتاةٍ بالغةٍ. فما كنت قادرة على تجاهلها أو دفنها فهي ستبقى معي طوال حياتي، "تيري برايس مغتصبي" قد أصدر عليّ حكماً بالإعدام.

20

ساعدوني

في شهر ديسمبر 2006، قررت أن أجري تغييراً في حياتي، لأنني لن أستطيع الاستمرار في حياتي دون حصول أي تغيير فيها، وبحثتُ جاهدة في كل مكان عمن يستطيع مساعدتي، ووجدت أخيراً مجموعة تدعى Rugby RoSA، وهي مؤسسة خيرية مستقلة تعمل مع الناجين من الاغتصاب، والاعتداء الجنسي، والاعتداء الجنسي على الأطفال. تقدم خدماتها بطريقة سرية تماماً، وتقدم الدعم للنساء والرجال والشباب والأطفال.

كتبت إليهم:

"إنني فتاة بالغة، واحدة من الناجين من حادثة اعتداء جنسيّ في طفولتي، لقد تعرضت للانتهاك الشديد، الانتهاك الذي لا أستطيع وصفه، وأرغب في مواجهة أولئك الأوغاد الذين سببوا لي ذلك وأمحو أثرهم من

ذاكرتي إلى الأبد، ولقد نجحت في فعل ذلك حتى الآن، ولكن كلما حملت بمولود جديد تطغى عليّ تلك الذكريات وتسيطر على حياتي مرة أخرى. لقد حصل الاغتصاب قبل سبعة عشر عاماً، لكن الذكريات المريرة عادت عند المولود الأول والثاني، ثم عادت مرة أخرى بعد ولادتي بالمولود الثالث قبل أربع سنوات، واستطعت أن أرميها وراء ظهري طوال تلك الفترة، ولكن الآن عند ولادة المولود الرابع أصبحت تحت سيطرتها من جديد، لا يمكنني أن أتركها تسيطر عليّ مرة أخرى، أريد استعادة حياتي الطبيعية.

وكان أسلوبي في مواجهتها هو التصرف وكأنه لا وجود لغدٍ في حياتي، وسبّب ذلك معاناةً كبيرةً لأسرتي. بالإضافة إلى معاناتي الجديدة من الدائنين يتطرقون بابي كل يوم من وضغوطات الفواتير المتخلّدة ، وأشعر أني أرغب فقط في الهروب من كل ذلك".

كانت لديّ مشكلة في الإنفاق غير المتوازن، وربما كان ذلك مرتبطاً مباشرة بطبيعة علاقتي السابقة مع "تيري برايس"، الذي كان يشتري لي أشياءً كثيرة مقابل انتهاكه جسدي، واعتقدت وقتها أن تلك هي الطريقة الوحيدة لإثبات أنني ذات قيمة. ولقد حان الوقت لكي أخرج من تلك الدوامة اللعينة.

أصبحت ديوني هائلة بسبب التسوق عبر الإنترنت أو من الكتالوجات. يدرك معظم الناس أن الناجين يمكن أن يصابوا بإدمان المخدرات والكحول كآليات لتجاوز

الإحباط الذي تعرضوا له، ولكن لا يدرك الكثيرون أن الإنفاق غير المسؤول هو أيضاً وسيلة لتجاوز صدمات الحياة، وتلك كانت حالتي. لذلك كانت لدي رغبة جامحة في عدم حرمان أطفالي من أي شيء يطلبونه ولو أدى ذلك إلى غرقي في ديون لا قدرة لي على تسديدها. ولم أرد لهم أن يكونوا في ظروف تجعل خصوصياتهم موضع التفريط والمساومة مقابل أي شيءٍ مهما بلغ. كما حدث لي مع مغتصبي تيري، وأردت لهم أن يحصلوا على أفضل ما يرغبون فيه مهما كلفني ذلك.

في صباح اليوم التالي، اتصلت بي تلك الجمعية الخيرية، وأخبروني أنهم مستعدّون للمساعدة وللدّعم النفسي، وتم ذلك بسرعة. كانت لدي رغبةٌ شديدةٌ في أن يتم ذلك كي أكون على ما يرام في فترة عيد الميلاد.

وقابلت مستشارتهم النفسية، وكانت دموعي تفيض بغزارة من عيني، واستطعت بالكاد التعبير عما يدور في خلدي مرددةً للمستشارة "أنا في حالة فوضى"، وكانت المستشارة الأولى رائعة، سمحت لي بجلسات استمرت لساعة كاملة تصغي إلي، وتدرك كم كانت الأمور سيّئةً بالنسبة لي. ولكن بسرعة أحالوني إلى مستشارة في منطقة كوفنتري، حيث كنت أستقل الحافلة للوصول إلى هناك، وبرفقتي إيليا في العربة. وهناك تولت التعامل معي معالجة متدربة لكنها كانت رائعة بكل ما للكلمة من معنى، علمتني أشياءَ وأشياء عما يسمى (العلاج السلوكي المعرفي CBT – cognitive behavioral therapy)،

بدلاً من التعامل مع صدمتي، وقد ساعدني ذلك كثيراً في الحالة التي كنت فيها، حيث كان عليّ أن أنظر إلى داخلي، فساعدني ذلك على التعامل مع ما يجري في الواقع وعند حدوثه، وخاصة فيما يتعلق بعلاقتي ببيت وبحياتي المهنية، لقد جعلتني أدرك ما أريد أن أفعله في حياتي.

وبسرعةٍ، بدأت أشياء كثيرة تتطاير من ذاكرتي في تلك الجلسات. ففي نهاية كل جلسة، كنت أُكلَف بمهمات ويطلب مني الإجابة عن أسئلة أظهرت أن لدي توجهات غير سليمة في شخصيتي.

وقد تعمّدت إشغال نفسي بأشياءَ كثيرةٍ، حيث كنت بالكاد أحتفظ بوقت لنفسي لأني عندما أفعل ذلك يعود الماضي البغيض لمطاردتي والسيطرة عليّ. وبدا واضحاً أيضاً أنني أخزّن كماً كبيراً من الغضب رغم إخفائه. فلم يسمح لي التقدم في السن بحرية عيش الطفولة الطبيعية، وما كنت لأعرف حقيقة ذاتي عندما حصل ذلك.

وقد جعلتني الجلسات النفسية أرغب في إخراج بيت من حياتي. وفي إحدى الليالي تطوعت لورا أن تعتني بتشارلز وإيليا، إذ أردت فترة من الراحة وذهبت إلى إحدى صديقاتي للدردشة معها. أوصلني بيت إلى هناك، وأثناء العودة خلد تشارلز إلى النوم في السيارة، فحملته لورا ودخلت به إلى البيت، ووضعته أسفل الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي، وعادت إلى السيارة لجلب ما تبقى من أشياء، وكان بيت يدرك أن علاقتنا كانت على وشك

الانهيار في تلك المرحلة، فانفجر في وجه لورا غاضباً لتركها تشارلز عند أسفل الدرج، وكان جواب لورا " لقد وضعته هناك لأذهب وأحضر باقي الأشياء من السيارة وما كنت لأعرضه لأي خطر، وأنت تدرك ذلك"، وتبعها بيت إلى السيارة وأغلق بابها بقوة على ذراع لورا، وصعد إلى السيارة قاصداً أحد أصدقائه.

اتصلت بي لورا وهي بحالة هستيرية فقلت لها "استدعي الشرطة ليطردوا بيت من المنزل، وكان ذلك صعباً على تشارلز وهو يرى ذلك بعينيه. وضع بيت اللوم كله على لورا وراح يحرض تشارلز عليها حتى غدت العلاقة الوطيدة بينهما بحالٍ يرثى لها.

لقد أعطاني ذهابي إلى جلسات (CBT) القدرة على إدراك أن علاقتي ببيت كانت سيئة و أنّ كل ما يجري هو سيء أيضاً، وكان ما فعله بيت للورا هو "الشعرة التي قصمت ظهر البعير". وكان على بيت أن يرحل عنا، وقد ساعدت الشرطة في تحقيق ذلك، كما ساعدت تلك الجلسات في أن أكون الأم القوية مرةً أخرى قادرة على ترتيب أمور حياتي وحياة أطفالي ومواجهة واقع الحياة بمفردي.

وفي نهاية مجموعة الجلسات النفسية أصبح لدي فكرة عما أريد أن أفعله في حياتي، فكانت لدي رغبة في الالتحاق بالجامعة، بالرغم من أن ظروف الحياة كانت صعبة فلم يعد بيت يدفع الفواتير، وكانت شركة الرهن العقاري تهددني بالإخلاء من خلال المحكمة، وبعدها

بقليل أصبحنا بدون مأوى، وفي عام 2008، تم منحنا منزل لجوءٍ سيءٍ جداً.

واستمرت الاستشارات النفسية لحوالي خمسة أشهر، وكنت أشعر أني على وشك الإصابة بانهيار عقلي. وخلال جلسات الاستشارة النفسية سألوني إن كنت أرغب في تسجيل شكوى حول الاعتداءات الجنسية التي تعرضت لها، وأخبروني أن ممثلا من مكتبهم سيكون هناك لدعمي إذا رغبت في ذلك. فكرت طويلاً وبشدة في ذلك كما فعلت عدة مرات خلال سنوات حياتي، وقررت نعم لقد حان الوقت لذلك، أستطيع ذلك وسأفعل ذلك إذا كان هناك أحد معي. فرتبوا لي زيارة أحد عناصر الشرطة لنا في البيت مع وجود إحدى المستشارات النفسيات للدعم. وفي اليوم الذي حددته الشرطة لزيارة عنصرها لنا لم تكن هناك مستشارة نفسية متواجدة للحضور إلينا. وتساءلت هل سأمضي في الأمر رغم عدم وجود مستشارة الدعم! "نعم، الآن أو أبداً، فلو لم أفعلها اليوم فعلى الأغلب لن أكون جاهزة للقيام بذلك طوال حياتي."

حضر شرطيان إلى المنزل فشعرت بالارتباك، ولم أتمكن من الخوض في التفاصيل، وكان التحدث إليهما عن خصوصيات أنثوية من أصعب الأشياء التي كان عليّ فعلها بمفردي لكونهما رجلين، وكانا على علمٍ مسبقٍ بما سأبوح به.

ولم يحسنا الإصغاء إليّ نظراً لأن تقريري حول حادثة الاغتصاب والانتهاك، تم تصنيفه على أنه "من الماضي" وليس مؤخراً. سجلوا بعض الملاحظات ولكن عندما علما مكان الحادثة أخبراني أن تلك المنطقة تحت سلطة فرع آخر من الشرطة، وأنهما لا يستطيعان التعامل معها. فتبين أن الطريق الذي سلكته مقفلٌ.

وعندما انتهت زيارة الشرطيين، كنت مستنزفةً ومنهكةً، إذ لم أرغب في كشف ماضيّ لرجال من الشرطة، ولم أرغب في الحديث معهما بدون وجود شخص من الجمعية الخيرية التي تولت الموضوع. ومع ذلك كنت مرتاحة لأني قمت بمقابلة الشرطة بمفردي وبقي عليّ الآن انتظار اتصال من المعنيين.

لا أظن أنه من المتوجب عليّ أن أؤكد للناس أهمية الحفاظ على الوعود، ومتابعة الخطط التي التزمت بها، وهي في حالتي هذه الأمور التي أتعلق بها كحبل لنجاتي. عندما أخبرتهم قصتي، كنت أحتاج لمن يلتزم بمتابعة الموضوع وفعل ما تم الوعد بفعله وأن تتقدم الأمور، وفي داخلي كرةٌ ملتهبةٌ من القلق أثناء الانتظار.

وفي كل يوم من الأيام التي تلت كان الأمل يساورني بتلقي اتصال من شرطة منطقة غرب ميدلاند، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل لفترة طويلة، فجمعت شجاعتي أخيراً واتصلت بالشرطيين اللذين قاما بزيارتي واستجوابي، وسألتهما عما يجري هناك. وكان ردهم أن ليس لديهم أي فكرة عما حل بشكواي، وبدا لي أن

الشرطة لم تقدر أهمية الأمر، ووضعته في أسفل لائحة الأولويّات. لكنهم وعدوني بمتابعة الموضوع قدر المستطاع فتركت الموضوع بين أيديهم بما أني لا أستطيع فعل شيء آخر.

وفي ذلك الوقت أبعدت عن ذهني كل شيء إلا الأمل في سلامة أطفالي. ورغبت فقط في حياة طبيعية تؤمن لهم مسارا ت مهنية مناسبة.

وذهبت إلى مركز تطوع محلي في محاولةٍ لفعل شيء يساعدني في التركيز على هدف في حياتي، وهناك وجدت نشرة عن شهادة تدعى 2+2 (يقضي التلميذ سنتين في كلية محلية، وسنتين بعدها في جامعة واريك). تحصيلي السابق كان قريباً جداً من متطلبات الكلية فقد أكملت 120 وحدة دراسية خلال سنتين، ولكن عندما ذهبت إلى الجامعة أصبحت المتطلبات 120 وحدة في سنة واحدة، فتجاوزت الشروط الجديدة بصعوبة. ولكن الصعوبة كانت أكبر من ذلك فقد كانت الجامعة على بعد 40 دقيقة بالسيارة في الذهاب ومثلها في الإياب. كانت جامعة ضخمة جداً ذاتُ حرم جامعي واسع، كما لو أن لها عالم خاص بها. ومع وجود الحشود من الناس اليافعين حولي شعرت وكأني سمكة انتشلت من الماء.

ونظراً لتكثيف الجامعة فترة الدراسة تضاعفت ساعات الدراسة وساعات المطالعة، وكان ذلك في منتهى الإرهاق. وكنت أسأل نفسي لمن من الناس كنت أحاول إثبات قدرتي وصلابتي؟

وقد كان الفصل الدراسي والمواد التي أدرسها صفعة في وجهي تخبرني كم كان العالم حولي سيئاً، وكنت أفضل أن أبقى في جهلي. ومحاولتي فعل أشياء كثيرة في وقت واحد أوقعتني في حالة اكتئاب مرة أخرى. كنت واثقة من مهاراتي، ولكن ضغوط الحياة الأخرى زادت الأمور سوءاً.

كانت إيليا مريضة في تلك الفترة أيضاً. لقد كانت مصابة باضطرابات هضمية، ولم يتم تشخيص ذلك إلا بعد فترة طويلة. وأصيبت بالتهابات بسبب المياه، وارتفاع في درجة الحرارة، ودوخة، واسهال، وكانت تنام طوال النهار في إحدى زوايا روضة الأطفال. كما أن الأطباء لم يهتموا بالموضوع.

تركت الجامعة عام 2009، فما هي الفائدة التي سأجنيها من الحصول على الشهادة؟ وبقيت قناعتي أنني مهما بذلت من الجهد سأكون مثل لعبة الأفعى والسلم .. لن أستطيع الوصول إلى قمة السلم.

في عام 2003، وبعد فوز أمي في اليانصيب، ذهبت إلى تركيا واستقرت هناك، وأصبح التواصل بيننا قليلاً جداً لأنها اعتقدت أنني وقفت إلى جانب والدي ضدها، ولم ترغب في التعامل معي، ولكن في عام 2007 بدأت تراسلني من جديد. فقد اشترت شقة في تركيا، ووفقًا لِما ادَّعت أن الشقة تعود للمافيا التركية وكانوا يلاحقونها، قصص والدتي أصبحت أغرب فأغرب مع الزمن. وقالت إنّها مديونة للمافيا، وتحتاج إلى النقود التي وهبتني إياها

عندما ربحت اليانصيب. وكنت قد أعطيتها مبلغاً لا بأس به لتعود إلى الوطن لحضور جنازة والدها، ولكنها لم تكترث بالحضور وبقيت في تركيا.

وكذلك ادعت أمي أنها حامل بعد ولادتي إيليا بقليل عام 2007، وكان ذلك غريباً ومدعاة للسخرية، إذ أنها كانت في سن اليأس قبل رحيلها إلى تركيا. مبررةً ذلك بحجة قيامها بتلقيح صناعي.

ولم أصدق أي كلمة مما تقول، ولكنها أصرت على أنها حامل، وكانت تنهال عليّ بوابل من الشتائم لتشكيكي في أمر الحمل المعجزة. ولم يكن هناك الكثير من التواصل بعدما ذهبت إلى تركيا. وفي أحد الأيام إذا بها تقف في باب منزلي بشكل مفاجئ. وفي آخر مرة رأيتها كانت ضخمة الجسم ولكنها اليوم غدت هزيلةً جداً.

وراحت تقول بغضب: "أحتاج إلى النقود، لقد وضعت توأمين... وعليك إعطائي النقود وإلا لا أعرف ماذا سأفعل" وأجبتها " أنت نحيفة كالمجرفة فكيف لك أن تضعي توأمين؟ وأين هما إذا كان حقاً ما تقولين؟" فأجابت "إنهما في العناية المشددة" وهنا رن هاتفها ولكنها تجاهلته، فقلت لها: "ألا ترغبين في الرد على المكالمة؟"، فقالت "لا، لا أرغب في ذلك"، فسألتها "من المتصل؟" فأجابت "ذلك ليس من شأنك" ثم قالت "إذا كان عليك أن تعرفي فعلاً ذلك فهو "علي" شريكي التركي"، فقلت ساخرة "أما كان عليك أن تجيبي على المكالمة فقد تكون حول التوأمين"

وظلت تحدق بي ولا تجيب على المكالمات كلما رن الهاتف. فقلت لها "أمي، إن كنت فعلاً قد ولدت توأمين فيتوجب عليك أن تجيبي على مكالمة هاتفية من تركيا فلعلها من العناية المشددة هناك" فأجابت بصرامة "لا تخبريني بما يجب فعله، إن كنت فعلاً تهتمين بما يجري فعليك إعطائي المال وسأتركك وشأنك." فقلت لها "" أمي، ليس لدي مال. لقد أعطيتني المبلغ حينها كهدية، ورحت تطالبينني بإعادته لك بعد ذلك بلحظات، وتعلمين أني قد أنفقته على شراء البيت، وترتيب أمور العائلة لولادة إيليا، وأرسلت إليك مبالغ كبيرة كي تحضري وفاة جدي"، فأجابت "أنا هنا للحصول على المال وليس لتبرير ما أطلبه منك" وكان الهاتف يرن باستمرار، فقلت لها أخيراً "عليك أن تغادري، اخرجي من هنا. في حال أردت أن تقابليني والتكلم معي فسأفعل ولكن ليس هنا". غادرت دون أن نتفق على لقاء آخر، وعلمتُ أنها قضت معظم فترة وجودها في انكلترا في تسوق أشياء ثانوية مثل البيكيني والفساتين، وليس تلك سلوكيات من ولدت توأمين في العناية المشددة. وعادت إلى تركيا، وأخبرت أصدقائي أنها تريد إجراء محادثة هاتفية معي من خلال خدمة سكايب عبر الانترنت، فقبلت وحالما ظهرت على الشاشة كنت أرى رجلاً خلفها. وأخبرتني أن أحد التوأمين قد توفي بسبب مشاكل تنفسية، كما أنها حاولت إثارة عواطف الأمومة عندي، وجعلتني أعيد التفكير، ماذا لو كانت تقول الحقيقة؟ ورغم شبه استحالة ولادة التوأمين

كنت أتساءل ماذا لو؟ وكان هناك طفل سمين في حضنها ولم يبدو أنه من ولادة مبكرة. وقالت لي" أحتاج المال لتسديد ديوني وإلا سنضطر للعيش في خيمة وسط الصحراء إن لم أفعل." وكانت تدخن باستمرار خلال المقابلة على سكايب. فقلت لها "ليس لدي المال، عودي إلى هنا وسأوفر لك المسكن والطعام ولكني غير قادرة مالياً على إرسال نقود إليك."

ويبدو أن الرجل في الخلفية قد استشاط غضبًا، وكان يملي عليها ما تقول. شعرت بالشفقة عليها مرة أخرى فقد كانت تحت سيطرة ذلك الرجل الذي كان على مايبدو يرغمها على فعل وقول ما يريد" فقالت: "لا أستطيع العودة، القوانين هنا مختلفة والرجل هو من له حق رعاية الأطفال، وبذلك سأفقد طفلتي. أنا موجودة هنا بشكل غير شرعي وإن علمت الدولة بوجودي سيطردونني من البلد." فأجبت "أليس ذلك ما ترغبين فيه؟ ألا يعني ذلك ابتعادك عن الرجل مع طفلتك؟" فقالت " الأمور ليست كذلك هنا، أنت لا تفهمين أي شيء." فقلت "ألا يمكنك الاستعانة بالسفارة البريطانية هناك؟"

وبعدها وصلتني رسالة الكترونية منها تقول "أنت إنسانة سيئة ولم تقفي إلى جانبي أبداً، أنا لا أفهم لماذا لا تساعدينني وترسلين إليّ المال. تعلمين أنه عليّ أن أقتل نفسي وابنتي لأبتعد عن أولئك الأشرار، فليس لي خيار آخر وكل ذلك سيكون بسببك".

فأجبتها "أمي لا يمكنك الاستمرار بالتلاعب بعواطفي،

توقفي عن ذلك أرجوك، لقد أخبرتك ما عليك فعله، وعليك تحمل المسؤولية، عودي إلى هنا وسأساعدك"، ولم تصلني منها أي إجابة.

وفي أحد الأيام كنت أمشي مع ابنتي إيليا إلى المدرسة نراقب البط في البحيرة، وأرادتْ أن تسبح مع البطّ، وكان ابني تشارلز في طريق العودة إلى البيت من رحلة قام بها. وعندما وصلنا إلى البيت وجدنا والدة بيت في انتظارنا، فانتابني شعور بأن هناك شيئاً محزناً قد حدث، لكنها أتت لتخبرني بأن والدتي قد عادت إلى انكلترا وأنها قد زارتها.

قالت "أمك في وضع سيء وعليك رؤيتها".

فقلت "هي تريد بعض المال.. أليس كذلك؟"

فقالت "نعم هي تريد ذلك وهي تحتاج إلى المال عزيزتي".

سألتها: "وما هو المبلغ الذي تدعي أنني مدينةٌ به لها؟"

أجابت: " أربعون ألف جنيه"

فقلت: " يا إلهي، المبلغ يزداد باستمرار عند كل رواية تقصها عنه. سأريك ما أعطتنيه وما استردت مني. ليس لدي ما أعطيها فوق ذلك، يمكنها العودة والإقامة معي وسأتولى طعامها وشرابها".

أنهت والدة بيت حديثها بالقول: "إليك رقم هاتفها إذا شئت التحدث معها".

وكان جوابي: " لا أقوى على ذلك لأنها في كل مرة أتحدث إليها تتلاعب بي عاطفيّا، كما لو كنت طفلة، لقد كبرت الآن وأصبح لدي أطفال يجب عليّ العناية بهم."

كانت لورا ضد عدم التحدث مع أمي التي بدت لها ولابني جيمس جدة جيدة، وهما لم يشهدا الجانب الشيطاني منها قبل ذهابها إلى تركيا. وقالت لي لورا: "عليك الاتصال بها قد تكون بحاجة إليك."

فقلت للورا: "اتصلي أنت بها إذا شئت، ولكن كوني على حذر فهي سوف تتلاعب بعواطفك إنها فقط تسعى وراء المال."

أرسلت لورا لأمي رسالة نصية وتأكدت عندها أن ما قلته عن أمي كان حقيقة إذ أجابتها أمي بعدة رسائل كانت تطلب فيها المال ولم تبد أي اهتمام بفريا طفلة لورا، ولا بما كانت لورا وابنتها تمران به من صعوبات. وكل ما قالته لها هو "حسناً أنا مفلسة لا أملك شيئاً، هل يمكنك مساعدتي؟"

وعرضت لورا على أمي أن تأخذها إلى مخازن الجمعيات الخيرية حيث يقدمون السلع مجاناً أو بسعر زهيد جداً، لكن أمي لم ترد ذلك. ومرة أخرى شعرتُ بالإحباط وبأن دماغي على وشك الانفجار.

لقد تعلمت من خلال ذهابي إلى الجامعة بعض الأمور عن اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD). وحتى تلك المرحلة كنت أسمع عنه فقط عند وضع الجنود في

خطوط النار، وأنّهم يعودون إلى حياتهم الطبيعية بعد العودة من الحرب. أما أنا فكنت في وضع الكفاح للبقاء على قيد الحياة فقط، بدون استراحة ولم يكن الأمر يتعلق بحادث مفجع واحد فقط، بل توالت تلك الأحداث الواحد تلو الآخر، بحيث كنت في حالة (PTSD) معقدة.

ومعرفتي بذلك كان من المفترض أن تكون "دعوة لحمل السلاح للدفاع عن النفس"، لكنني كنت أعيد بناء نفسي وأكرر التجربة مرة بعد أخرى، وبقيت في الدوامة.

وفي يوم من الأيام، كنت أتابع على موقع ماي سبيس رجلا اعتدت متابعته يسمى رجل الموسيقى كان يروج لفرق موسيقية غير رسمية، ونجح في تشكيل مجتمع ظريف من محبي الموسيقى يتحادثون حولها. كنت قد تعرفت على عدد من الناس في مجال صحافة الموسيقى فشكلت جماعة منهم سميتها "مهووسو الموسيقى" في منطقة ميدلاند، وحجزت في برنامج المجموعة وقتاً لعشر فرق موسيقية شعبية كل شهر. وكنت أبحث في الانترنت عن حفلات موسيقية، و في برامج الإذاعة وبرامج التلفاز، وأعلن عن فرص للفرق الموسيقية لتعرف عن نفسها. فكانت هناك الكثير من الفرق الموسيقية التي تتصل بي وأضعها على لائحة الانتظار لتقديم عروضها التعريفية. وكانت محطات الراديو أيضاً تتابع صفحة إعلاناتي.

وهكذا استرجعت اهتمامي بالموسيقى الذي كنت أحبه في مقتبل العمر. وأصبح لي موقع على الانترنت وصار

لدي مساعدون يذهبون إلى الحفلات الموسيقية المتنوعة لصالحي، من مصورين وناقدين. وبدأت أتمتع ببعض النشاطات الاجتماعية وببناء صداقات من خلال حضوري تلك الحفلات بنفسي. وأصبحت المجموعة شبكة رائعة من المهتمين بالموسيقى، وطورتها من لا شيء إلى حدّ أن أحد الناقدين من المجموعة أطلق برنامجاً إذاعياً وكان يبيع إعلانات على موقع المجموعة. فكانت صفحة جديدة في حياتي وطريقة للهروب مما أعانيه في أعماقي، وأيضاً أسلوبا في وضع قناع وإخفاء الأمور إذ أصبحت في تلك المرحلة مدمنة على تناول الكحول. بدأت شرب الكحول من عمر 12 أو 13 سنة بدافع المراهقة، ولكني اليوم أفعل ذلك لإخفاء الأمور. ووصلت الحال إلى مرحلة خطيرة إذ كنت أغيب عن الوعي أحياناً، وفي إحدى الحالات التي ذهبت فيها لحضور حفل ومشاهدة إحدى الفرق الموسيقية في عام 2014، في فترة ما بعد الظهر، كنت مخمورة إلى درجة أنني لم أتذكر ما حدث حتى الحادية عشرة ليلاً. واستفقت وكانت هناك أنوار ساطعة حولي فحسبت أنني لقيت حتفي لكني في الواقع كنت في خيمة الإسعاف للحفل. وتلك الحادثة كانت بمثابة دافع لإدراك الواقع. وسألت نفسي: ماذا تفعلين بنفسك يا عزيزتي؟ فقد كنت مسؤولة عن طفلين تركتهما في البيت برعاية ابنتي لورا. فتوقفت عن شراب الكحول، ولكن كان ذلك نهاية رحلة النشاط الموسيقي أيضاً.

أنجبت لورا حفيدتي الأولى فريا عام 2011، وبعد 11

يوم هُرع بها إلى العناية المشددة، وتبين أن أمعاءها ملتوية، فأجروا لها عمليةً جراحية، وكان عليها أن تبقى في المستشفى لستة أسابيع، وكنت أنا من يشرف عليها.
وفي عام 2014، بدأت أقوم ببعض الأعمال التطوعية مرة أخرى مثل العمل مع المجرمين المفرج عنهم حديثًا (وليس مرتكبي الجرائم الجنسية). كنت أحاول دائماً مساعدة الأخرين بدلاً من مساعدة نفسي، كنت أساعدهم على إيجاد مسكن، وأعطيهم حزمة من الأشياء الأساسية ليبدؤوا حياتهم بها، وأساعدهم في الحصول على مساعدات الضمان الاجتماعي، وأذهب معهم إلى مقابلات التوظيف، وعندما لا يحصلون على المال يعودون إلى التفكير بارتكاب الجرائم مرة أخرى لإطعام أنفسهم. أو كانوا يرحلون إلى أماكن بعيدة عن مكان أسرهم.

ويبدو أن نظام معالجتهم التقليدية قد صمم ليفشل، فقمت أن بفعل كل ما أقدر عليه لتغيير ذلك. وتذكرت إدارة « الخدمات الاجتماعية لدعم حالات الاغتصاب والانتهاك الجنسي التي تعاملت معها في حالتي وتمنيت لو أنه بالإمكان تقديم المساعدة.

وفي تلك المرحلة أيضاً، سعيت للحصول على سجلاّت الخدمات الاجتماعية المتعلقة بي شخصيّا علها تساعدني على تذكر ماضي، وأردت محاولة مواجهة الأمور ومساعدة نفسي كما أساعد الآخرين. أرسلوها لي بدون أي تردد على غير المعتاد، ولم أكن متحضرة لما قرأت فيها، كان ما جاء في السجل فظيعاً جعلني أبكي بشدة وشعور الألم

يعترينـي، ولـم أكـن لأتصـور مـا كُتـب فـي السـجل. فقـد سـردوا كل مـا اسـتطعت تذكـره بـكل وقاحـة «أبيـض وأسـود» لقد كان ذلك انتهاكاً شنيعاً لخصوصيتي.

21

متخفياً تحت اسم جديد ولكننا نعلم من هو

كانت أكبر الصدمات في ذلك الملف والتي أصابني بالذهول هو ما ذكروه من أن أمي سمحت لتيري بالعيش معنا وتركتني معه لوحدنا مرات كثيرة رغم أنها تعرف جرائمه السابقة.

وأيضاً صُدمت لأن أغلب حديث الملف كان عن الأمور المالية، وليس عما تعرضت له من انتهاكات. وذكروا أنهم شاهدوا تيري عندنا، ولكن طلبوا من والدتي تصحيح أمورها المالية، أولاً قبل أن يتدخلوا في أمور أخرى، فكان اهتمامهم الرئيسي هو الأمور المالية. وقالوا إنهم أرسلوا رسائل كثيرة إلى أمي ولكنها تجاهلتها. وكان هناك الكثير من التفاصيل عن حياتنا المالية، والقليل القليل عن حقيقة وجود مرتكب جرائم جنسية (وقاتل قد طعن

شخصا ٤٠ طعنة حتى الموت) مع طفلة صغيرة في نفس البيت. فأشعل الغضب الذي شعرت به، عند قراءة ما جاء في الملف، النار في رأسي ورغبت في فعل شيء حياله.

وفي عام ٢٠١٤، تواصلت مع محامي في مدينة مانشستر شاركني الرأي على أنها بوضوح جريمة اعتداء جنسي على قاصرة، وهناك إثبات على أن الخدمات الاجتماعية شاهدت المجرم «تيري برايس» في بيتنا ومع ذلك لم تفعل شيئاً حيال ذلك، نظراً لعدم تعاون والدتي معهم في أمورها المالية. وكذلك ذكروا أن سلطة مراقبة المجرمين المطلق سراحهم تحت التجربة كانت قد اتصلت عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٢ بمصلحة الخدمات الاجتماعية في منطقة أستون، وأخبرتهم بوجود رجل شاذ جنسياً مع طفلين صغيرين، ولم يأخذوا أي تدبير معاكس للحماية مقابل ذلك.

وقد أُرسلت التقارير إلى موظف خدمات اجتماعية سابق، وأخبروني أن أحد أبرز العلماء النفسيين سوف يقوم بتقييم حالتي النفسية. لكن كل شيء كان يؤجل باستمرار لأن منظومة الخدمات الاجتماعية كانت مكتظة بالتقارير، بعد انكشاف فضيحة جيمي سيفل الشخصية الإعلامية المشهورة في انكلترا خلال تلك الفترة، ولكن في النهاية وبتكليف من المحامي الذي اعتمدته، تم إنجاز التقرير من قبل أخصّائيّة اجتماعية مستقلة وقالت فيه إنّه لا يوجد دليل واضح على وجود آثار طويلة الأمد

جراء الانتهاك الجنسي المذكور، فكتبت إلى محاميي بعدها، وأخبرته كم أنا مذهولة من التقرير وأنني أشك في فهم الموظفة لما كانت تقرأه عن الحادثة.

ونصحوني برفع دعوى قضائية ضد مجلس مدينة بيرمنغهام إذا أردت اعترافاً بسوء تعاملهم مع قضيتي.

في هذه الأثناء كنت أتابع تدريباً لمدة عشرة أسابيع مع جماعة خدمات دعم ضحايا الاغتصاب والانتهاك الجنسي، وبدأت أتعلم أشياء أكثر عن الانفصامية وعن اضطرابات ما بعد الصدمة:PTSD

وبدأت أتعلم أشياء عن نفسي وعن المشاكل التي تعرضت لها، و لم أعرفها من قبل ولم أعرف حتى أسماءها، فلم أكن أعرف معنى الانتهاك الجنسي قبل أن أعاني منه. وكان ذلك مفردة جديدة في قاموسي، وفي نفس الوقت كان هناك تحذير لي بأنه عند اتباعي لتلك الدورة التعليمية سأكون عرضة للصدمة مرة أخرى وسأتأثر بها حتماً.

وعندما أنهيت الدورة وأصبحت مؤهلة لاستشارات الدعم النفسي، وبدأت الزبائن تتوارد عليّ كنت في المستوى الثالث(مختصّ في استشارات الدعم النفسي)، كما التحقت بدورة في الاستشارات النفسية لدى الجامعة نقلتني إلى المستوى الرابع بعد سنتين، حيث أصبحت مستشارة نفسية معتمدة.

وفي بداية الدورة لم أدرك أني عدت إلى مرحلة

الصدمة، بل على العكس، شعرت بالقوة والشجاعة وقررت الذهاب إلى الشرطة وأنا واثقة من نفسي، نعم يمكنني فعل ذلك.

اتصلت بشرطة منطقة شمال واركشاير مرة أخرى عام ٢٠١٥، فقد أردت أن أتابع الموضوع في المكان المتواجدة فيه، رغم أني أعلم أنهم سيحيلون الملف إلى شرطة منطقة أخرى. وكنت أشعر أن جسدي كان يتهاوى. في كل مرة أذهب إلى مركز الشرطة.

وفي هذه المرة أعطوني موعداً للقدوم إليهم، والتحدث إلى شرطية هناك، وهكذا فعلت، واستمعت الشرطية لأقوالي وسجلت ملاحظات وقالت: « نحتاج إلى إجراء « الحصول على أفضل دليل –ABE“، وعليك العودة مرة أخرى وسوف نتعمق في الموضوع أكثر.

ولم أكن لأدرك أن عالمي كله سينكشف في إجراء ما سموه ABE، حيث أصبحت أشبه ما يكون بالسيدة باندورا التي دفعها فضولها إلى فتح صندوق مصائب العالم (Pandora’s box).

(باندورا هي سيدة ورد اسمها في أسطورة يونانية دفعها الفضول إلى فتح صندوق في عهدة زوجها فاندفعت منه شياطين جميع أنواع اللعنات الجسدية والعاطفية على بني البشر).

وقد أدركت ضخامة كمية المعلومات التي كان عليّ سردها للشرطية بعد جلسة أولى قصيرة. وكان عليّ أن

أوثق أقوالي من خلال مقطع فيديو. وطغت ذكريات الماضي على أفكاري من جديد، ولكن عليّ الآن أن أعود الى الشرطة، وأعطيهم تفاصيل ما حدث. وكنت أخشى أن أنسى ذكر بعض الأشياء الهامة رغم أن ما رغبت في إخبارهم عنه كان حاضراً في رأسي في أول مقابلة – التي استمرت لمدة ثلاث ساعات – وجميعها كانت عن مغتصبي تيري برايس.

وخلال مقابلة الفيديو الأولى كانت الشرطية لطيفة جداً معي، وكانت المقابلة في مكان لطيف أيضاً يشبه غرفة صالون مريحة، وحرصوا على تهيئة جو مريح وأعطوني الفرصة للتكلم طوال تلك المقابلة بالوتيرة التي أردتها. وأعطوني فترات استراحة عندما كنت أشعر بالاحتقان، وكانت الشرطية مهتمة بما أقول طوال الجلسة.

وفي نهاية الجلسة قالت الشرطية «هذا مهم جداً ديلّا، سأعمل على طباعة كل ما صرحتي به اليوم، وسوف أذهب بنفسي الى مدينة بيرمنغهام لتسليمه للشرطة هناك»

وبعد سماعي عبارتها «هذه الأقوال مهمة جداً» تخيلت أني سأحصل أخيراً على نتيجة فقد كانت أول إنسان يقر بعظمة انتهاكي وأهميته. لكن الأمور فعلياً لا تجري على هذا المنوال في روتين الدولة.

وبعد تحويل التقرير إلى شرطة غرب ميدلاند استغرقوا

شهرين كاملين للاتصال بي على عكس ما توقعت (نظراً لأهمية ما ورد في التقرير حسب تقييم الشرطية)، وكان عليّ أن أبادر بالاتصال بهم، وكذلك كانت سلسلة الاجراءات خلال القضية، بطيئة ومنهكة.

وفي أحد الاتصالات الهاتفية معهم قال لي أحد من شرطة المباحث هناك: «نحن نعرف من هو الشخص الذي اعتدى عليك جنسياً، نحن نعرفه ولكن اسمه لم يعد «تيري برايس» الذي ذكرتيه في تقريرك»، فصدمت لقوله ذلك وسألت «ما هو اسمه الآن إذن؟ « والجواب كان صادماً أكثر « هو يعيش الآن باسم روبرت ماكيوان»، أي أن «تيري برايس» اختفى كلياً ولم يعد له وجود. كنت تواقة إلى معرفة اسمه الجديد فسألت «لماذا غير اسمه؟ هل ارتكب جرائم أخرى؟ ما هو اسمه الجديد؟»، فكان جواب شرطي المباحث « مع الأسف لا أستطيع إخبارك بذلك»

ولم أكن أعلم أن بإمكان المجرمين تغيير أسمائهم بهذه السهولة، هل فعل ذلك للهروب من العدالة؟ فأنا أعرف أنه كان مداناً بقضايا جنسية عندما عاش معنا وأيضاً كان مداناً بجريمة قتل ومتهم بجرائم أخرى عديدة. وأعرف جيداً أن «تيري برايس» هو من ارتكب جميع تلك الجرائم، والآن لا يوجد شخص اسمه «تيري برايس».

شعرت برأسي ينفجر، إنه «روبرت ماكيوان» الآن، فكم من الجرائم قد ارتكبها بين الاسمين، فسألت الشرطة

«هل سُمح له بالزواج وبناء أسرة ؟ « وكان الجواب أيضاً «آسف لا أستطيع إعطاءك تلك المعلومة».

وتساءلت «لماذا أعطوني بعض المعلومات عن الرجل؟ وفتحوا الباب قليلاً لأعرف ما حل به ثم أغلقوه في وجهي؟»، وفي كل مرة كان المحقق يقول «آسف ديلّا» كان يذكرني بالوقت الطويل الذي قضيته أبحث عن «تيري برايس» من خلال جماعة لم شمل الأصدقاء، ومن خلال شبكات التواصل الاجتماعي، ولا عجب أني لم أعثر عليه، فلقد تخلص من كل ما يتعلق بتلك الشخصية، وأصبح اليوم شخصاً آخر بالاسم فقط.

وكل ما أستطيع قوله آملة أن يبعث ذلك راحة نفسية عندي هو أنه في سجن من نوع آخر اليوم. فكون الشرطة عارفة بهويّته قد يمنعه من ارتكاب جرائم جديدة بعد اليوم. ولكن المفارقة التي تحضر هنا أنه يستمر في لعب ورقة السلامة العقلية، فهو يتنقل بين وحدة السلامة العقلية والسجن المركزي باستمرار.

يا إلهي!!! هو في السجن الآن ماذا يمكن أن يكون قد فعل هذه المرة !!! ومن هم ضحاياه الجدد؟ وهل مازال قادراً على التلاعب بالنظام، فهو لم يتغير إذن. فكان كلما يحضر للمساءلة عن جرائمه يلعب ورقة «غير سوي عقلياً للمحاكمة»، لقد كان يعرف ثغرات النظام وكيف يمكنه الإفلات من العقوبة.

وأخيرا أخبرتني الشرطية «أنه في السجن بسبب

تحرشه الجنسي بإحدى بناته، لكنه مقبل على إفراج مشروط فهو إما أن يتحمل مسؤولية التهم الجديدة التي وجهتها له. أو ينكرها فلا يفرج عنه».

في البداية كنت مسرورة أنه في السجن، لكنه استخدم بطاقة «غير سوي عقلياً للخضوع لمحاكمة» وقالت الشرطيّة: بأن حالته الصحية قد تدهورت كثيراً.

شعرت بخيبة أمل صادمة من نظام القضاء عندنا ولم أعلم ما إذا كان سيدان حتى بالنسبة للجريمة التي ارتكبها مؤخراً.

22

المحاكمة

في عام 2015 لجئت إلى الشرطة، لكن تيري لم يحكم عليه حتى عام 2017.

وخلال تلك الفترة انهارت حياتي كلها. عانيت من اضطرابات ما بعد الصدمة PTSD كثيراً، فلم أكن قادرة على النوم، وكنت مسكونةً بالغضب الشديد، إلى درجة أنني كنت أشعر بأني شخصية أخرى. كنت أضرب على الطاولة في كثير من الأوقات كما لو أن هناك طاقة تريد الخروج من داخلي. ولم أكن قادرة على التركيز إذا كان هناك أدنى صوت حولي، ولا أتحمل وجود أحفادي يلعبون بالقرب مني. وبدا أن كل شيء أصبح مشحوناً، وأن كل الأحاسيس والاحباطات التي دفنتها عادت إلى الظهور من جديد، الكوابيس واسترجاع الآلام أصبح في ذروته.

في عام 2016، قامت الشرطة باستجواب من أسميه دوماً "تيري برايس" ولكن ليس لوقت طويل فقد لعب

ورقة السلامة العقلية "غير سوي عقلياً" للمحاكمة، ووُضع في قسم الأمراض العقلية للشرطة مع منع الاستجواب.

وعلى عكسي تماماً، حصل على كامل دعم الصحة العقلية المتوفرة. وتابعت أنا عملي في الاستشارات النفسية وحضور الجامعة حتى بداية 2016. وكانت حالات استرجاع الماضي مروعة وصحتي النفسية والجسدية تتدهور.

وبينما كنت أماً تتحمل مسؤولية الحفاظ على البيت والعائلة، وتأخذ أحفادها لتوصلهم إلى المدرسة، وأشياء أخرى أساسية للاستمرار في العيش، لم تكن لدى تيري برايس أي من تلك المسؤوليات.

كنت أتوقع من كل مكالمة هاتفية أتلقاها، أن تكون تأكيداً للحكم على تيري برايس. وما كنت أعتقد أن الشرطة تتعمد إبقائي في حالة القلق والترقب والانتظار المريعة هذه.

وفي ذكرى ميلادي عام 2016 ،اتصلوا بي وأعطوني تحديثاً عن الإجراءات التي قاموا بها، ولم يكن فيها أي شيِّءِ هام. وكان عليَّ التعايشُ مع الوضع، وأن أقضي فترة عيد الميلاد والصيف الذي تلاه كالمعتاد، لكني فقدت السيطرة وتملكتني هواجس الصدمة، ويجب عليّ انتظار الآخرين لاتخاذ القرارات بدلاً عني. كنت أشعر بالألم عند جلوسي، وإذا خلدت إلى النوم خلال مشاهدتي

التلفاز يظن أطفالي أني أصبت بنوبة لأني كنت أصرخ خلال النوم. وكانت طفلتي إيليا تستيقظ من صراخي وترى حالتي، فكنت أشعر بالذنب جراء جعلها تراني بهذه الحال.

لا أريد الخوض في تفاصيل أكثر، وأكتفي بالقول أني كنت أمر بحالات من فقدان الوعي. وكنت أخفي الأمور رغم معرفتي بأني فقدت السيطرة على جسدي وأفكاري. كنت أظن أني قادرة على التعامل مع الوضع لكنَّني لم أستطع ذلك.

وبعد ستة أشهر صممت على الاتصال بالشرطة، فقد أصبحت كالمجنونة، وأحتاج أن أتكلم مع شخص ما. تم تحويل مكالمتي إلى "مستشار مستقل في العنف الجنسي".

وفي يناير 2017 ، وبعد اجتماعي مع إدارة الملاحقة القضائية الملكية قرروا أخيراً إدانة "تيري برايس". وجاء الخبر دون سابق إنذار، إذ كنت في المستشفى أجري بعض الفحوصات عندما اتصلت بي شرطية المباحث وأخبرتني بالأمر: "عندي لك أخبارٌ جيِّدةٌ يا ديلّا، لدينا إدانات على المجرم، دعيني أقرأها لك". كنت في مكان عام في ممر في المستشفى عندما سردت الإدانات ضد "تيري برايس". ولم أستطع أن أقول لها "ليس الآن" لأني كنت انتظر تلك اللحظة منذ زمن طويل.

وكنت ممتنة لها لإرسالها التفاصيل بالبريد الالكتروني

بعد ذلك، وذلك كان حدثاً هاماً بالنسبة لي، لقد ادعوا عليه بستة اتهامات. وكان كل ما عليّ فعله الآن هو الاسترخاء والانتظار.

وبعد أسبوعين وجدت رسالة من إدارة الملاحقة القضائية عند باب المنزل. كان تاريخ الرسالة قبل يومين من وصولها إليّ. وكانت كلها سرداً للواقع الذي عانيت منه وجاء فيها ما يلي:

عزيزتي السيدة رايت:

بشأن دعواك ضد السيد ماك (المعروف سابقاً باسمين "روبرت ماكيوان" و "تيري برايس") . يطلب منك الحضور إلى محكمة التاج في بيرمنغهام، أكتب لك لتأكيد وجوب حضورك إلى المحكمة للإدلاء بشهادتك.

وقد مثل السيد ماك (المعروف سابقا باسمين "روبرت ماكيوان" و "تيري برايس") أمام محكمة التاج في بيرمنغهام يوم 19 أبريل 2017 متهمًا بالجرائم التالية:

- إجبار طفلة عمرها ١٤ سنة على فعل الفاحشة.
- اعتداء فاحش على فتاة دون عمر السادسة عشرة.
- اعتداء فاحش على فتاة دون عمر الرابعة عشرة.
- وتهمتان إضافيتان أيضاً.

وهو لم يتقدم بعد باعتراض بشأن هذه التهم. وستكون هناك جلسة استماع يوم ١٥ يونيو ٢٠١٧ في محكمة التاج في مدينة بيرمنغهام. واستباقاً لطلب المتهم تبرئته من التهم المنسوبة إليه، تحدد تاريخ المحاكمة يوم ١٥ يونيو ٢٠١٧، وإذا لم يلتمس المتهم البراءة عندها فلن تكون

هناك محكمة، وسيصدر الحكم عليه. وأما في حال الالتماس فستتم محاكمته. المتهم في قبضة العدالة الآن، وإذا سارت الأمور باتجاه المحاكمة فستبدأ يوم ١١ سبتمبر ٢٠١٧ في تلك المحكمة، ويتوقع أن تستمر لمدة ٤ أيام.

وكان هناك تحذير من أن هذه التواريخ يمكن أن تتغير، وأعطوني اسم شخص عندهم للتحدث معه إذا شئت.

وكنت متأكدة أنه سيدعي براءته كي لا تفوته فرصة زجي في معمعة المحاكمة.

ولم أستطع الالتجاء إلى استشارات قانونية لأنها يمكن أن تستعمل ضدي حسب نصيحة الشرطة «لقد وصلت إلى هذه المرحلة فلا تفعلي شيئاً يمكن أن يستعمل ضدك فعند محاميه الحق بطلب جميع الاستشارات التي حصلت عليها، كما قد تبدين أنّكِ من يحاكم وليس تيري برايس.»

وكان عليَّ أن أواجه حقيقة أنه سيستخدم مرة أخرى ورقة «غير سوي عقلياً للمحاكمة». وقد أُحضِر إلى محكمة القضاء في مارس ٢٠١٧، كخطوةٍ معتادة في طريق نقل القضية إلى محكمة التاج. وستكون فقط جلسة استماع لطلب العفو، ولم يبلغوني ما حصل هناك. وفي اليوم التالي اتصلت بي هيئة دعم الضحايا لتعلمني أن هناك تأخيرات وروتين إداري، وأخبرتهم «أنني لا أقدر على النوم ولا حتى على التنفس». وكان عزاؤهم لي «لا

تقلقي إنه أمر روتيني فقط، ومن غير المهم إذا كان سيقر بالذنب أم لا، فالقضية ستذهب إلى محكمة التاج في كل الأحوال وسيكون هناك موعدٌ آخر»

والموعد الآخر يعني شهراً آخر من القلق والانتظار «.

لقد اعتدت على الخذلان طوال حياتي، وفي أحد الأيام بعد الانتظار الطويل تلقيت اتصالاً من دعم الضحايا:

- قالت: « تم تحويل قضيتك إلى المحكمة اليوم، ولكن تيري لم يكن قادراً على تقديم التماس».
- فقلت: «وكيف ذلك بحق السماء؟»
- فقالت: «لقد غير اسمه مرة أخرى»
- فقلت: «وما هو ذلك الاسم».
- فقالت: «اسمه الآن السيد ماك»
- فقلت: «يا للجحيم إنه في السجن فكيف يمكنه فعل ذلك؟»
- فقالت: « له الحق في ذلك وهو يصر على تغييره وعلى أن يخاطب بالاسم الجديد فقط ولا نستطيع إدانته لأن التهم موجهة إلى شخصٍ آخر».

أصابني انهيار ووقعت على الأرض وسماعة الهاتف مازالت بيدي وأنا اصرخ « لا أستطيع الاستمرار في هذا، ماذا يعني أنكم لا تستطيعون إدانته الآن؟ « . لقد كانت مهزلة واستهزاء بكل شيء. وكأن «تيري برايس» يمارس مشهداً لترفيه الأطفال. فقالت « سأجعل الشرطة تتصل بك».

وبالفعل اتصلت بي الشرطة بعد بضعة أيام وأخبروني أن باستطاعتهم الاستمرار في القضية، ولكن عليهم أن يبدؤوا من جديد بكل الأعمال التي قاموا بها لتصبح بالاسم الجديد الذي اخترعه لنفسه.

«نحن نعلم أنه يمارس لعبة قذرة، وقد حددنا موعداً لدى محكمة التاج منذ اليوم. وذلك في سبتمبر القادم».

وكان على «تيري برايس» أن يعود إلى المحكمة باسمه الجديد. وادعى بأنه غير مذنب كما كان متوقعاً. وكانت هناك لحظات فكرت فيها بعدم الاستمرار في القضية حفاظاً على صحتي العقلية، ولكنني تابعت وساعدني وجود مستشارة مستقلة في العنف الجنسيIVSA معي.

وطلبت أن تكون المحاكمة عبر شاشات تلفزيونية لأنني توقعت أن يكون هناك ولن أتحمل رؤيته، وما رغبت أن يراني هو أيضاً.

ذهبت مع والدي إلى المحكمة قبل موعد المحاكمة. وكان والدي داعماً لي وبشدة في هذه المرحلة، ولم تكن أمي كذلك. وكنت أرى على وجهه معالم الشعور بالذنب، وقال لي بكل اعتذار «لقد حاولت جاهداً الحصول على حكم برعايتك في طفولتك لكنني لم أستطع ذلك بسبب الإدانات الاجرامية». فكانت تعزيتي لوالدي «أعرف ذلك تماماً يا والدي».

ولم تكن أمي داعمة لي وقتها، ولكنها كانت ستدعى إلى المحكمة كشاهدة ولم أرغب في ذلك. كان والدي

معي على الدوام في تلك الظروف، وأخبرني « أنا أجري اتصالات هاتفية باستمرار محاولاً مساعدتك، و في أي لحظة تحتاجينني فيها سأكون هنا إلى جانبك. لم أكن كذلك في الماضي، ولكن أريدك أن تعلمي أنك أغلى شيءٍ في حياتي اليوم، وأريد أن أبرهن مقدار حبي لك رغم أني قد خذلتك في الماضي.»

لم أكن أشك في عواطفه، وفيما يقوله لي، وفي رغبته في حمايتي، وأنه كان يحاول التعويض عن إهماله لي في الماضي، غير أني لم أرغب في تحميله أعباء المشاكل التي تحصل لي.

كنت خائفة جداً من ملاقاتي تيري خلال المحكمة. وقد جرت العادة أن المدعي يقابل المحامي صباح يوم المحكمة فقط. كان المحامي الذي عين ليّ لطيفاً جداً لكنه أخبرني أمراً لم أكن متحضرة له «تيري لن يحضر المحكمة اليوم»

«ماذا تعني»

«هو خاضع لمعالجة خاصة مرة أخرى ؟»

«يعرفون بأنه مجرم خطير، وليس لديهم مكانٌ محصنٌ لحجزه هنا»

«كيف يجرؤون على ذلك وكيف يجرؤ هو على فعل أي شيء هنا، ها أنا هنا، وأنا جاهزة، ولكنه يتملص مرة أخرى؟»

« ديلّا، لقد بلغنا هذه المرحلة ونرغب في إنجاز

الموضوع قبل أن يعود إلى لعبة صحته العقلية مرة أخرى، إنها فرصتنا نريد أن نتابع الموضوع»، وهكذا لم يكن لدي خيار إلا القبول بالوضع.

«حسنا، إذا لم يحضر هو فلا حاجة لي للإدلاء بأقوالي عبر الشاشة وسأذهب بنفسي إلى المحكمة.»

طوال اليوم الأول من المحاكمة حيث كانت قضيتي أول القضايا على اللائحة، مضى اليوم كله حتى الرابعة والنصف بعد الظهر في أمور إدارية وشكلية، وفي أداء القسم لهيئة المحلّفين، وأمور روتينية مشابهة، وعندها حان وقت إغلاق المحكمة وأخبرني المحامي «أن القضية لن ينظر فيها اليوم».

بدأت بالاسترخاء قليلاً، سوف أذهب إلى بيتي وإلى فراشي الليلة، وأحضر نفسي للغد. ولكن ما إن انتهى المحامي من كلامه حتى استدعوني إلى الدخول إلى المحاكمة، وعليّ أن أفعل ذلك اليوم وليس غداً. وتلك كانت أقسى تجربة محطمة للأعصاب في حياتي. وحضر القاضي وهيئة الحكم، وكانت هناك شاشة ضخمة وظهر عليها «تيري برايس».

لم أكن جاهزة لذلك الموقف، شعرت بالإعياء، يا إلهي! الآن أرى شكله ولم أرغب في ذلك. كنت في عمر العاشرة في آخر مرة رأيت فيها وجهه. كان يرتدي شعراً مستعاراً مثيراً للسخرية – أسودَ مجعد. وبدا كأنه المهرِج كوكو.

أدركت ما يحاولُ أن يفعله، كان يحاول أن يجعلني غير قادرة على التعرف عليه وأن يجعل القضية ستسقط. وشعرت بأنه يدوسُني بقدميه، وأنه يتقصد أن يجعلني أشعر بقلة قيمتي. سمحوا له بدخول المحكمة بهذه الهيئة المزرية.

حذروني أن مهمة محاميه هي محاولة إثبات بطلان إدعاءاتي وإيقاعي في تناقضات في أقوالي، ونصحوني بأن لا أدخل في أمور جدلية، وعندما لا أفهم شيئاً أو أتذكر حدثاً فعلي قول ذلك صراحةً.

مباشرةً عند ابتداء المحاكمة وقفت محاميتهُ وقالت: إنني خلطت بينه وبين أخيه.

فقلت «أنا لا أعرف أن له أخا، ولم أقابله». فلم تستطع الاستمرار في تلك المحاولة وذهبت إلى مسلك آخر، «أعتقد أنك تخلطين بين المتهم وبين زوج أمك ديريك. وكان ذلك مدعاة للسخرية « كيف لي أن أفعل ذلك، ديريك أسود البشرة من نيجيريا وتيري برايس أبيض البشرة من سكوتلاند !!»

فضحك أفراد هيئة التحكيم عندها، فصححت ليّ محاميته " إنه السيد ماك أرجوك"

أنا لن أدعوه بذاك الاسم أبداً، ولن أسمح له أن يفرض عليّ ما يريده، إنه تيري برايس بالنسبة لي وذلك هو اسمه الفعلي.

وكان تيري برايس" شنيعاً وقليل الأدب طوال الجلسة،

استطعت سماعه يتأفف طوال إدلائي بشهادتي. وذلك ما حدث في اليوم الأول قبل فض الجلسة.

كنت أرتجف عندما تركت الجلسة، وتوجهت إلى بيتي وصورة تيري برايس لا تفارق مخيلتي. وسأكون أول المستجوبين على المنصة في اليوم التالي، وكأنني أدرك مسبقاً ما سيحصل.

أخبرتني الشرطة أنهم كانوا يتوقعون نهج محاميته في مقاربة القضية، لكنهم لم يحذروني كي أكون طبيعية في إجاباتي. قالت لي شرطية التحقيق: " استمري في نفس النهج، فلقد أحسنت الصنع، وستكون الأمور على ما يرام".

"وماذا عن ذلك الشعر المستعار" تساءلت" كيف بحق السماء استطاع الحصول عليه في السجن؟ هل تقدم بطلب رسمي للحصول عليه وسمحوا له بذلك وبوضعه على رأسه في المحاكمة؟"، ولم يجد أحد أي مشكلة في ذلك.

نظرت شرطية التحقيق إلى زميلتها بعناية وقالت:" ديلّا، عندما ذهبت لاستجوابه في السجن كان على رأسه قبعة رعاة البقر ... هل عنده محل قبعات هناك؟ لا أدري"

ربما كان يستخدم ورقة سلامته العقلية مرة أخرى لإيهامنا بأنه شخص معتوه.

23

لا مكان للاختباء

قضيت ليلة بشعة. وذهبت في اليوم التالي إلى المحكمة، وتم استدعائي للاستجواب مباشرةً لمدة ساعة تقريباً. لم يكن يرتدي تيري برايس شعره المستعار، بل كان بشعره الطبيعي الداكن القصير. وبعد الإدلاء بشهادتي سمحوا لي بالخروج إلى القاعة العامة للجلوس مع والدي. ثم جاء وقت استجواب والدتي. وترنحت للدخول إلى قاعة الاستجواب وهي تتوكأ على عصا، ولم تلتفت نحوي عندما مرت بنا. وقد علمتُ أنها أخبرت الشرطة عندما استجوبوها "أنني شجعت تيري" في حين كنت في سن السادسة من عمري. يا للهول كيف يمكن لأم أن تقول إن طفلةً في سن السادسة طلبت الاغتصاب والانتهاك الجنسي.

وعندما سألتها المحكمة عن علاقتها بـ تيري ادعت أنها كانت على علاقة مع أخيه. كان معظم ما قالته أمي جديداً بالنسبة لي، ولا أتذكر شيئاً منه، وادعت بأنها تعرفت على تيري من خلال أخيه، لكنني أعرف جيداً عدم صحة ما تقول، وأنها تفعل ما تستطيع لتبرئة نفسها من المسؤولية.

بعد شهادة أمي تم استدعاء شهود التعريف بشخصية تيري، وكانوا قد مُنعوا من حضور إداناته السابقة تجنباً للتأثير على هيئة المحلفين، لكن شهود التعريف بشخصيته قالوا ما فيه الكفاية ضده.

في نهاية ذلك اليوم، تم استجواب تيري، وكان يرد بقلة احترام، حتى مع محاميته، لا أتذكر الأسئلة التي طرحوها عليه، ولكني رأيت كم كان وقحاً طوال الوقت، وأنه كان يدير ظهره لهيئة المحكمة ويترك منصة الاستجواب أحياناً.

وفي اليوم الثالث، كنت منهكة جداً. ولم أحضر الجلسات إذ أن المحكمة لم تعد تهتم بوجودي فقد انجزت مهمتي، وكان دور تيري للإدلاء بشهادته، ولم أرغب بسماعها، كنت أعلم أنها ستكون جملة أكاذيب. لكن عدم حضوري كان أكثَر إيلاماً لمشاعري مما توقعت (لعدم معرفتي بما حدث وماذا قيل و ...) فقررت الذهاب في اليوم الرابع لمعرفة خلاصة المجريات بعد خروج هيئة المحكمين للتشاور.

وكان اللافت أن إحدى القضايا التي أثيرت أن تيري كان متهماً أيضا بالاعتداء الجنسي على طفلة صغيرة أخرى، وكان غاضباً جداً من ذلك، وادعى أنه لم يؤذها وإنما كان يظهر بعض التودد لها، تماماً كما تودد لي في اغتصابي. ولكنه أوقع نفسه في الفخ عندما قال " لقد أخطؤوا في تفسير توددي للطفلة، فهناك أربع طفلات لم يشتكوا من توددي"، وبدا أن "تيري" لم يعد يأبه بنتيجة المحاكمة عندما شعر أنه يخسر القضية، ويحاول إدانتهم بجهلهم لمدى الأفعال الشنيعة التي ارتكبها.

كنت في القاعة العامة مرة أخرى مع والدي، بينما كان القاضي يسرد تفاصيل كل من التهم الموجهة إلى تيري. لم يسمع والدي سابقاً بهذه التفاصيل. وكان يعانق أحدنا الآخر ابتهاجاً ولكن طُلب منّا ألا نعبر عن مشاعرنا أكثر من اللزوم، كي لا يؤثر ذلك على هيئة القضاء. وخرج القضاة للتداول في الحكم.

"ماذا سيحدث الآن؟ سألت محاميتي

"عليك أن تبقي هنا بانتظار الحكم."

قلت: "يمكن أن يغيب القضاة ساعات أو ربما أيام قبل أن يعودوا.

أجابت: نعم.. ولكن يجب عليك أن تتواجدي في المبنى، فإذا خرجت فلن نستطيع إبلاغك بعودة القضاة. فتبرعت إحدى المحاميات المتدربات الحاضرات أن ترسل لي رسالة عبر الواتس آب إذا حدث شيء هام،

وكنت شاكرة جداً لها.

خرجت مع والدي لتناول الغداء وما أن وصلنا إلى الطريق المؤدي إلى المطعم حتى جاءتني الرسالة "عاد القضاة".

كنا على بعد 20 دقيقة من المحكمة، وكان علينا أن نركض للعودة. ولولا ذلك ما كنا لنعرف الأحكام إذ أن محاميتي اختفت من المكان (عن قصد على ما يبدو). وعدنا إلى المحكمة لنسمع ستة أحكام على تيري قرئت الواحدة تلو الأخرى: وجميعها كانت إدانة له ورددت كلمة مذنب "Guilty" في القاعة ست مرات بوضوح. لقد كان ذلك مدهشاً.

طلب مني أحد عناصر شرطة غرب ميدلاندس أن أدلي بتصريح حول أثر الاعتداء عليّ من خلال التجربة البشعة التي تعرضت لها من قبل تيري برايس عندما كنت طفلة. إني أجد ذلك صعباً جداً، وقمت بتأجيله باستمرار لأن له آثارا سلبية شديدة على صحتي الجسدية والعقلية اللتين أحاول الآن السيطرة عليهما بالأدوية وبمساعدة فريق الصحة العقلية.

لقد كنت طفلة سهلة الخداع مما جعلني فريسة سهلة للمجرم تيري. وأمي كانت تعاني من مشاكل الصحة النّفسيّة، وانفصلت عن والدي الذي كان على علاقة بامرأة أخرى. وكوني متعطشة للحنان وضحية للإهمال، رحبت بداية باهتمام تيري بي. وكان يغمرني بعبارات

الإطراء، فكان يقول لي أني أميرة صغيرة، وكان يعلم أني أحب المغني الانكليزي الشهير إلفيس بريسلي فوعدني أن يشتري لي لعبة إلفيس التي تغني أغانيه من مركز التسوق المحلي. وكان يصطحبني في نزهةٍ إلى مكان عمله، وكنا نتوقف عند محل الحيوانات المنزلية في طريق العودة، حيث كان عندهم ببغاء يتحدث كالبشر لم أر مثله من قبل، وكان يوليني كامل اهتمامه عندما أغني أغاني برنامج (Top of the Pops) المفضل لديّ.

ذات مرة، صنعت لي أمي تنورة تيدي القصيرة، وكان يطلب مني أن أرتديها وأرقص له. وتلك الرقصات تحولت سريعاً إلى تعري، ولم أدرك أن ذلك خاطئٌ.

وعندما بدأ تيري باعتدائه عليّ لم أكن أدرك ذلك أيضاً، وكأنه أمر طبيعي رغم أني لم أستسغه. وكان يعدني بالهدايا إذا التزمت الصمت حيال ذلك. وكنت أستغيث وأصرخ عندما كانت أمي تخرج ليلاً إلى الحانة، وتتركنا أنا وأخي برعاية "تيري" لعلمي ما سيفعل أثناء غيابها. وذلك دفعني إلى عالم مراهقة جنسية لا أستطيع وصفها فكنت بالنسبة لأمي مجرد طفلة عابثة، لا يمكن السيطرة عليها، وكانت تواقةً للتخلص مني.

كنت طفلة منعزلة في المدرسة صعبٌ عليها أن تبني صداقات مع زميلاتها وكنت في الكثير من المرات عرضة للتخويف من قبلهن لأني كنت أبدو لهنَّ مختلفة تماماً.

وكثيراً ما هربت من المدرسة، ولكم طاردتني المشرفة،

فكنت أخلع ملابسي قطعة بعد الأخرى وأضعها في طريقها كي أجعلها تتباطأ عند التقاطها. وكنت أرغب في العودة إلى البيت لأكون مع أمي حيث أشعر بالأمان معها، وأن أشياء سيئة ستحدث لي عند غيابها عني. ولكن مع الأسف كنت أشعر أن لا أحد، لا المدرسة ولا أمي حاولوا فهم ما كان يجري معي. وعلى العكس كانت سلوكياتي بالنسبة لهم دليلاً آخر على أنني "طفلةٌ صاحبة مشاكل".

وفي إحدى المناسبات وجدت أمي السروال في الأرض خلف الأريكة ووبختني على ذلك، ولكن الواقع أن "تيري" هو من فعل ذلك، عندما تلوث السروال بالغائط الذي خرج مني بعد اغتصابي، وحرصت على غسل ملابسي في المغسلة كي لا أتلقى اللوم مرة أخرى من أمي. وكان المشهد يتكرر بانتظام.

وقد عانيت بعدها من علاقاتي الجنسية لأنني وجدت أن شريكي لم يدرك الصدمة التي حلت بي، وإذا صارحته بما حدث لي ربما يستعمل ذلك سلاحاً ضدي. ووجدت نفسي غير قادرة على الثقة بالناس، ولم أسمح لأحد أن يكون قريباً جداً مني خوفاً من أن يكتشف أني إنسانة مهشمة ضائعة أو يستغل ذلك لانتهاكي.

أنا الآن في عناية فريق الصحة العقلية وأعاني مشاكل صحية عقلية مثل (PTSD) وحالة اكتئاب معتدلة الشدة، وفقدان الرغبة الجنسية. وقد كتبوا لي دواءً مضاداً للاكتئاب وآخر للأرق، وكنت أيضاً أعاني من متلازمة التعب المزمن، ومشاكل صحية أخرى كان يتابعها طبيبي العام.

ولقد اعتقدت (بسذاجة) أنني بعد التبليغ عن الموضوع ستسير الأمور بسرعة وسيدان تيري وسينتهي الأمر وأتجاوزه. ولكن الأمر لم يكن كذلك. نحن الآن في المعمعة لمدّة سنتين ولم ينتهي الموضوع، وكثيراً ما تمنيت لو أنني لم أخبر الشرطة، فالثمن الذي دفعته جسدياً وعقلياً كان باهظاً جداً. وقد فقدت شخصاً عزيزاً بعد صحبة أربع سنوات، وكان عليَّ أيضاً أن أتخلى عن موقعي في الجمعية الخيرية التي تدعم الضحايا الناجين من الانتهاك، كما عليَّ التخلي عن إتباع الدورة التعليمية للمرشدين النفسيين. وأصبحت الآن منعزلة ولم أعد أتواصل مع الأصدقاء.

وقد عانى أطفالي من حالتي أيضاً، فلم أعد قادرة على أخذهم إلى نشاطات ما بعد المدرسة، وكان على ابني الأصغر أن يترك فريق كرة القدم، ولم أكن قادرة على العناية بأحفادي لأن مسؤولية الحفاظ على سلامة أطفال آخرين كانت فوق طاقتي.

والآن وبعد أن تمت إدانة تيري برايس، أشعر بأن هناك نهاية للموضوع أخيراً. وأنا ممتنة أن الموضوع خرج من يدي، وأن على المحكمة وهيئة القضاة أن يقرروا نهاية هذا الأمر. لقد فعلت كل ما بوسعي للوصول إلى العدالة فيما فعله بي تيري برايس. ولكني على الأرجح سأبقى أتذكر ذلك الاعتداء الجسدي الذي مارسه طوال حياتي. مع أني آمل أن العلاج النفسي الذي أخضع له سوف يخفف من وطأته.

وربما لن أعرف علاقة حميمة لا تسبب لي ألماً جسدياً، وسأفقد شعوري بالثقة بالناس من حولي وأبقى حذرة من استغلالهم لبراءتي وسرعة تأثري.

هناك عبارة متداولة "إن الأطفال الذين وقعوا ضحية الاعتداء الجنسي قد تلقّوا حكماً مؤبداً" وأنا مع تلك الفكرة في سن الثالثة والأربعين من العمر، تيري برايس حكم عليّ بالمؤبد ظلماً، ولم أكن أستحق ذلك.

وكنت آمل أن يكون ضمير قد استيقظ في كهولته وشعر بمسؤوليته عن الأذى الذي سببه ليّ، لكنه على العكس من ذلك ادعى براءته، وكان علي أن أتحمل آلام خوض معركة المحاكم والقلق و...

"وكنت آمل أن يبقى ذلك الرجل نزيل السجن طوال حياته كي لا يتمكن من أذية أي من الأطفال مرة أخرى. وإذا كان ذهابي إلى المحكمة وكفاحي للحصول على حقي سيكون نموذجاً لضحايا مثلي فإن تعبي ومعاناتي تستحق ذلك وسأكررها بكل سرور"

لقد عانيت الكثير من القضية للوصول إلى تلك النتيجة، فكانت كلمة "مذنب" مكافأة رائعة لما بذلته من جهود. ولكن هل أحتفل بشيء كهذا، استهلك جميع قواي طوال عدة سنين. والدي والأطفال كانوا جميعاً عندي في نهاية ذلك الأسبوع، وعدت إلى شرب الكحول. تعكّرت حالي وخلدت إلى النوم في حوض الاستحمام الساخن، وكان عليهم أن ينتشلوني منه. لقد كان في الحكم على

تيري تحريراً ليّ، ولكنه كان بداية حالة من الإدمان من أجل السلوان والهروب من الواقع.

لم يتم تنفيذ الحكم مباشرةً على "تيري" لأنه كان عليهم أن يوائموا القوانين الحالية مع تلك التي كانت مطبقة وقت الحادثة. محاميتي طلبت العقوبة القصوى لكن ذلك استغرق حوالي شهرين للبت فيه، وحدد ذلك بعد ظهر إحدى جلسات المحكمة. وعاودني القلق، وكان جسمي كله يرتعش وشعرت بالرجفة من رأسي إلى أخمص قدمي. واضطررت إلى حبس أنفاسي وإطباق قبضتي وفكي كي أحاول إيقاف الرجفة. وكان جسمي كله يتألم ولم أستطع الجلوس بهدوء فكنت أجوب صالة الانتظار خارج المحكمة ذهاباً وإياباً تواقة للهروب بعيداً عن المكان، لكن مع إدراكي بأن عليّ أن أبقى فقد كنا في نهاية الطريق في القضية.

لكن الجلسة الصباحية للمحكمة أخذت وقتاً طويلاً للنطق بالحكم، وتم تأجيل الموعد لعدّة أسابيع. وعندها شعرت بالإحباط مرةً أخرى، وأنني يمكن أن أنتظر طوال حياتي لتحقيق العدالة كما كانت الحال طوال فترة القضية.

لحسن الحظ لم يكن الأمر كذلك، وكان يوم الحكم على تيري يوماً شعرت فيه أن "هناك عدالةً ولو القليل منها" ثم خطر لي عندها أنّه يمكنه التفصّي من الحكم باقتراف أسوأ الأفعال ... بالانتحار. وأنّ فعل ذلك سيذكرني بكل آلامي وسيكون هو من ضحك الضحكة

الأخيرة. وظهر تيري على شاشة البث التلفزيوني عن بعد بمظهر طبيعي هذه المرة. وكان على القاضي أن يطلب منه عدة مرات الجلوس والاستماع إلى الحكم. وعندما قُرأ الحكم طوى تيري مقعده ورحل غاضباً. فقد حُكم عليه بالسجن لمدة اثنين وعشرين عاماً. قابلة للتمديد لمدة خمس سنوات أخرى تحت المراقبة. وعاد تيري إلى وحدة الصحة العقلية في السجن ولن يعفيه ذلك من تنفيذ الحكم عليه.

وكان من المفروض أن أشعر بالقوة والسيطرة والنصر في نهاية الأمر، لكن ذلك لم يحدث معي. وعلى النقيض كنت مصدومة ومنهكة. لقد كابرت لأكون في منتهى القسوة للتخلص من هذا الوغد، واليوم عليّ أن أواجه النتائج. لقد تجاوزت الأمر قانونياً لكنه بقي حاضراً في كل لحظة من حياتي الفعلية.

كنت أجتمع مع أخصّائيّة اجتماعية في الصحة العقلية مرة في الأسبوع خلال المحاكمة وذلك فقط لتحضيري للقضية. ووضعت على لائحة الانتظار لإجراء عملية EMDR أي استرجاع لحظات الصدمة، وهي نوع من المعالجة النفسية ولها فاعلية أكثر من الطرق الأخرى. وكان عليّ انتظار تسعة أشهر لذلك.

ولم أعرف كيف أتعايش مع ذكريات المحكمة ونتائجها ولكن الموظفة الاجتماعية ذهبت إلى أبعد الحدود لمساعدتي. كانت تأتي إلى بيتي للجلسات وشجعتني على التعامل مع حالة الانفصام. وأرسلوني إلى دورة

تعليمية أخرى كان فيها عشرة أشخاص يعانون من مشاكل متنوعة، وكلها كانت بعيدة عن حالتي. وكانت السيدة المشرفة على الدورة هي من تشرف على معالجة EMDR وأقرت بأن ذلك هو ما أحتاجه. وعندما غابت بسبب المرض لم يكن هناك أحد في المنطقة يمكنه القيام بذلك فأخضعوني لمعالجة CBT مرة أخرى.

وفي مارس 2017، رفعت محاميتي قضية إلى محكمة القضاء العليا ضد مجلس بلدية مدينة بيرمنغهام تقول فيها: " إن البلدية كانت على علم بأشياء كثيرة عن حالتي، فكانوا يعلمون أني خاضعة لأوامر إشراف وأوامر للبقاء في مكان آمن، وأني قد حُوِّلت إلى الخدمات الاجتماعية، وأن تدخل العمل الاجتماعي كان عديم الفائدة في الماضي لوجود لائحة طويلة من الشكاوي. ووصفوا أمي بأنها "غير ناضجه ومتلاعبة كذابة" لا تلتزم بالاتفاق معهم. وكانوا يعلمون أن تيري برايس أثناء عيشه مع أمي كان خاضعاً لأمر مراقبة بسبب سوء أخلاقه لمحاولة اغتصاب طفلة، ومحكوم بجريمة جنسية على طفلة عمرها 12 سنة، واستغرق شرطي المراقبة عامين لتساوره المخاوف من وجود تيري هناك وذلك بسبب أنّه لم يذهب إلى النزل الذي حدد له. وأكدت محاميتي على المصطلح (واجب العناية) بي. وأن ذلك الواجب لم يطبق وأنني لم أكن محمية من مخاطر الأذى المتوقع ومن سوء المعاملة والإهمال. وكانت هناك لائحة طويلة من الواجبات في إطار "واجب العناية" يترتب على مجلس بلدية بيرمنعهام، القيام بها:

- واجب حمايتي من مخاطر الأذى المتوقعة.
- واجب حمايتي من سوء المعاملة والإهمال.
- واجب تقديم الخدمات المناسبة لحالتي كماً ونوعاً.
- واجب حماية وتشجيع تطوري بما يتناسب مع مراحل عمري.
- واجب تقديم مساعدة مختصّ اجتماعي (كفء وصاحب خبرة) لي في كل الأوقات تكون مسؤوليته مراقبة سلامتي الجسدية والنفسية.
- واجب حمايتي من الأذى الجسدي والعاطفي والنفسي.

وواجبات كثيرة أخرى كان على المجلس القيام بها "للحفاظ على سلامتي "كطفلة صغيرة"

وبعد انتهاء المحاكمة، تهاوت الدعوى القضائية التي رفعتها ضد مجلس بلدية بيرمنغهام والتي استمرت ثلاث سنوات. فقد صدر حكم عن المحكمة يقول: "إن الخدمات الاجتماعية لا تتحمل مسؤولية أطفال ليسوا متواجدين جسدياً تحت إشرافها في ملجأ للأطفال أو في مراكز رعاية الأطفال. فذلك الحكم ستكون له عواقب مروعة على كثير من الضحايا الباقين على قيد الحياة الذين خذلتهم السلطات المحلية". ونصحتني محاميتي بأن الطريق الوحيد المتبقي هو عبر استخدام نهج التظلم الجنائي، ولكنها حذرتني من أنهم اشتُهِروا بصعوبة التعامل، وأن المعركة معهم خاسرة. انتهت المحاكمة عام 2017، ولكن ما عانيته من آلام كان مروعاً واستمر لعدة سنوات بعدها.

لقد كان عليّ أن أكرر قصتي حول الاعتداء الجنسي لعدد كبير من المعنيين من موظفي الخدمات الاجتماعية، والمحامين، والأطباء النفسيّين و .... ، بكل التفاصيل، إنه أمر مذل غير إنساني على الاطلاق.

ولقد كان عليَّ أن أخوض معركة أخرى عندما تواصلت مع أحد المحامين عام 2015، كي ينظر في قضية غياب الحماية عني كطفلة في ظروف سيئة، فكلفوا مستشارة عمل اجتماعي مستقلة بالنظر في ملفاتي، وأخذ رأيها في أحقية إقامة دعوى ضد إدارة العمل الاجتماعي، مما أصابني بالصدمة حول نظرتهم السطحية إلى ما تعرضت له. وقد جاء في تقريرها ما يلي:

"لقد أُعطيت الفرصة للنظر في حيثيات القضية فوجدت أن الكثير منها منقح ومعدل وبعضها غير مقروء، ولم تحتوي على سجلات عن فترات لها علاقة بالدعوى المطلوبة.

وواضح أن الشخص المدعي تعرض لعدد من الاعتداءات خلال فترة مبكرة من الطفولة. وأشارت المستشارة إلى أن الملفات التي في حوزتها ذكرت أني تركت دون رعاية في منزل العائلة عام 1975 ، وفيها دليل على إهمال الوالدين بما في ذلك ترك والدتها لها في كثير من المرات دون رعاية لفترات طويلة وإهمال لاحتياجاتها الصحيّة."

واستمر تحويلها من مؤسسة إلى أخرى عدة مرات

(ستّ منها بين ديسمبر 1975 وأكتوبر 1976) تُرِكت خلالها في منزل الأسرة بدون مراقبة. وفي تلك الفترة أيضاً صدر أمر توفير مكان آمن لها مع موافقة والدتها، ووافقت بشكل طوعي.

وتابع التقرير "ويذكر أيضاً أن والد الفتاة كان في السجن في أواخر عام 1977 مما تتسبّب في توتر عقلي للطفلة. وبين أفريل عام 1980 وأفريل عام 1982 كانت الأم تعيش مع أحد المدانين بالاعتداء الجنسي. وليس هناك دليل على قيام الخدمات الاجتماعية بعمل وقائي أو تقييم لخطورة وضع الطفلة في ذلك الجو".

وفي عام 1988 تبين أن الطفلة كانت حاملاً منذ شهر مارس لذلك العام إثر الاعتداء عليها والغريب في الأمر أنه رغم كونها دون سنّ السادسة عشرة، لم يقم أحد بالاستفسار عن الموضوع.

وعلى الرغم من ذلك، لم تقتنع المستشارة بأن ذلك كاف للإدانة فقالت" وفي الخلاصة، قليلة هي الأدلة على أن تطور الطفلة الصحي كان قد تعطل بسبب طبيعة العناية التي توفرت لها بما يكفي لإقناع المحكمة بسحب حق رعاية الطفلة من أمها بشكل دائم قبل عام 1980. وليس واضحاً لدي الأذى الذي تعرّضت له الطفلة نتيجة الإهمال من قبل المدعى عليه وفق ما ورد في الدعوى"

شعرت بخذلان شديد عندما قرأت كل ذلك. وفي تعليقي على كل نقطة وردت في التقرير كتبت إلى محاميتي

بأنه على الرغم من طمس الكثير من الحقائق ووجود تحريفات فيها فهناك ما يكفي ليظهر أن منظومة العدالة قد قصرت في حقي. فقد أقروا بأنهم لم يتخذوا أي إجراءات لتقييم الوضع أو لحمايتي بعدما سمحت والدتي للمجرم تيري برايس بالعيش معنا، رغم علمهم بإدانته. وكان من الواضح أن فريق الخدمات الاجتماعية، بدلاً من النظر بعين الاعتبار إلى تاريخ العائلة بمجمله، من حيث الإهمال والإصابات التي أُصبت بها وصحة والدتي العقلية المتدنية، واختيارها الخاطئ لمن يعيش معنا، قد نظروا في حيثيات القضية كأحداث منفصلة عن بعضها. وفشلوا في فهم تاريخ حياتي المعقد الذي كان له بالتأكيد تأثير كبير جداً على صحتي وتطور شخصيتي.

وقد أخبرت المحامية، مرة أخرى، عن تلك الأيام التي كنت أهرب فيها من المدرسة وتجري خلفي المشرفة، وكنت أشغلها كي لا تلحق بي ثمّ أُجرّ بعدها إلى المدرسة جراً. كما أخبرتها عن الزيارات العديدة التي قامت بها السيدة "المشرفة" إلى منزلنا أثناء مرحلة الدراسة الثانوية، حيث أصبحتُ أقوم بتصرفات لا توافق عمري، ألم يكونوا على علم بحملي لمرتين في سنّ صغير عندما أدخلوني إلى مدرسة الطالبات الحوامل؟ أم لم يكن هناك تواصل بين مجموعة العمل الاجتماعي ووزارة التعليم؟ لماذا لم أصنف كإنسانة "سهلة التأثر"؟ أجل، لقد عانيت الكثير على المستوى العقلي والتربوي والتعليمي والمادّي، وكان يمكنني أن أكون أفضل بكثير مما أنا عليه الآن، لكن

لا أحد وقف إلى جانبي، وقالت المحامية: "هذا غير عادل يجب أن نفعل شيئاً".

وفي عام 2016، تمّ تقديم تقرير آخر، من قبل معالج نفسي هذه المرة.

وكان ذلك بطلب من محاميتي لتقديم دعوى ضد مجلس بلدية بيرمنغهام وهذه المرة لدى سلطة التعويض عن الإصابات الجنائية (CICA)

وجاء فيه:

أخبرتني الآنسة ديلّا رايت أن تيري برايس بدأ العيش معهم عندما كانت في سن السادسة واستمرّ ذلك حتى دخوله السجن وأنّه عاد للعيش معهم عند إطلاق سراحه. كما أخبرتني أنه كان يجعلها تقوم بتصرفات غير لائقة لم تكن في ذلك العمر تدرك معناها، فقط كانت تسعد بما يجود به تيري عليها.

وقالت الآنسة رايت أنّ تيري كان يعاشرها من ثلاث إلى أربع مرات في الأسبوع عند خروج والدتها من البيت. وأخبرتني أنها تتذكر صراخها وتوسلها إلى أمها ألا تتركها لوحدها معه. وأنها لم تكن تدرك ما يحصل في ذلك الوقت ولم تكن قادرة على التعبير عنه.

كما قالت لي أنها كانت تفقد الإدراك خلال تلك الأحداث، ولذلك لا تستطيع تذكر ما كان يحدث. وأنّها تتذكر كيف كانت تشعر باعتلال جسدها بعد تلك الحوادث، وتعزف عن الأكل لعدة أيام.

كما أخبرتني أيضاً أنها كانت على علاقة غرامية مع أحدهم لمدة سنة في عمر الثالثة عشرة أدّت إلى حملها في سن الرابعة عشرة. وكان شريكها يكبرها بحوالي ستّ سنوات. وذكرت أنّ الحمل كان خارج الرحم، فكان يجب إجهاضُهُ. وأنّها كانت تشعر بعدم استيعاب تلك الحالة من الحمل بشكل اضح، وأنّها كانت تشعر بالوحشة والعزلة ورغم دعم أمها لها في تلك الظروف.

كما ذكرت أن: شريكها كان سيء التعامل معها ومع أمها، وكان عليهما أن يحصلا على أمر قضائي لمنعه من التردد عليهما.

وأضافت أنها: في سن الرابعة عشرة التحقت بثانوية كاردنال وايسمان في منطقة كينغ ستاندنغ حتى عمر الخامسة عشرة، حيث حملت مرة أخرى بابنتها لورا. وبعد ذلك انتقلت إلى مدرسة للفتيات الحوامل في منطقة إردينغتون لمدة ستة أشهر.

لقد كان كل ذلك صحيحاً ودقيقاً، ولكن رؤيتي له مكتوباً بدم بارد أثار أسئلةً كثيرةً جداً. كانت فترة التقييم النفسي لحالتي (من قبل المستشارة النفسية) قصيرة جداً، ولذلك شعرت بأن آثار الاعتداء المستمر الذي تعرضت له، خاصة موضوع القلق، لم يتم النظر فيه بشكل صحيح. وأردت للمستشارة أن تعلم النواحي المتعددة التي تأثرت بها جراء ذلك. وطلبت أن يتضمن التقرير ما ورد في رسالتي. وقد كان من الصعب جداً كتابة كل التفاصيل لترى المستشارة بوضوح مدى تأثير ذلك.

وبالعودة إلى الماضي وإلى كل هذه التقارير ولكون «تيري» لم يعد له مكانٌ للاختباء، صممت على إيجاد القوة للاستمرار في المعركة الأخيرة – المعركة التي تبين أن السلطة المعنية لم تقم بواجب العناية بقاصر مثلي كما يفترض، وأن عليهم أن يقروا بذلك.

24

واجب العناية

إن ما يجب أن يدركه الناس أن الاعتداء الجنسي على الأطفال يمكن أن يستهلك الكثير من طاقة الانسان، لكن الحياة تستمر والعالم لن يتوقف، فقد كانت هناك أمور أخرى بانتظاري. لا يمكن إنكار أن علاقتي بوالدي كانت معقدة. وعليّ أن أعترف أنه في بداية علاقته مع أمي كان عنيفاً معها، وكان مدمناً على شرب المسكرات، وكان معظم الأوقات خارجا، بالإضافة إلى أنه "زير نساء". ولم يكن مهماً في حياتي أثناء صغري، أحياناً بسبب ذهابه إلى السجن، وأحياناً بسبب كونه مع امرأة أخرى غير أمي.

ومع تقدمي في السن، أدركت أن أمي وأبي كانا أنانيين بشكل لا يصدق. ولكن يجب أن أذكر حقيقة أن والدي حاول الحصول على حق حضانتي في مرحلة من مراحل عمري وأن أمي حرصت على أن أختار حضانتها، والحقيقة

أنني لم أكن أعرف والدي فعلاً.

وعندما عادا إلى بعضهما في عام 1991، كان من الصعب عليّ قبول والدي في حياتي نظراً للأشياء السيئة التي قالتها لي أمي عنه، لكني حاولت. وتحسنت علاقتي معه عندما بلغت سن الثامنة عشرة، وقد تغير فعلاً، وأمي تغيرت قليلاً أيضاً بعد أن أصبحت جدة. وعندما استقليت في العيش مع لورا وجيمس كانت الفترة التي أقضيها مع والدي من خلال هوايتنا الموسيقية هامة فعلاً بالنسبة لي. ولا شك أنه كان قاسيًا في شبابه لكن تقدم السن جعله ليناً ومتعاوناً.

وعندما تركتني أمي بدون معين وذهبت إلى تركيا بعد فوزها بجائزة اليانصيب، توطدت علاقتي مع والدي أكثر فأكثر. فساعدته في ترتيب شقته، وجعلها مكاناً ألطف وكنا نتحادث هاتفياً لساعات، وعندما أحاول إنهاء المكالمة يستمهلني من أجل أحداث أو أشياء جديدة يرغب في التحدث معي عنها. كان يشعر بالوحدة ولم يعد قادراً على الجري خلف النساء، وبالفعل كان يحاول ما بوسعه لكي يدعمني.

"أنا آسف جداً أنني لم أكن إلى جانبك طوال حياتك يا ديلّا " قال لي قبل جلسة المحاكمة. "ولن أسامح نفسي لأنني لا أستطع منع ما حدث لك. وكل ما أستطيع فعله الآن هو أن أكون هنا من أجلك ومن أجل دعمك، إنه شيء قليل أقدّمه لك و قد تأخرت في ذلك ولكن هذا كل ما أملك.". أمّا والدتي فلم تعتذر مطلقاً.

قـدرت اعتـذاره كثيـراً فكلمـة "آسـف" هـي كل مـا كنـت أريده مـن والـدي، وشـعرت بأنّـه كان صادقـاً فيمـا يقـول، وأن وقوفـه إلـى جانبـي طـوال المحاكمـة فـي عـام 2017 كان شـاهداً علـى ذلـك. لـم يتركنـي أبـداً، وكان يشـد علـى يـدي دائمـاً تعبيراً عن ذلك.

ولـم يكـن والـدي فـي حالـة صحيـة جيـدة. وكنـت قلقـة عليـه جداً بسـبب مـا كان يسـمع خـلال المحاكمـة، ومـا كان عليـه أن يواجـه مـن حقائـق حـول معاناتـي وإهمـال والدتـي لـي.

ولاحظـت فـي حالتـه اختلافـاً كبيـراً عندمـا عدنـا إلـى المحكمـة فـي شـهر نوفمبـر لسـماع النطـق بالحكـم، كان والـدي ضعيفـاً جـداً ويعانـي مـن التهـاب فـي صـدره وبـدا نحيـلاً جـداً. وظننـت أن ذلـك بسـبب اللقـاح الـذي تلقـاه قبلهـا، ولكـن الأمـر لـم يكـن كذلـك فهـو لـم يتعـاف مطلقـاً. وفـي ديسـمبر اتصـل بـي وأخبرنـي أن حالتـه حسـنة، وأنـه يتنـاول بعـض المضـادات الحيويـة، و يرغـب أن يكـون معنـا في احتفالات رأس السنة الجديدة.

وفـي يـوم رأس السـنة تلقيـت مكالمـة منـه: " ديـلّا لـن أسـتطيع المجـيء اليـوم وأعتـذر جـداً منـك ولكنـي غيـر قـادر جسـدياً علـى السـفر. صـدري يؤلمنـي جـداً سـأسـتريح اليـوم وسـأتصل بـك غـداً". ولكنـه لـم يتعـاف مـن حالتـه علـى مـا يبـدو وعندمـا أخبرنـي فـي شـهر ينايـر أنهـم نصحـوه بتطعيـم ضـد التهـاب الرئتيـن، عارضـت ذلـك بشـدة وقلـت لـه " لقـد أضعفتـك الحقنـة ضـد الانفلونـزا يـا أبـي فهـل تريـد أن تغامـر

في التعرض للآثار الجانبية لهذه أيضاً"، لكنه كان مصمماً على ذلك.

وبعد أسبوعين وجده جيرانه على الأرض في شقته فاقد الوعي، وأسعفوه إلى المستشفى في ذلك اليوم، وكان يوم جمعة، وأخبرنا الأطباء بأنه مصاب بالتعفن الدموي والالتهاب الرئوي. فاستغربت من الأمر لأنه قد أخذ جرعة مضادة للالتهاب الرئوي قبل الحادثة ما يجعل إصابته بها بعيدة الاحتمال.

وحتى يوم الأحد الذي تلاه لم تظهر بوادر تحسن على صحة والدي، وأدخلوه إلى العناية المشددة في المستشفى. لم تكن أمور والدي الصحية على ما يرام، وأقرت بذلك ابنتي لورا التي أصبحت ممرضة الآن.

وأثناء وجوده في وحدة العناية المشددة انتعش بعض الشيء، وعندما زرته في اليوم التالي كان يأكل المثلجات رغم كونه خاضعاً لعملية غسيل الكلى. وقلت له "يبدو أنك أحسن بكثير اليوم" وأجاب مردداً "أنا أشعر بذلك يا عزيزتي"، وكان دائم النظر في الساعة القديمة في جناح المرضى، فسألته "لماذا تحدق في تلك الساعة على الدوام؟ "

فأجاب "أنا أركز على تحسن حالتي، فكل دقيقة تمر تجعلني أقرب للخروج من المستشفى، هل يمكنك فعل بعض الأمور من أجلي؟ أريدك أن تذهبي الى شقتي وتنظفي الثلاجة، فقد أعددت كمية كبيرة من الطعام قبل

مجيئي إلى هنا، ولا شك أنها أصبحت فاسدة. وضعي بعض النقود في عداد الكهرباء أيضاً، ومن المستحسن أن تتواصلي مع المشرفين على مسكني إذ أن عليّ أن أذهب إلى مساكن الايواء بعد خروجي من هنا. وحاولي الحصول على بعض المساعدة في حال تدهورت صحتي مرة أخرى."

كان ذلك الطلب الأخير غريباً نوعاً ما، لأنه لطالما كان يعتمد على نفسه ولا يطلب مساعدة من أحد. ولكنني كنت مسرورة لأنه كان يخطط لبعض الأمور. وتركته يشاهد برنامج "الاختبار quiz show" المفضل لديه مع إحدى الممرضات، وذهبت إلى بيتي.

وأخيراً يمكنني أن أتنفس الصعداء مرة أخرى. فقد كنت قلقة عليه من آثار جرعات الانفلونزا والتهاب الرئة، ولكن أكبر همي كان حول ما إذا كانت المحاكمة والأحكام التي تلت لعبت دوراً في مرضه، كنت سألوم نفسي طوال حياتي.

وصلت بيتي وحضرت بعض الطعام، وشغلت التلفاز على برنامج (EastEnders)، وبعد دقائق إذ بالهاتف يرن، كانت المكالمة من عمتي" ديلّا عليك أن تعودي إلى المستشفى، فالأمور سيئة هنا."

كان والدي يعاني من نزيف داخلي وجميع أعضائه تتهاوى. وحالما وصلت المستشفى هرعوا بي إلى غرفة جانبية وقال الأطباء: " نحتاج موافقتك سيدة رايت "

فقلت "على ماذا؟ " وأنا في حالة رعب وعدم تركيز فقالوا: " نحتاج لإزالة معدة والدك لإعطائه فرصة للعيش." فقلت " إنه ما كان ليوافق على ذلك فأي حياة سيعيشها بعدها إذا فعلتم ذلك؟" فكرر الطبيب " أتمنى منك تقرير ذلك في أسرع وقت"، ولكن قبل أن ينهي كلامه انفتح باب العناية المشددة وصرخ أحدهم (لم أعلم من هو) "إنه في طريقه لإجراء العملية الجراحية". ركضت إلى غرفة والدي، وقد تجمع الكل حوله، أخواته وإخوته وأطفالي. وخلال لحظات أخذوا والدي إلى غرفة العمليات، ولا أحد طلب مني الموافقة على أي شيء، ولم يبق لي أي خيار الآن، وسيفعلون ما بوسعهم لإنقاذ حياته.

ذهبت إلى آلة البيع، وتناولت شراباً ساخناً منها، وضعت خدي على الكأس، وأنا في منتهى الحيرة من أمري، فرأيت أحد الأطباء يتجه نحوي فعلمت مسبقاً ما سيقوله لي.

والدي رحل، لقد أصيب بنوبة قلبية شديدة في طريقه إلى غرفة العمليات توفي على إثرها، لقد رحل ولم يترك لنا أي خيارات.

كان ذلك مفاجئاً لي، فقد كان يتناول المثلجات ويشاهد التلفاز قبل وقت قصير؟ هل أتحمل أنا المسؤولية في موته؟ هل سببت له الموت جراء حضوره المحاكمة ورؤيته ما يجري وسماعه ما يقال؟

لقد كان عمره 64 فقط، وأصبحت ألوم نفسي وألعن

الساعة التي قررت فيها إخبار الشرطة بما فعله بي تيري برايس، والالتجاء إلى المحكمة بشأن ذلك.

كان الغضب يتملكني وتساءلت " لماذا لم تكن أمي التي فارقت الحياة؟ فهي ليست ذات قيمة بالنسبة لي، ولماذا يأخذ الموت الوالد الجيد ويترك الأم السيئة ".

وخلال الأيام التالية رتبت حفلاً إنسانياً رائعاً لوالدي (الذي كان ملحداً). كنت أعلم أنه كان شيطانًا في فترة شبابه، لكنه كان شخصاً طيباً في حقيقته. وقد أصبح لطيفاً كثيراً في سنواته الأخيرة. وكان يدرك مخالفتي له في أفكاره العنصرية، وأعتقد أنني قد علمته أشياء كثيرة في ذلك الموضوع. وقد وجدنا سلامنا معاً، وكان يعترف بأخطائه ويتحمل مسؤوليتها، أكثر بكثير مما كانت والدتي قادرة على فعله.

25

نجوت - مستمرة في حياتي وقادرة على تحمل المزيد

أعلم أن هناك عددا كبيرا من " الناجين" لديهم مشاعر وانفعالات مثل التي عندي ورغم ذلك (مستمرون في العيش)، وقد وضعت كلمة "مستمرون في العيش" بين قوسين متعمّدة لأنها رغم كونها التعبير الصحيح لوصف الآلاف من البشر الموجودين حولنا، إلا أني أشعر أحياناً أني لا أعيش وإنما فقط أتواجد في هذه الدنيا. وعندما أقابل أناساً آخرين أحرص أن أكون طبيعية وأكبت عواطفي. ومع الأسف، الناس حولي (أسرتي، أصدقائي، المدرسة، الخدمات الاجتماعية، الشرطة) أهملوني أو وصفوني بالكاذبة والمبتذلة، وأنني أسعى للفت الاهتمام، كما وصفوني بالمتلاعبة التي تريد أن تستعرض أحد مشاهدها، وذلك كان له تأثيره علي. فبينما كنت أُظهر

أنيّ على ما يرام (أو حتى عندما أقول أني على ما يرام)، كنت في الحقيقة أبحث عن مهرب من الواقع الذي أنا فيه. وأشعر في كثير من الأوقات أني أكذب على نفسي وسوف أنكشف سريعا.

في واقع الأمر أنا لا أرغب في لفت انتباه الناس إليّ، ولا أريدهم أن ينظروا إلى أعماقي، ولا أن يصدروا أحكامهم عليّ. ولذلك لجأت إلى الإدمان على شرب الكحول للتقليل من التحفظات السلوكية أو للتقليل من إظهار مشاعري الحقيقية، ولأضع حاجزاً بيني وبين من حولي. وهذه أمور معروفة لمن عانى الانتهاك مثلي، وإن لم تكن قد عانيت أيها القارئ فاستعدّ لما يلي فتلك كانت البداية فقط.

أنا أراقب الناس دوماً وألحظ عندما لا يتوافق سلوكهم مع أقوالهم، فازدواجية المعايير منتشرة بشكل كبير في المجتمع، وأصبحت غير قادرة على التسامح معها، وكان لذلك آثار كبيرة على علاقاتي الشخصية طوال السنين الماضية - وفي بعض الحالات استطعت اكتشاف فشل العلاقة منذ البداية، وكانت بعض سلوكيات شركائي تدق ناقوس الخطر في نفسي، ولكني كنت أتجاوز ذلك الشعور العفوي وأختلق لهم الأعذار وأسامحهم وبعد ذلك أشعر بغضب شديد من نفسي على تسامحي عندما تسوء الأمور وتتكشف الحقائق. وكانت هناك حالات كثيرة من علاقاتي مع الرجال شعرت فيها كمن أوقظ من حلم مخيف عندما ظهروا على حقيقتهم، وكنت أتساءل كيف

انتهى بي الأمر إلى ذلك الوضع. كما لو أن جانبي الطفولي هو ما كان يسيطر عليّ فسمحت للآخرين باستغلالي. وعندما يوقظني الجانب الناضج في شخصيتي وأعود إلى تفكيري السليم أستغرب جداً الوضع الذي مررت به.

أعرف أني أحشر نفسي في علاقات سيئة مع رجال نرجسيين يحبون السيطرة ويرغبون في امرأة مطيعة مثلي، امرأة تسمح لهم بجعل متطلباتهم هي الأولوية في علاقتنا. وعندما أمتلك الشجاعة للوقوف في وجههم والدفاع عن حقوقي يستعملون ماضيّ المهين سلاحاً ضدي ويهجرونني.

وكنت أسترجع، عندما يقدم لي شريكي الهدايا ويكون لطيفاً جداً معي، ذكرياتي المهينة وعدم ضبط مشاعري مع مغتصبي "تيري برايس". الذي استغل الهدايا لتطويعي ولكيلا أبوح بما كان يفعله معي. واليوم لا أتقبل الهدايا ولا أطلب المساعدة من أحد لأني أشعر بأن الثمن الذي عليّ أن أدفعه بالمقابل سيكون باهظاً جداً، وبأن هناك دوافع خفية وراء تلك الهدايا وذلك اللطف، لا أدري ماذا عساه أن يكون.

كنت جاهزة دوماً لإخراج الناس من حياتي، وكنت أجد تغيير مواعيد اللقاءات الاجتماعية المتفق عليها مسبقاً صعباً جداً، وكان ذلك ايضاً يعيدني إلى حالة الانهيار. وكنت أجد الذهاب إلى تلك اللقاءات في غالب الأحيان، عبئاً كبيراً عليّ. وكنت أجبر نفسي على الحضور، لكني كنت أشعر خلالها بغياب ذهني وضياع أفكاري. مما

جعلني أتجنب الذهاب إليها.

كما كنت أتجنب نزهات العائلة والحفلات عموماً، لأن الذهاب إليها كان يؤكد لي أنني إنسانة غير طبيعية. وحتى في بيتي وهو حيز الأمان الذي صنعته لنفسي كانت الأمور تسوء أحياناً، وتصيبني فترات انهيار حيث أجلس على السجادة وألتقط بعض بقايا الأوساخ العالقة بها، أو التي أتخيل وجودها بعد زيارة أحد الأشخاص لنا دون سابق إنذار. وكنت أنظف السجادة مراراً عندما أكون قادرة على ذلك جسدياً.

واليوم أنا مصابة بعوارض التعب المزمن (CFS/ME) ومرض (fibromyalgia وهي حالة مرضية طويلة الأمد تسبب الألآم لكامل الجسم)، تضاف إلى اللائحة الطويلة من المشاكل الجسدية والعقلية التي أعاني منها،

ومهما بلغ حبي للناس المحيطين بي كنت أشعر بأن خصوصيتي قد انتهكت. كنت أشعر بالغضب في داخلي من تدخلهم بشؤوني الخاصة حتى لو كانوا عزيزين عليّ أو حتى أولادي أو أحفادي. وحالما يغادرون أصبح مهووسة بالتنظيف واستعمال المكنسة الكهربائية والممسحة لشعوري بأن المكان اتسخ أثناء وجودهم.

وما كنت لأسمح لأحد بالدخول إلى غرفة نومي وأغضب جداً إذا قفز أطفالي أو أحفادي على فراشي. فأشعر أن ذلك خرق لحيزي الشخصي. وعندما كانت ابنتي الصغرى وابني يعبثان وأسمعها تطلب منه التوقف

عن ذلك، كانا فقط طفلين يلعبان وأسمعهما يضحكان، كنت أشعر بقشعريرة خوف في أعماقي رغم شعوري بسلامتهما وأنهما كانا فقط يعبثان كما يفعل الأطفال عادة. ولم أكن أقدر على مجالسة أحفادي خلال مبيتهم عندي لأني لم أرغب في تحمل مسؤولية مراقبة أطفال الآخرين.

وكانت نفسي تحدثني " أنا محطمة.. وأم فاشلة "، لا تستحق روابط عائلية سليمة. وأصبحت أبادر بالاعتذار للآخرين رغم أن الخطأ خطؤهم تجنباً للمواجهة معهم حتى في حالة كون الشخص الأخر صديق أو شخص عزيز عليّ.

كان ذلك معركة يومية مستمرة مع نفسي، تسبب لي التعب والإنهاك. وقد كنت إنسانة محطمة داخلياً رغم أني أبدو طبيعية للناس حولي.

وخلال عام 2019، استمرت ببطء دعوى التعويض عن الأضرار التي لحقت بيّ، وكتب لي المحامي أن (CICA) لن تعيد النظر في قرارها "لأن الأعراض التي عانيت منها تحسنت مع مرور الوقت وستستمر في التحسن بالعلاجات الأخرى وأنها لم تسبب لي عجزاً كاملاً. "

وذلك هو جوهر العدد الكبير من الذين استطاعوا التغلب على المآسي والاستمرار في العيش، نعاقب على قدرتنا على الاستمرار في العيش!!! لقد تحسن وضعنا بعض الشيء وسوف نستمر في التحسن شيئا فشيئا ...

ولسنا عاجزين بالكامل بعد !!!

وكل ما نملكه هو كوابيس وذكريات مؤلمة عن تلك التجارب التي مررنا بها.

وقد نصحتني محاميتي أن أقبل النتائج وأوقع عليها وأقبل بالتعويض الذي عرضوه علي، ولكن بالنسبة لي لم يكن الموضوع موضوع تعويض مالي، فكيف يمكن أن تقدر ثمناً لما تعرضت له من اعتداء؟

وكل ما أردته أن أكافح واستمر في الكفاح كي يعترفوا بأنهم قصروا في حقي وأن ما حصل لي يجب ألا يتكرر مع أي إنسان آخر، لقد اختار "تيري برايس" أن يغتصبني وهناك تواطؤ من قبل النظام الاجتماعي فلم يتم شيء لمنعه من تكرار جريمته وسُمح له بالاختباء خلف اسم مختلف، ما يعني أن أطفالاً آخرين سيقعون ضحايا له أيضاً، هل استطعت أنا تجاوز تلك الأفكار؟ لا ولا ولا.

محاميتي أرسلت لي إنذارا آخر بأنني إن لم أقبل وأوقع فسنعود إلى المربع الأول وسيعيدون النظر في القضية من الصفحة الأولى ويمكن أن ينتهي الأمر بقرار أسوأ من القرار الحالي ...؟ حقا؟ أهذه هي العدالة ...؟ أردت عندها أن أقول لهم أن يذهبوا إلى الجحيم ... هم وعدالتهم، وشعرت بأنهم تلاعبوا بي وبقضيتي كما لو كنت طفلة صغيرة عليها أن تنصاع للأوامر أو تخرس ولا تتفوه بأي اعتراض.

وبقيت أحدق في الرسالة التي جاءتني من (CICA)

وتتضمّن بوضوح قرارهم المجحف الذي لم يبين الحقيقة التي كنت أعيشها، وجاء فيها:

في تقديري للتعويض المالي لك عن المعاشرة الجنسية المتكررة التي مارسها معك (XX) بدون رضاك على مدى 3 سنوات، نظرت في جميع المعلومات التي وفرتها شرطة غرب ميدلاند وفي سجلاتك الطبية حول جراحة الإجهاض، فلم يكن هناك أي دليل على إصابتك مستقبلاً بمرض عقلي مزمن يسبب لك الإعاقة.

ولم تكن عبارتهم "معاشرة جنسية بدون رضاي" سيئة وقاربت الحقيقة وإذا كان الخبير الطبي يخبرني بأني صحتي العقلية على ما يرام فمن أنا لأعترض على حكمه؟

وجلست هناك مع جميع الأوراق والتقارير المتعلقة بالقضية حولي ومع أحكام أناس آخرين يتداولون فيما تم فعله في القضية وما أثرها، وأجهشت بالبكاء. وقلبت أصابعي اللصاقة الصفراء على الرسالة التي تقول "وقعي هنا" كما لو كانت واحدة من أماني الصغيرة أليس التي كانت تطلبها من فاعل المعجزات في قصة "أليس في بلاد العجائب".

كل ما كان علي فعله هو أن أقبل ما جاء في الرسالة وأن أوقع، أي أقبل بما قرروه من أني على ما يرام وأن التعويض المالي الذي عرضوه سيمسح كل ما حدث ونبدأ السجل بصفحة بيضاء ناصعة من جديد، وبإمكاني أن

أستعمل التعويض المالي في الذهاب في رحلة ترفيهية أو صرفه في شراء أشياء تافهة أو توفيره لأيام العسر.

همست لنفسي "إنها أموال قذرة ... أموال تعويض عن إجرام ..."، وما كنت أرغب في حذاء فاخر يفكرني بمغتصبي "تيري" كلما لبسته، وما أردت أن أسترخي على رمال الشاطئ في جزر البهاما وأنا أعلم ماذا دفعت مقابل ذلك.

لم أدرك كم من الوقت قضيته على تلك الحال ومع غياب الشمس تباطأ سيلان الدموع وتناقص الألم. أنا لا أحتاج إلى محامي أو هيئة حكومية تخبرني كيف أعيش وحتماً لا يتوجب عليّ فعل ما يملونه عليّ - لقد تحملت ما فيه الكفاية. تجولت في الغرفة وأضأت الأنوار جميعها الواحد بعد الآخر وكأن ذلك أنار ذهني أيضاً وحفز وضوح تفكيري. أنا لن أتراجع. وإذا أرادوا العودة إلى البداية من جديد فلدي القدرة على تحمل ذلك - لدي القدرة على كل شيء يتطلبه موقفي هذا: وليكن ذلك.

وأخيرا انتهت معركتي مع (CICA) بعد جلسة الاستماع الثانية والأخيرة في شهر أبريل 2021، والتي أنتجت تقييماً جديدًا لحالتي، حيث قالوا " اطلعت السلطة القضائية على النتائج الواردة في التقرير الطبي وملحقاته للدكتور X فيما يتعلق بشدة المرض العقلي واستمراريته للمدعية بسبب الاعتداء الجنسي.". رحبت بهذه النتيجة لكني لم أرحب بخضوعي لتقييم نفساني آخر.

لا أعتقد أن (CICA) لديهم معرفة حقيقية عن الصدمة أو على الأرجح أنهم غير عابئين بما تسببه الصدمة النفسية للضحايا، وللذين بقوا على قيد الحياة بعد تعرضهم لها. وأعتبر أن حصولي على إعانة مالية لشراء "عصا الاتكاء للمشي" إذا كسرت رجلي، منتهى القرف. في الوقت الذي أحرم من إعانة للخضوع لمعالجة (EMDR) رغم إثباتي أني أحتاج لتلك المعالجة وهي غير متوفرة في منطقتي.

وشاءت الأقدار أن تُحملني متاعب أخرى على ما يبدو، وهذه المرة في شكل اتصال مفاجئ يعلن وفاة أمي في شهر أغسطس2020 . وكان الأمر مختلفاً تماماً عما كان عليه عند وفاة والدي.

ما كان هناك أي تواصل مع والدتي منذ عام 2017، وبالكاد كان تواصلنا مع بعضنا قبل ذلك، إلا حينما فاجأتني بحضورها إلى بيتي وإخبارها لي أنها وضعت توأما عام 2007. وتبادلنا بعض الرسائل الالكترونية القصيرة وأجرينا محادثة عبر خدمة سكايب. عدا ذلك كان تواصلي معها قليل جداً منذ سافرت إلى تركيا عام 2003.

عندما جاء الخبر كنت أراقب أطفال ابنتي لورا وكانت ابنة إحدى صديقات والدي تحاول الاتصال بي.

"لقد رحلت جدتي يا أمي لقد توفيت ...".

كان رد فعلي الأول أنني لم أرغب في فعل أي شيء

حيال ذلك، فأنا لا أعرفها حق المعرفة، لكن الطبيب الشرعي رفض أن يتحدث مع أي شخص آخر غيري، وقال إنه يمكن تحويل متطلبات الوفاة للخدمات الاجتماعية، لكني إنسانياً لم أستطع أن أوافق على ذلك. فذهبت إلى بيتها وكان سيئاً جداً، كانت الروائح النتنة وفضلات القطط تملأ المكان، وكان عليّ أن أنظف البيت وأقوم بترتيبات الجنازة ومراجعة جميع ملفاتها، مع علمي بأنها ما كانت تتحمل مسؤولية ما حصل لي وما كانت ستقول في يوم من الأيام كلمة "آسفة على ما حل بك".

وكان الأمر الغريب أنها احتفظت بصور كثيرة تظهر فيها مع طفلة صغيرة. وقد كانت أخبرت الكثيرين من أصدقائها أن لها طفلة في تركيا لم تستطع استعادتها من هناك وأنها تتعاون مع السفارة البريطانية في تركيا لتمكينها من ذلك. عندها بدأت أفكر بأن قصة التوأم وكل ما أخبرتني به عام 2007 يمكن أن يكون صحيحاً وأن لي أخت في تركيا لم تعلم بوفاة والدتها. ومرة أخرى (حتى بعد موتها) نجحت أمي في العبث بأفكاري ومشاعري.

وبالتمحيص في ملفات والدتي تبين أن أمي لها ابنة بالتبني في تركيا – وأن الرجل التركي لديه عده أطفال وادعت أمي بأن منهم توأما يخصها. واعتقد جميع أصدقاء أمي أنها فعلاً ولدت توأماً!! لقد صدقوا روايتها – ويا له من شيء جنوني. لا أحد من تركيا اتصل بي في موضوع أمي.

حسبت أنـي قـادرة علـى التحمـل أكثـر وأكثـر لكـن ذلـك كان صعباً للغاية.

كانـت الجنـازة خـلال الوبـاء العالمـي Covid-19 وكان عـدد الذيـن سُـمح لهـم بالحضـور محـدوداً، إلا أن عـدد الذيـن حضـروا فعـلاً كان أقـل مـن ذلـك بكثيـر، فلـم تبـق لهـا روابـط مـع أحـد حقيقـة. ويبـدو أنهـا توفيـت بسـبب مشـاكل فـي الأمعـاء (التـواء بالأمعـاء) نفـس المشـكلة التـي كانـت مـع الطفلة فريا طوال سنوات مضت.

أبـي وأمـي توفيـا فـي نفـس العمـر ٦٤ عامـا، وكلاهمـا لـم يوفـرا لـيّ مـا كنـت أحتاجـه منهمـا، رغـم أن تعامـل والـدي معـي كان أفضـل بكثيـر فـي آخـر سـنين حياتـه. أمـا أمـي؟ فلـم تكـن قـادرة علـى تحمـل مسـؤولية تقصيرهـا بحقـي والاعتـراف بذلـك والاعتـذار عنـه حتـى لـو عاشـت حتـى المائـة، فهـي دائمـاً تعتبـر نفسـها هـي الضحيّـة وأنـا المخطئـة. ولـم تتواصـل معـي بعـد المحاكمـة، ولـم تخبـر صديقاتهـا أن القضيـة التـي ستشـهد فيهـا تتعلّـق بـي ... بابنتهـا. والآن بعـد أن توفيـت علـيّ أن أتعايـش مـع حقيقـة أنها لن تعتذر عن تقصيرها معي.

وطـوال السـنين كنـت أجـد لهـا الأعـذار عـن ذلـك، لأنهـا هـي نفسـها عانـت مـن سـوء الرّعايـة العائليـة ومـا كان ذلـك سـبباً وجيهـا فـي الواقـع لأننـي أنـا نفسـي عانيـت مـن ذلـك. ولكـن عندمـا تصبـح فـي موقـع الأمومـة يجـب أن تغيـر نمـط المعاملـة العائليـة التـي عانيـت منهـا. كان أمـي وأبـي أنانييـن وأعتبرهمـا نموذجـاً مرفوضـاً عـن الأبـوة والأمومـة يجـب

تجنبه وعلموني كيف أتجنبه.

لن تكون حياتي مثالية، والانتهاكات التي تعرضت إليها لن تزول من ذاكرتي ولكني أدرك أكثر فأكثر أنها لم تكن غلطتي بالكامل. فعدم وجود شخص ما إلى جانبي وعدم مقدرتي على رفض ما لا أريده يعني أنني لا أثق بقدرتي على العناية بنفسي ولن أستطيع مطلقاً وضع متطلباتي ورغباتي قبل متطلبات ورغبات الآخرين. كنت أغضب من نفسي على ضعفي وعلى اعادة التفكير في الأمور مراراً وتكراراً.

وقد وجدت من الصعب إقامة علاقات صحيّة مع الآخرين أو حتى بناء صداقات جديدة – فأول شيء يسأله الناس « إذاً ماذا تفعلين؟» وكنت أشعر بأني لست على المستوى المطلوب عندما أحاول التوضيح للسائلين أني في فترة استراحة، أو لم تتح لي الفرصة لتحقيق سيرة مهنية جيدة، أو إنهاء دراستي والحصول على الشهادة المطلوبة. فكنت أشعر أن في ذلك زيادة في الانفتاح على الآخرين وكشفا لمسائل شخصية وما كنت أرغب في ذلك.

أحببت الذهاب إلى الجامعة ولكن عندما توجب عليّ التوقف عن ذلك في منتصف الطريق، شعرت بأن الوحش الذي يردد في مسامعي « أنني لن أصبح ذات قيمة وأني سأبقى عديمة الفائدة « قد عاد ليقضي عليّ.، وليثبط عزيمتي ويجعلني أقول لنفسي «عبثا تحاولين.» وعندما كنت أحضر جميع المحاضرات في جامعة «واريك» شعرت بأن الفرح يغمرني – لكن سرعان ما جاءتني أمواج

من الاكتئاب وشعور بانهيار عقلي وجسدي. لم أدرك سبب حدوث ذلك لي باستمرار لكنه كان تأكيداً لأفكاري السلبية بأني منهارة حقيقة وأني مختلفة عن الآخرين.

أشعر أن المجرم «تيري برايس» قد سرقني بانتهاكه ليّ جنسياً وعاطفياً مما سبب لي كوابيسا وأعراضا جسدية مريرة. وسرق مني حتى متعة الأحداث الجميلة مثل ولادتي لأطفالي، وأشعر أن فعلته تدمر حياتي على الدوام وأن عليّ أن أجد سبيلاً للتعايش مع ذلك.

هناك فترات طويلة من طفولتي لا أستطيع تذكرها، وأعتبرها فترة «الصدمة الدماغية»، حيث يقفز دماغي من مكان إلى مكان آخر، وعمري من ثلاث سنوات إلى تسع سنوات إلى ست سنوات الخ ....

وإذا لم تتعرض (أيها القارئ) للانتهاك فيمكنك العودة بذاكرتك إلى وقت بداية ذهابك إلى المدرسة والانتقال إلى بداية الدراسة الثانوية، وأيضاً الفترات القصيرة بين المرحلتين. لكن بالنسبة لي هناك فترات طويلة جداً من حياتي لا أتذكرها، وهي ليست بسبب ضعف في الذاكرة، أو بسبب وجود ثغرات فيما أستطيع تذكره، بل بسبب فراغ كامل لا شيء فيه، إنها « الصدمة الدماغيّة « – التي تحميني من أسوأ الحالات.

وعند ولادتي لآخر طفلين من أطفالي كانت تراودني استرجاعات مروعة وكنت خائفة من تكرار ذلك في أي لحظة من حياتي. وكنت منطوية على نفسي لفترات

طويلة بعد الولادة، واستغرقت فترة طويلة للرجوع إلى حالتي الطبيعية. والمفارقة في الموضوع أنني كلما أصبحت أقوى كلما ازدادت الذكريات المسترجعة التي تقودني إلى المربع الأول.

كنت أتمنى استرجاع الذكريات جميعها دفعةً واحدة. وحتى إدارة الشرطة أرادت أن تكون ذكرياتي في حزمة مكثفة واضحة - لكن مع تقطع أفكاري كانت هناك أمور أخرى تذكرتها بعد فوات الأوان ولم يأخذوها بعين الاعتبار.

كانت هناك ليال مخيفة أشعر فيها بأني مطروحة أرضاً ومثبتة و«تيري برايس» يشتمني ويقول بأني أستحق كل ما يحدث لي.

ولم أشعر بالامتنان والحظ الحسن لأني أخيراً حصلت على إدانة ضد «تيري برايس». لأني عانيت انتهاكاً إضافياً من قبل وسائل الإعلام خصوصاً في جو فضائح مدرب كرة القدم الانكليزي باري بونيل.

هناك في مجتمعنا مستويان من العدالة: مستوى عدالة تخص حالات انتهاك شخص مشهور لك، ومستوى عدالة إن كنت أنت شخصاً مشهوراً، عندها تكون القضية موضع اهتمام الجميع: الإعلام، المحامين ... وأما إن كنت شخصاً عادياً فلن يستمع لك أحد وتقنع بما يعطى لك.... رغم حقيقة أن لا مكان للإعلام بدون قضايا الناس العاديين، وشعرت بأن ذلك يجب أن يتوقف.

فاغتصابي في فراشي لم يكن قضية خطيرة بالنسبة للشرطة – ويجب أن تكون كذلك. وتلك رسالة أخرى بأني لم أكن حريّة بالاهتمام بالنسبة لأي انسان، على المجتمع أن يعامل الجميع بالتساوي ويستمع لشكاويهم.

وما زالت هناك معركة في داخلي عن وجود شيء ما غلط في شخصيتي جعلتني هدفاً للمبتزين والمجرمين، ولكن الواقع أن ذلك الأمر شائع في مجتمعنا مع الأسف. وكان من الأسهل على المجتمع التصديق بأن ما حل بي كان غلطي من الإدراك بأن المجرمين منتشرين في كل مكان.

وكل إنسان عرضة للاحتقار وتصغير القيمة في ظروف ما، لكنه بالنسبة لي كان مشكلة دائمة حتى بالنسبة لأصدقاء الطفولة. كنت أنجذب دوماً إلى الأشخاص أصحاب الأصوات العالية الذين يستأثرون بالكلام وأنا فقط أستمع. إنه نوع من الهروب والاختفاء عن الناس وحماية نفسي، لا أرغب في الاقتراب كثيراً من الناس ولا أرغب في توجيه اهتمام الناس نحوي.

لم أستطع التحدث عن محنتي مع شريك فراشي، فكل ما يرغب فيه الرجال هو المتعة الجنسية ولا أعتقد أنهم يقرؤون إشارات عدم الرغبة في ذلك لدى شريكة الفراش. فكثيراً ما كنت غير متجاوبة أو كنت أبكي. ولم أستطع امتلاك القدرة للرفض والقول لا .. لا أرغب في ذلك: لم تكن عندي حدود واضحة بين الرغبة والرفض. وكان هناك مشكلة كبيرة في الربط بين ما تعرضت له من انتهاك في طفولتي وبين

الاستمتاع بالممارسة الجنسية. وحصلت أول نشوة جنسية عندي في سن مبكرة جداً، وحتى لم أدرك ما هي إلا بعد عدة سنين. والمرة الأولى كان مغتصبي يطمئنني « لا تخافي . لا تخافي ......» وشعرت بالعار – هل كنت أستمتع بذلك حقاً؟ أم أن جسدي خانني وكان فقط يستجيب بشكل طبيعي للمحفزات. وذلك يحتاج إلى وقت طويل وربما العمر كله لتقبله.

في عام 2016، ركزت وسائل الاعلام على التهم الموجهة إلى مدرب كرة القدم الانكليزي باري بينيل لدى نادي كرو أليكساندرا، ونادي مانشستر لاعتداءاته الجنسية على اللاعبين الصغار. وكان بيريل قد أدين قبلها بجرائم اعتداء جنسي في الولايات المتحدة عام 1995، وفي بريطانيا عام 1998. وفي شهر نوفمبر 2016، أدين بجرائم مماثلة. ومن حين ظهور الاتهامات الأولى له توالت إفادات مئات الضحايا عن جرائمه مما جعل لعبة كرة القدم الانكليزية في مأزق. وكان بينيل قد غير اسمه إلى اسم مختلف «ريتشارد جونز» وتمت محاكمته تحت ذلك الاسم. وأدين بارتكاب 36 جريمة في فبراير 2018 تلتها سبع جرائم أخرى، وفي النهاية بلغت جرائمه التي أدين بها 52 جريمة. حُكم عليه بالسجن 31 سنة ويتوقع أن يمضي نصف تلك المدة ويسحب منه ترخيصه بالتدريب. استأنف الحكم لكنه رفض الاستئناف.

وتم بعدها إنشاء صندوق مالي لدعم ضحايا الاعتداء الجنسي في مجال الرياضة.

26

قواعد العدالة
التي تطالب بها (الكاتبة)

بينت المحاكمة عام 2017 أن هناك مشكلة قضائية كبيرة فيما يتعلق بحق المجرمين في تغيير أسمائهم. ولم يكن لدي أي فكرة عن الموضوع، ولا عن مقدرتهم على فعل ذلك أثناء وجودهم في السجن. و"تيري برايس" غير اسمه وفقاً لإذن مكتوب، كما هو الأمر بالنسبة لأي شخص. ويمكن فعل ذلك عبر الانترنت بسهولة – وبالنسبة لمجرمي القضايا الجنسية عليهم فقط إعلام السلطات خلال ثلاثة أيام.

ولما كان هؤلاء بطبيعتهم مخادعين ومنحرفين، فليس من المستغرب أن يقوموا بتغيير أسمائهم لإخفاء ماضيهم الاجرامي والحصول على هوية جديدة، وأن ينتقلوا إلى

مدن أخرى بصفحة بيضاء ناصعة خالية من جميع جرائمهم السابقة ... كما أخبرتني إحداهن في إدارة خدمات المجرمين، التي أتت لرؤيتي بعد المحاكمة، وأكدت أن تلك كانت مشكلة كبيرة في منظومة العدل البريطانية. ولا أعتقد أن الجمهور لديه أية فكرة عنها - فهي فوق ما يمكن أن يتخيله الإنسان، ولو قلت ذلك لأي إنسان عادي في الشارع لاستهزأ منك وظن أنك تمازحه، إلّا أنها للأسف واقع حقيقي، ويتم القيام بها على نطاق واسع خاصة في أوساط المجرمين وأصحاب السوابق.

ليس هناك معالجة متفق عليها للموضوع بين الشرطة والمحاكم وسلطات السجون وسلطات مراقبة المجرمين المفرج عنهم بشرط المراقبة. فإذا أدين شخص اسمه "جو بلوغز" وهو في فترة الإفراج التجريبي فالقيود ستُفرض على تحركات "جو بلوغز"، وإذا ما غير اسمه إلى "إيان البريء" فعندها تحصل المشكلة فهو بريء، وليس عليه أي قيود، وليس لدى إدارة "الشؤون المتداخلة بين السلطات" القوى البشرية الكافية أن تتحقق من تطابق ماضي صاحب الاسم الجديد مع شخصية الاسم القديم بالطرق المعتادة. والمجرمون يمكنهم بدء حياة جديدة كلياً لا تشوبها شائبة تحت الاسم الجديد. فيمكنهم الحصول على جوازات سفر وإجازة قيادة السيارة تحت الاسم الجديد، ما يعني أنهم عندما يستظهرون بهذه الوثائق إلى إدارة خدمة الكشف والمعاينة (DBS) لا تظهر في سجلاتهم أية جريمة أو مخالفة. وما أدهشني أكثر أن

كل ما يفعلونه في تلك الإدارة هو النبش في صندوق ملفات عن المجرمين المسجلين، ثم يقولون إن هؤلاء ليست لديهم أسماء أخرى، ولا تكون هناك أي متابعة لماضيهم. فتدقيقات تلك الإدارة لا تساوي قيمة الورقة التي كتبت عليها.

إن المتحرشين بالأطفال أشخاص مخادعون بطبيعتهم، ويعرفون مواقع ضعف المنظومة القضائية. وهم يعلمون كيف يتلاعبون بها، ويحصلون على حساب بنكي جديد باسمهم الجديد، وجواز سفر ورخصة قيادة سيارة و ....، كما أن السجن هو مدرسة للمجرمين يتعلمون فيها عن بعضهم البعض حيلاً جديدة وأساليب أخرى في الإجرام.

ومن خلال عملي تعرفت على نماذج كثيرة من هؤلاء – أحدها أن أحد المدانين بالتحرش بالأطفال في بريطانيا غير اسمه بعد إطلاق سراحه، وسافر إلى إسبانيا وعمل هناك كمعلم مقيم لدى مدارس بريطانية مرموقة. وخلال ذلك أتُهم بالانتهاك الجنسي لستّة وثلاثين طفلاً.

في عام 2002، عرف الناس عن "إيان هنتلي" المتحرش بالأطفال، ولكن كان يجب منعه من جرائمه منذ البداية. ومنظومة القضاء الفاسدة سمحت بتلك الجرائم عندما سمحت له بتغيير اسمه. وعندما تقدم هنتلي إلى وظيفة ناظر المدرسة كان يجب التدقيق في ماضيه بكل دقة. ولكنه غير اسمه مرة أخرى إلى إيان نكسون، وبعد أن حصل على الوظيفة عاد لاسمه السابق "إيان هنتلي". مما أثار الشكوك بتحقيق بيشارد عام

2004، الـذي حـدد الثغـرة الكبيـرة فـي منظومـة القضـاء البريطاني بالسماح بتغيير الاسم بسهولة.

وبعد مقتل ساره بين عـام 2000 ، وصـدور قانـون سـاره عـام 2010، تأمـل الجميـع فـي أن يتـم تغيـر ذلـك القانـون، لكن ذلك لـم يحصـل ولـن يحصـل بسـبب وجـود الثغـرات فـي منظومتنـا القضائيـة. لأن قانـون سـاره وقانـون كليـر ومخطـط الإفصـاح عـن العنـف المنزلـي، كلهـا تعتمـد علـى اسـم المجـرم الـذي يختـاره لنفسـه، فيعمـد إلـى تغييـر اسـمه وتصبـح صفحتـه بعدهـا بيضـاء ولا غبـار عليهـا. وبالتالـي فـإن مرتكبـي الجرائـم المتعـددة: بـاري بينيـل وإيـان هنتلـي وفانيسـا جـورج وجـون وربويـز ... . نجـوا مـن العقـاب بسـبب تغيير أسمائهم.

بعـد قضيـة هنتلـي وغيرهـا مـن القضايـا، تـم طـرح توصيـات لإعـادة النظـر فـي ثغـرات النظـام القضائـي، إلّا أنهـا أهملـت. كمـا تـم عـرض تقريـر وثائقـي مفصـل علـى قنـاة (BBC) الفضائيـة البريطانيـة أثنـاء المقابلـة مـع ممثـل مـن وزارة الداخليـة البريطانيـة عـام 2010، أقـر فيـه بالثغـرة الموجودة لكن شيئاً لم يحدث منذ ذلك التاريخ.

روي وايتنـغ قتـل الطفلـة سـاره بيـن ذات الثمـان سـنوات، وكان قبلهـا قـد خطـف طفلـة فـي التاسـعة مـن العمـر واعتـدى عليهـا جنسـيا وكان علـى لائحـة المتحرشـين جنسـيا عندمـا اختفـت سـاره وقـد اسـتجوبته الشـرطة لكنهـم لـم يجـدوا دليـلا كافيـا لاعتقالـه. وبعدهـا اسـتطاعت الشـرطة إدانتـه باختطـاف سـاره وقتلهـا مـن خـلال نتائـج فحوصـات الطـب

الشرعي لسيارته. وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، وتدعي بعض المصادر الإعلامية أنه يخطط لتغيير اسمه عند إطلاق سراحه. وقد قامت والدة ساره بحملات واسعة ناجحة لدعم قانون ساره المعروف أيضا باسم القانون الذي يسمح للوالدين والأوصياء على الأطفال وبيوت العناية بهم باستجواب الشرطة رسمياً عن معلومات عمن تواصل مع الأطفال وعمن يخافون على أطفالهم منهم.

وبعد قضيتي ومعرفتي لوجود تلك الحالات، لم أستطع السكوت عن الموضوع وقررت عمل شيء حياله. وفي عام 2018، أنشأت عريضة الكترونية على الانترنت حول الموضوع، وتلقيت 3000 توقيع مباشرةً، رغم كونه عملاً شاقاً جداً. وكانت هناك عريضة مشابهة من قبل مجموعة باسم اتحاد حماية الأطفال. تواصلت معهم وأخبرتهم بأننا على نفس النهج. وعند تلك النقطة كانت المجموعة تقوم بأبحاث لمدة سنتين حول المشكلة، وحصلت قائدة المجموعة إملي كوىستانتاس على معلومات كثيرة من هيئة "حرية المعلومات"، وتواصلت مع 40 مركزاً للشرطة لكنها لم تحصل على أجوبة إلا من ستة عشر منها. ومن المعلومات التي جمعتها وجدت أن أسماء تسعمائة معتدٍ جنسي مفقودة..

كانت إميلي تقوم بجمع البيانات وإحصائها، وكنت أنا أقوم بجهودي كضحية حيّة للعنف الجنسي، وكلانا متحمس لتغيير القانون. ومن تلك النقطة بدأت وسائل

الإعلام تتجاوب معنا، فكانت هناك مقابلة لي مع قناة سكاي الفضائية للأخبار حصلت على تفاعل عظيم من الجمهور، وسوياً رفعنا طلبا آخرًا. ولكن قناة سكاي مع الأسف لم تهتم به وكذلك أهملته جريدتا التايمز والميرور (The Times or the Mirror). لكنه ظهر على شبكة الأمهات (Mumsnet) وفي منتديات أخرى.

عملنا بدأب على انتشار المطلب، ولكن لسبب ما لم يحصل المطلب على العدد الكافي من التواقيع. كان هناك حظر خفي عليه ربما فالكثير ممن وقعوا أخبرونا أن أسماءهم غير موجودة وظهر على فيسبوك كمادة متطفلة (SPAM). وربما كانت هناك مؤامرة ضد مطلبنا ولكني أتجنب ذلك الاحتمال.

وكان رقم الموقعين يتغير باستمرار – من أربعين ألفاً في اليوم إلى سبعةٍ وعشرين ألفاً في اليوم التالي. وكان بعض الأشخاص عند محاولتهم التوقيع (من خلال الانترنت) يحصلون على رسالة تنبيه بوجود "استعمال صيغة خاطئة للبريد الالكتروني". وفي النهاية حصل المطلب على سبعٍ وثلاثين توقيعاً؛ وهذا أقل بكثير من المائة ألف توقيعٍ المطلوبة لمناقشته في البرلمان.

وكانت لجنة قبول المطالب في الدولة تعتبر أن عشرة آلاف توقيعٍ غير كافية، وأنها سوف تعترف فقط باستطلاعات الرأي الموثقة حيث ينشر ويطبع الاسم القديم والاسم الجديد وعنوان الشخص.

بتبني الحكومة ذلك النهج أصبح من السهل تتبع المجرمين. لكن كثيراً من الأفراد في بيئة المتحولين جنسياً عارضوا ذلك. وأنا أتفهم تحفّظات هؤلاء، ولكني أرغب في فعل كل ما أستطيع لحماية الأطفال - وبعد صياغة القانون يمكن النظر في قضايا أخرى. فالأولوية يجب أن تكون لوجود مئات الآلاف من الأطفال في دائرة خطر الانتهاك الجنسي كل عام.

وفي الجولة الثانية للإجابات على المطلب قامت الشرطة وهيئة حكم الإجرام والمحاكم بدراسة القضية، وتبنتها عضوة البرلمان ساره تشامبيون، وكذلك فعل ساجد جاويد عضو البرلمان المحافظ عن منطقة برومزغروف وأيضاً مركز العدالة في تقريرهم - أطفال أكثر أمانا "Safer Children".

وقد كانت الناشطة والناجية من الانتهاكات الجنسية خلال الطفولة سامية ودهاوس فعالة جداً في تسليط الضوء على هذه القضية - وسأظل ممتنةً لها ما حييت على مساهمتها وعلى كل ما تفعله في حملاتها من أجل ضحايا الانتهاك الجنسي من الأطفال والناجين منه.

ويقول كثيرٌ من المتنفذين والسياسيين أن المسألة معقدة، ولكن بالتأكيد يمكن تطبيقها على مجرمي العنف الجنسي فقط. ويجب ألا تبقى القضية حول مرتكبي الجريمة، وأن تصبح حول الضحايا؛ حول أولئك الأطفال الذين نهبت منهم براءتهم بدون ذنب. وعلينا التركيز على حمايتهم وألا نكرر نفس الأخطاء الماضية بحماية

المجرمين عن طريق السلطة والقوة!

يعتقد كثيرون أن سجل مرتكبي الجرائم الجنسية هو القوة السحرية التي تحمي الأطفال، لكنه ليس كذلك. ويجب أن يكون سجل مجرمي العنف الجنسي في البلاد متاحاً لجميع مراكز الشرطة، وليس فقط في منطقة تواجد المجرم - فهؤلاء حاذقون ويعرفون التلاعب جيداً وتجنب الملاحقة.

لماذا ليس من السهل أن تكون هناك إشارة خطر لدى الدولة عندما يحاول معتدٍ جنسي مدان تغيير اسمه؟ فوزارة الداخلية تعتقد أن لدى الشرطة جميع الأجوبة وبالمقابل تعتقد الشرطة أن وزارة الداخلية هي التي تمتلك كل الأجوبة. وتعتقد سلطة ترخيص السائقين والمركبات أن لا علاقة لها بالأمر. وإدارة الجوازات لا تطلب وثيقة تسجيل المواطن وإدارة الإشهار والتحفظ لا تهتم كثيرا بسلامة أطفالنا. مع أن جواز السفر وثيقة رسمية تسمح للمجرمين بالذهاب إلى أي مكان في العالم وارتكاب جرائم هناك.

الاغتصاب في قوانيننا فعلياً خارج دائرة الاجرام، والمجرمون يمكنهم ارتكاب الجريمة والافلات من العقاب - وواقع أنهم يستطيعون تغيير أسمائهم بكل بساطة يجعل ذلك أسهل عليهم.

أنا أرغب أن أحمل الدولة المسؤولية في السماح لمجرمي الجنس بارتكاب جرائمهم من خلال قانون ديلا

(Della's Law)؛ وذلك لن يؤثر على حرية أي شخص آخر. والسؤال هنا ببساطة هو: هل هذا الشخص صاحب جرائم جنسية؟ فإذا كان الجواب "نعم" فيطبق عليه القانون.

ومؤخراً سلط كتاب النصوص في سلسلة الدراما ('Holby City') التي عرضتها قناةBBC، الضوء على مسيرة الضحايا والناجين من الجرائم الجنسية أثناء الطفولة وفي فترة اليفاع. ففي نصوص الدراما ركز الكتاب على مخاطر ثغرة السماح بتغيير الاسم من خلال قصة وحش جنسي كان يستقطب الفتيات الصغيرات لزبائن أغنياء. وكانت نصوصهم عملاً رائعاً في جلب انتباه شريحة واسعة من المجتمع؛ وأنظر إلى ذلك بمنتهى التقدير. والآن بعد أن أبدت قناة سكاي للأخبار ووسائل تغطية صحفية أخرى الاهتمام وكذلك كثير من نواب البرلمان، أشعر بأن الحملة أصبحت أكبر من أن أتحملها بمفردي..

وبعد جميع الجهود التي بذلناها قد نجحنا في جعل الحكومة تقوم بمراجعة الثغرات في تشريع السماح بتغيير الاسم، وشُكلت لجنة لذلك على أن تعود بالنتائج خلال سنة من تاريخ تشكيلها. وتلك خطوة كبيرة جداً، ولكننا يجب ألاّ نستكين ونقنع بأمجادنا. ويوجد لتحالف حماية الأطفال مشاركة في لجنة المراجعة ليس فقط لتأكيد الشفافية بل لمعرفتهم العميقة بالثغرة. وقد قاموا بتكليفي بكتابة تقرير جامع عن الموضوع، والتأكيد على أن صوتي

كممثل لهم مسموع في ذلك التقرير وأن قضيتي ستكون القوة الضاغطة للتغيير.

والآن أحتاج إلى الراحة وأرغب فيها. وسيكون قانون ديلّا معركتي القادمة رغم معرفتي أنها ستكون كبيرة جداً.

إن القوة الدافعة للعمل على اقرار القانون مسؤولية كبيرة جداً. وعلى عاتقي مسؤوليّة شخصية تجاه الموضوع لأنّني مررت بتجربة الأمر. وسوف أستمر حتى يتمّ تغيير القانون. بعدما لاحظت أن الناس يستمعون إلى صوتي فلن أستكين. وعليَّ الاستمرار، ويمكن أن أشعر بالضياع بسبب حجم الموضوع ولكني عندما أفكر بعدد الأطفال الذين تأثروا بالقانون والذين يعانون منه أشعر أني يجب أن أستمر.

لا أراها قضية شخصيّة عن تجربتي فحسب، بل أربط قانون ديلّا بالطفلة البريئة ذات الستّ سنوات التي يستعملون صورتها لإشهار قضيتي. فهي أفضل تمثيل لي بالذات. وأتمنى لو أعود إلى طفولتي لأخبرها أننا سننجح. فهناك أنا الصغيرة وأنا الناضجة – وهما لا ينفصلان.

الآن أريد فقط الراحة والاطمئنان. ولربما في أحد الأيام سأشتري سيارة فان للتخييم وأنطلق في الطريق الدولي رقم66 للتجوال في البلاد بحرية.

أحتاج إلى التفكير أن بإمكاني البدء من جديد – تجديد

معرفة نفسي وتعلم أشياء وخوض تجارب جديدة. تجربتي ألقت الضوء على أمور لم أدركها، والآن أرى طريقي بوضوح.

لمدة طويلة اعتدت على التفكير بأني أسلك طريقاً موحشاً بمفردي. ولكن عندما نتكلم ونعبر عن أنفسنا فإننا نمنح القوة للآخرين لكي يعبروا عن أنفسهم أيضاً. وتصبح قضية هامة عندما يزداد المتكلمون عنها. وعندما نتكلم عن امتهان الأطفال يخرسك الآخرون لأنها قضية مؤلمة ولا يريدون السماع عنها - قضية سرية وسخة. إلا أنه فقط عبر الحديث عن القضايا نستطيع التعرف عليها وتغيير السياسات الخاطئة في الدولة ونفرض سياسة الحماية للأطفال. أنا لا أرغب في صخرة قاسية من الكراهية في نفسي، بل أريد أن أنفتح على الآخرين بل أريد لهم أن يسمعوا صوتي، ذلك يجعل الآخرين يجدون أصواتهم عندما يسمعونني .

آمل أن يقرأ كتابي هذا الأخصّائيون الاجتماعيون والمعلمون وممرضات المدارس ورجال الشرطة ونساؤها، وأرغب في أن أقول لهم:

أنتم في الخطوط الأمامية فتعاطفكم وتفهمكم ومبادرتكم المبكرة يمكن أن تكون ما يحتاجه الطفل كي تنكسر حلقة السوء في امتهان الأطفال. وآمل أن يقرأ صانعو السياسات ورجال الدولة كتابي هذا.

وأرغب أن أقول لهم: لديكم السلطة والنفوذ لإحداث

تغيير حقيقي وفعال. وقد أثبتت الدراسات أن المال الذي يصرف على التدخل المبكر في حفظ سلامة الأطفال، يوفر أموالاً طائلة في مراحل ما بعدها. أصبحت لدينا معرفة كبيرة عن الموضوع والفشل في توفير الخدمات لذلك الهدف ينذر باقتصاد فاشل.

آمل من الأكاديميين وأساتذة الجامعات أيضا أن يقرؤوا كتابي وأريد أن أقول لهم:

أنتم من تستطيعون دفع الأبحاث للربط بين صدمة الطفولة ونتائجها السلبية على الصحة الجسدية والعقلية طوال العمر للضحايا والباقين على قيد الحياة، الذين تعرضوا لمختلف أنواع الاعتداء في طفولتهم. وأنا أتوسل إليكم لفعل ذلك.

تحتاج تربية الطفل حقاً إلى جهود جماعية؛ ومسؤوليتنا جميعاً توفير البيئة الآمنة الراعية والمتفاعلة مع جميع الأطفال في المجتمع. وإذا لم يحصل ذلك فجميعنا أفراداً وجماعات مسؤولون، ويجب أن نقوم بدورنا في تغيير ذلك أو القبول بأننا تواطأنا في جريمة امتهان الأطفال.

مراراً وتكراراً أسمع قول الناس "على أحدهم فعل شيء حول الموضوع". للتذكير - هذا الأحد هو أنت وأنا والجميع. فنحن نستطيع تسلق الجبال عندما يكون الهدف هاماً بما فيه الكفاية لكن نحتاج إلى التحضير للمعركة لأن أطفالنا يعتمدون علينا. وأنا أعتمد عليكم .....

قد بقيت محاصرة في حياتي لفترة طويلة ... محاصرة مع أم غير مسؤولة عرضتني للخطر وغضت الطرف عن الاعتداء المرعب الذي تعرضت له في طفولتي، محاصرة في حياة عرفتني على مبادئها ونمطها، وأخبرتني أني لا شيء وأستحق الأشياء السيئة فقط. أنا محاصرة في نظام غسل يديه مني كطفلة وكامرأة تحمل أثقال ماضيها. أنا محاصرةٌ بعلاقات جعلتني أشعر بقلة قيمتي وأدامت بيئة الامتهان التي تعرضت لها، محاصرة بعاري وشعوري بفقدان قيمتي.

ولكني الآن أنا حرة ولم أعد محاصرة. أنا امرأة تعرف مقدار قوتها وتعرف أنها تستطيع فعل أشياء عظيمة. ولن أسكت على الظلم والامتهان بعد اليوم. وسوف أصرخ وسوف أبذل قصارى جهدي لأجعل هذا العالم مكاناً أفضل لأطفالنا الصغار القادمين.

هناك جيش كبير منا - المحطمون المستغلون من قبل الغير. وحقيقة أننا مازلنا واقفين على أرجلنا مؤشر على قوتنا، وحقيقة أننا نرغب في الاستمرار في الكفاح والنضال و في مصارعة شياطين آخرين من مرتكبي الجرائم الجنسية، وفي خوض معارك اجتماعية أخرى هو معجزة.

لستُ حصيلة جميع ما خضعت له. أنا محاربة وكل قطعة في جسمي ستستمر في المواجهة حتى آخر نفس..

تعالوا معي؛ فنحن نستطيع التغيير ....

بن لويس (Ben Lewis) كان مجرما مداناً باعتداء جنسي على أطفال ورحل إلى اسبانيا، بعد شهرين من الحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، وبعد أن غير اسمه إلى بين ديفيد(Ben David) واستعمل اسم بين روز (Ben Rose) عندما تقدم بطلبات وظائف. وبلغ عدد ضحاياه في مدريد 36 ضحية من الأطفال من سن الرابعة إلى الثامنة.

وفي عام 2002 قتل "إيان هنتلي"، الذي كان ناظراً في إحدى الكليات المحلية، الطفلتين جيسيكا تشابمان وهولي ويلز (Jessica Chapman and Holly Wells) بعمر عشرة سنوات. وساهم في جهود البحث الواسع عن الطفلتين (قتل القتيل ومشى في جنازته). وكان قد أدين في قضايا اغتصاب، وله تاريخ حافل بجرائم جنسية مع فتيات صغيرات. هولي وجيسيكا قتلتا في بيته.

الخاتمة

أنا لم أطلب الاعتداء

أنا لا أستحق أن يُعتدى عليّ

أنا لا أرغب في أن يُعتدى عليّ

لكن كل ذلك كان خارجاً عن إرادتي، لكنني الآن أسيطر على حياتي؛ وليس ذلك سهلاً ولا دائماً ولكنني أفعل ذلك.

أقول لنفسي انظري في المرآة وكوني فخورة بنفسك، أنت هنا على قيد الحياة ذلك أكثر مما كنت تتوقعينه.

كانت هناك أوقات كثيرة جداً لم أرغب فيها في الاستيقاظ، لكني فعلت ذلك.

كانت هناك أيام اعتقدت فيها أني لن أستطيع الاستمرار، لكني مستمرة.

كانت هناك ذكريات حسبت أني لن أستطيع تحملها، لكنني فعلت ذلك.

لقد نجوت وتجاوزت جميع المصاعب وسوف أستطيع

ذلك فيما هو آتٍ. ولا أقول إنه لن تكون هناك أوقات صعبة، وليالٍ طويلة من القلق وتحديات كبيرة كالجبال ومعارك تخطف أنفاسي - لكني سوف أتغلب عليها، وعلي أن أفعل ذلك، فتلك هي شخصيتي.

سوف أواصل شق طريقي في الحياة، وسوف أكافح يوما آخر وسيأتي وقت أنظر فيه إلى الخلف وأكون قادرة على القول لديلّا الصغيرة: "لقد نجحنا في إحداث تغيير في منظومة العدالة الفاسدة"

شكر لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب

كنت أعرف دائما أن علي أن أكتب كتابا، ولكن ذلك لم يكن ليحصل دون مساعدة وإرشادات الأشخاص المذكورين هنا، أشكركم جميعاً لقد لامستم قلبي بطرق لا أستطيع التعبير عنها، وأعطيتموني صوتاً لم أعتقد أني سأملك الشجاعة الكافية لاستخدامه، وبرهنتم لي أننا معا نستطيع .. نعم نستطيع فعل أي شيء.

الشكر الجزيل لأسرتي التي شجعتني على الاستمرار في الحياة، فقد كانت هناك أوقات كثيرة ظننت فيها أني لن أقدر على الاستمرار في حياتي ولو يوماً واحداً وفكرت في إنهائها، لكن وجودكم معي وإدراكي الثغرة التي سأتركها في حياتكم إذا فعلت ذلك جعلتني أستمر وأرغب في الكفاح. شكري إلى أطفالي الأربعة لورا، جيمس، تشارلي، وإيليا، فقد علمتموني أشياء كثيرة عن الحياة وعما يجب أن تكون الأمومة عليه، ومنحتموني أجمل أيام حياتي وأنا أراكم تكبرون.

إيان وناومي (Ian and Naomi) شكرا لكما على حبكما لأطفالي ولكونكما أحسن أب وأم لأحفادي. شكراً لأحفادي فريا، وآرشي، وجاكوب، وفريدي (وإلى القادمين على الطريق)، كم أحب مراقبة العالم من خلال النظر في أعينكم البريئة الجميلة المليئة بالتعجب والتحفز.

وفي كل يوم تبينون لي كيف يمكنكم أن تكونوا كما تريدون عندما تعيشون في بيت تسوده المحبة والرعاية.

عندما فقدت والدي وجدت عائلتي في عمتي بيرني وعمتي دونا، امرأتان قويتان وجميلتان بشكل مدهش - لقد واجهتما معارك الحياة وأصبحتما أقسى بعض الشيء، ولكنكما نساء ملهمات حقيقةً نتطلع إليهما. حبي لكما ولعائلتيكما كبيٌر جداً. وعلي أن أشكر بناتكما كلير وكاري-آن وكريستي لدعمهنّ حملة « قانون ديلّا» أيضاً. وعلى الساعات التي قضيتموهنّ في الشوارع توزّعن المنشورات وتثقّفن الناس حول القانون، لقد لامستنّ قلبي حقيقة. عنايتكنّ بأطفالنا وسلامتهم كان مصدر إيمان كبير بأننا سوياً سنقوم بالتغيير. شكرا للعم جون على اتصالاتك الهاتفية المستمرة حيث تابعت ما كان يقوم به والدي، وكان صوتك يشبه صوته تماماً، كان قاسياً في البداية، ولكن كم أنا مباركة بوجودك إلى جانبي.

شكري إلى «كيت» الغالية، لقد كنت ينبوع حب وإيجابية على الدوام. شكري إليك «كلير» يالها من مسيرة!!! تشاركنا الموسيقى كل هذه السنين، وها أنت الآن إلى جانبي دوماً ترسلين لي أجمل الهدايا وأكثرها إلهاما

وشكرا لكونك أغرب وأصدق صديقة حصلت عليها. شكري إليك كارول أنت حبيبتي ومن أكرم وأجمل الناس الذين سعدت بمعرفتهم في مسيرة حياتي. شكري إلى «تريسي» صديقة الطفولة، كم أحببت منك أننا نفترق لعدة سنوات وعندما نلتقي نتابع معاً من النقطة التي توقفنا عندها؛ تحتاج كل فتاة إلى صديقة مثلك، ولذلك ستكونين دوماً محاطة بالعديد من المحبين. شكري إلى «أم زيي» التي لم أقابلها شخصياً؛ لقد كنتٍ مدهشة؛ لأنك ما إن سمعت عن حملة «قانون ديلّا « حتى بذلت كل جهد لإيصال الالتماس إلى المسؤولين. وقضيتِ ساعات كثيرة تكتبين إلى المتنفذين ووسائل الإعلام ولكل من يمكن أن يصغي إلى صوتنا حول حماية الأطفال. «كيري» الناشطة والإنسانة المدهشة بكل صفاتها، أشكرك لجعلي أرى ما يعنيه أن يقوم سبع وثلاثون شخصا بدعم قضيتنا عندما شعرت بفشل مطلبي.

الشكر لكم زملائي في الحملة، الذين أعتبرهم أسرتي في كفاح الحياة، لإعطائي صوتاً وجعلي أرى أننا عند إخفاء جروحنا نقلل من قيمتنا وبالمجاهرة بآلامنا نرفع شعلة يلتقطها الأخرون ويركضون بها.

شكري إلى داني ولستتكروفت أي شخص يسمعك سوف يتغير طوال حياته. فصدقك البريء أشبه ما يكون ببطانية دافئة تجعل الآخرين يتحمسون ويقولون الحقيقة ويشعرون بأنهم ليسوا وحدهم.

شكري إلى كريس تك، لقد جعلت حديثك بكل أشكاله

عن الانتهاك الجنسي للأطفال شغلك الشاغل في حياتك كلها، وعملت بدون كلل على إحداث تغيير من داخل الحكومة وتجولت في البلاد لدعم الأخرين في حملاتهم أيضا. وأثناء ذلك كان لك مؤسسة خيرية لدعم الضحايا والناجين وترويج واجب الحفاظ على صحتهم وسلامتهم.

إلى فيليب لافرتي لقد منحتنا مساحة آمنة للتعبير بحرية فَشعرنا بالدعم وتمكنّا من إقامة صداقات دائمة.. اجتماعاتك ملأت الفجوة بين المختصّين في موضوع الانتهاك الجنسي وبين الضحايا والناجين منه. بشكل لم أعرفه من قبل مكنتنا من تثقيف المثقفين، يا لك من شخص لطيف وشريف، لك كل الشكر.

إلى شيل – صلابتك وشِعرك وثقافتك كانت رائعة؛ لك مني الشكر.

إلى بولين سوف أكون دوما ممتنة لصداقتك وحرفيّتك في التصوير التي أظهرت أن الحياة بعد الامتهان يمكن أن تكون جميلة.

إلى كارين ووكار مؤلفة كتاب (Tell Me You're Sorry, Daddy)؛ معرفتي لك دفعتني إلى تأليف هذا الكتاب علّمتني الكثير عن الشجاعة في الظروف القاسية، لك شكري.

إلى ديفيد لين حرصك على العدالة هو فتح لبوابات فيضان السدود: لقد شجعت الكثيرين من الضحايا والناجين في لعبة كرة القدم على التقدم بشكواهم، وأنا

ممتنة لك لأن شجاعتك ستجعل أحفادي أكثر أماناً عند ممارسة اللعبة.

إلى ماندي وميكي للأسف ميكي توفي لكن نضاله سيستمر من خلال أسرته في نوتنغهام. ماندي أشكرك على كل ما فعلته وما زلت تفعلينه لتحقيق العدالة وإحداث التغيير.

إلى مايك ، لقد كنت دائما هناك في حملاتي لتوفير الأمل والدعم. جهودك مع داني لتثقيف المثقفين ومساعدة الرجال الآخرين على إدراك وجود أمل وحياة كريمة بعد الامتهان كانت رائعة؛ لك شكري.

إلى الجمعيتين الخيريتين العزيزتين على قلبي RoSA و RSVP بدونكما في الأوقات العصيبة في مسيرتي ما كنت لأستمر. عملكما لا يُقدّر بثمن وحرصكما على شمول رعايتكما للجميع وسعيكما إلى الوصول إلى الأماكن البعيدة هي شواهد على رغبتكما في توفير فرص أفضل للحياة بعد الامتهان.

إلى إميلي كونستانتس وفريقها في اتحاد حفظ السلامة – إلى أن تعرفت عليك كنت أشعر أني قطرة صغيرة في بحر في حملتي لمنع مجرمي الجنس من تغيير أسمائهم. معا استطعنا تحطيم الحواجز لتغيير القانون الذي يسمح لهم بذلك. وقد حشدنا تغطية إعلامية واسعة فلم يعد باستطاعة أحد في الحكومة القول بأنه لم يكن يعلم، واستطعنا أخيرا جعل من في السلطة يهتم بالأمر. نحن

وجهان لنفس الهدف ومخزن كبير للطاقة، ولن نتوقف حتى يُلغى قانون السماح بتغيير الاسم. أنا واثقة أننا نستطيع وسنفعل ذلك. شكراً لوقوفك إلى جانبي وسأكون إلى جانبك دوما.

إلى عائلتي الضحيتين هولي ويلز وجيسيكا تشابمان؛ خذلانكما يحزنني. إيان هنتلي ما كان يجب أن يحصل على الوظيفة التي من خلالها قضى على حياة طفلتيكما الجميلتين اللتين كان يجب حمايتهما وتمكينهما من النمو والازدهار. إلى عائلتي الضحيتين سارا بين وكلير وود، أنتما في ذهني باستمرار وأنا أناضل من أجل قانون ديلّا. وأدرك من تجربتي كم هو صعب دفع قانون سارا وقانون كلير لأن يُشهر و يُتبنّى- وآمل أن يقوي قانون ديلّا القانونين الذين تسعون إليهما ويصبحا ملائمين لهدف عدم قدرة المجرمين على التخفي خلف أسماء جديدة.

أفكاري موجهة إلى جميع هؤلاء الضحايا والناجين من الامتهان الجنسي الذين لم يستطيعوا البقاء معنا، الذين كانوا منشغلين ومنهكين بعبء اعتداء جنسي في الطفولة فكان عليهم أن يرحلوا بحثا عن السلام. أشكركم لفعلكم أقصى ما تستطيعون لتبقوا على قيد الحياة في عالم يحبذ الجناة.

إلى كل هؤلاء الذين كانوا داعمين ورفعوا أصواتهم لإقرار قانون ديلا - عضوة البرلمان سارا تشابمان وعضو البرلمان ساجد جاويد وماريا روبا و أوليفيا روبي والدكتورة جيسيكا تايلر أشكركم جميعا..

وإلـى الكثيريـن ممـن يتحاشـون الحديـث عـن الموضـوع، لكنكم جميعا بذلتم جهودا كبيـرة لزيادة الوعـي العـام حولـه وبذلـك دفعتـم إلـى تغييـر ذلـك القانـون. ذكـر خـاص إلـى سـامي وودهـاوس: Sammy Woodhouse أشـكرك على المضـي سـريعا ووضع مشـروع القانـون أمـام أصحـاب النفـوذ لتغييـره وسـوف أتذكـر دومـا محادثتنـا التـي قلـت لـك فيهـا «هـذا الموضـوع يبـدو كبيـرا جـدا فكلمـا عرفـت عنـه أكثـر كلمـا كبـر حجمـه» وقلـت لـي وقتهـا «حبيبتـي إذا لـم نسـتمر فـي النضـال فكيـف يمكـن أن تتغيـر الأمـور»، فقـد بقـي ذلـك فـي ذاكرتـي وجعلنـي أتابـع النضـال أيـام شـعوري بالتخلـي عـن المسـيرة. لـك منـي كل الشـكر.

أريـد أيضـا أن أشـكر أولئـك الذيـن لـن يدركـوا أبـدا الأثـر الـذي تركـوه علـى حياتـي وحيـاة الآلاف مـن الآخريـن. دكتـور بيسـيل فـان ديـر كولـك وغابـور مـاري و مايـا أنجلـو :
Dr Bessel van der Kolk, Gabor Maté and Maya Angelou

لقـد علمتمونـي الكثيـر عـن الحيـاة كضحيـة وناجيـة مـن الامتهـان الجنسـي، وعـن الصدمـة الناتجـة عـن ذلـك وعـن مسـاعدة الشـخص لنفسـه وعـن إقراركـم بمـا عانـت منـه وتجاوزتـه ديـلاّ الصغيـرة. وعـن رؤيـة نفسـي كمحاربـة شـجاعة وقـادرة وليـس كإنسـانة منهكـة تسـتحق الشـفقة.

وأخيـرا والأهـم بالنسـبة لـي، مـع احترامـي لقـرّاء هـذا الكتـاب، امتنانـي الكبيـر إلـى لينـدا واتسـون بـراون Linda

.Watson-Brown

ليندا؛ هذا الكتاب لم يكن ليكتب بدون صبرك وتصميمك وفهمك وتحفيزك لي ولقصة حياتي. أنت لم تستحوذي علي كليا فقط بل أيضا ثقفتني خلال المسيرة وأحضرت إلى حلبة المقاومة مؤلفين مبدعين آخرين وناشطين وصانعي تغيير. أشكرك على كل ما فعلته أيتها الروح الجميلة.

أشكر بيث إينون والجميع في مؤسسة بليك للنشر :

لإيمانهم بي وبقصتي وبالحملة التي أقودها، أناس أمثالكم يعطون أملا لأشخاص مثلي بأن التغيير ممكن.

لقد أنشأ صندوق الناجين صفحة خاصة به على الانترنيت مفيدة جدا حيث يمكنكم تلقي الدعم المحلي بوضعكم العنوان :

www.thesurvivorstrust.org

وإلى 37000 شخص الذين وقعوا على الطّلب، لن أستطيع شكركم شخصيا ولكني أريدكم أن تعرفوا أني أثمن تعاطف كل شخص فيكم. ولمتابعة أخبار الحملة يمكنكم زيارة صفحة الانترنيت:

www.thesafeguardingalliance.org.uk

ويمكنكم الاشتراك بحملة قانون ديلا.

ومن صميم قلبي أشكر كل من يقرأ قصتي - لقد منحتموني الصوت ومنحتم أيضا الصوت إلى تلك الطفلة الصغيرة الضائعة وأعدكم بأننا لن نكون محاصرتين بعد الآن.